

مقتبس مِن : يَقَظة الصبـاح . وَهَج الظهـيـرة .
أشباح الأصيل . أشجان الليل .
وحى الأربعين . هديَّة الكروان .
عابر سبيل . أعاصير مغرب .
بعد الأعاصير . . . . ما بعد البَعد .

نظـم

عبَّاس محمود العقاد



اسم الكتاب: ديوان من دواوين
اسم المؤلف: عباس محمود العقاد .

الطبعة الأولى فبراير ١٩٩٦

رقم الإيداع: ١٩٩٦/٢٣٠٨ .
الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0406 -7
تصميم الغلاف: م / محمد العتر

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة
مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٨ - ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ .
فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦ .
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة .
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ .
فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ .
ص.ب: ٩٦ الفجالة
إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ .
فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ .
ص.ب: ٢٠ امبابة

بســـــــم الله الرحمن الرحيم

بين يدى القراء

اسم هذه المجموعة يدلّ على موضوعها ، لأنها ديوان مقتبس من دواوين الناظم ، وهى : يقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، وأشجان الليل ، ووحى الأربعين ، وهدية الكروان ، وعابر سبيل ، وأعاصير مغرب ، وبعد الأعاصير ، ومايلى من شعرٍ نُظم بعد صدور هذا الديوان الأخير .

وقد نفدت الأجزاء الأولى من هذه الدواوين وأعيد طبعها فنفدت فى حينها ، ولم يبق من آخر هذه الدواوين جميعا إلا القليل ، وجاءتنا الرسائل الكثيرة ممن يسألون عن بعض هذه الدواوين أو عنها جميعا ويطلبون إرسالها إليهم ، وبخاصة قراء البلاد العربية التى لم يتيسر وصول الكتب المصرية إليها فى بعض العهود ، فترددنا بين طبعها فى مجلد واحد وبين إعادتها أجزاءً متفرقة كما صدرت أول مرة ، وكلاهما لا يغنى فى تيسير المطلوب منها ، لضخامة الحجم أو لتطاول الزمن ، فآثرنا أن نتوسط بين الأمرين باقتباس هذه المجموعة التى تنوب عن شعر الدواوين جميعا إلى حين ، وتتم أبواب الشعر فى جملتها لمن نقصت عنده بعض الأجزاء .

ويطيب لنا أن نشير إلى نفاد هذه الدواوين لأننا نستفيد منه ميزانا من موازين الأدب فى عمومه ، وميزانا من موازين الشعر على الخصوص ، وميزانا من موازين الشعر فى عصرنا هذا على الأخص ، وهو أحوج ما يكون إلى ميزان ، وإلى بيان .

فلا مرجع لنقد الشعر غير قرائه الراغبين فيه بمعزل عن ضجة «الدعاية» ومذاهب النقاد وموقف الصحافة وأدوات النشر بين الإقبال والإعراض أو بين العناية والإهمال .

وأصدق ما يكون ذلك الميزان فى دلالته على القول الأخير فى نقد الشعر أن يكون هذا الشعر مما يتفق محبوه وخصومه على أنه كلام لا يوصف بالصبغة السطحية ولا يستهوى الجهلاء ببهرج رخيص قليل الحظ من الفهم والتفكير ولا يستثير الغريزة التى تسوّغ ما ليس بالسائغ فى موازين النقد والتمييز .

وبين يدى هذا المرجع الأمين ، بل هذا الموئل القرير الذى لا نرتضى لكلام نقوله موئلا سواه ، نقدم هذا الديوان من الدواوين كما قدمناها جميعًا من قبل ، شاكرين ذاكرين .

عباس محمود العقاد


خواطر وتأملات

النـــــور (*)

(. . . إلى أين ينتهى بنا تحليل النور على أيدى علماء الطبيعة فضلا عن الفلاسفة والمتصوفة ؟ ينتهى بنا إلى أنه « معنى » يشبه المعانى المجردة ، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب) .

النور سر الحياة — النور سر النجاة
النور وحى النُّهى — النور وحى الصلاة
النور شوق الفتى — النور شوق الفتاة
المحْـــةُ بالروح لا — لمح العيون الخُواة
ما تبصر العين من — معناه إلا أداة
هذا سبيل الهدى — لا ما افتراه الهُداة !

* * *

إلى غاندى (*)

حين أعلن الصيام

أتيتَ إلى الدنيا العريضة عاريا — وتقضى بها جوعًا ، وماعزَّ مأكل !
تركتَ لهم حتى الطعام فقل لنا — على أى شىء بعد موتك تُقبِل
إذا البؤس والحرمان كان شفاعةً — لعالمك الأعلى ، فما هو أفضل
إذا كان ماندعوه بؤسى غنيمةً — لمن يطلب النعمى فبئس المعوّل

(*) النور : وحى الأربعين .
(*) إلى غاندى : وحى الأربعين .

الوجه الفيلسوف(*)

أرى لك أنتَ فلسفةً صُراحًا — بلمح العين أقرأها جميعا
أذم العيش فى ألفَىْ كِتاب — وتَعرض لى فأمدحه سريعًا
إذا ما الفيلسوف أطال سخطى — على لؤم الحياة فكن شفيعا
غنيتَ عن الأدلة والأحاجى — ومن حاجاك(1) لم يكُ مستطيعا

* * *

القدر يشكو(*)

صغيرٌ يطلب الكبَرا — وشيخ ودّ لو صغرا
وخال يشتهى عملا — وذو عمل به ضجرا
ورَب المال فى تعب — وفى تعب مَن افتقرا
ويشقى المرء منهزما — ولا يرتاح منتصرا
ولا يرضى بلا عَقِبٍ — فإن يُعقبْ ، فلا وزرا(2)
ويبغى المجد فى لهَفٍ — فإن يظفر به فترا
ويخمد إن سلا ، فإذا — تولَّه قلبه زفرا
فهل حاروا مع الأقدا — ر أو هم حيروا القدرا ؟
شكاةٌ مالها حَكَمَ — سوى الخصمين إن حضرا

(*) الوجه الفيلسوف : وحى الأربعين .
(1) حاجاه : غالبه بالحجى : أى العقل ، أو ألقى عليه الأحاجى والألغاز .
(*) القدر يشكو : وحى الأربعين .
(2) الوزر : الملجأ والمعتصم .

الحمد المعكوس (*)

يارب حمدٍ لم ينله الذى ... قد ناله إلا لهجوى أنا
ورب هجوٍ طافَ بى لم يكن ... يطوف بى لو لم أكن محسنا

* * *

عدل الموازين (*)

إنّا نريد إذا ما الظلم حاق بنا ... عدل الأناسىِّ لا عدل الموازين
عدل الموازين ظلمٌ حين تنصبها ... على المساواة بين الحرّ والدون
مافرّقت كفة الميزان أو عدلت ... بين الحلىِّ وأحجار الطواحين

* * *

الخبز والفقير (*)

أحسب الخبز لو درى لتأبّى ... فى يد الجائع الفقير إليه
إنما تُسلس الطّلاب جميعا ... لامرىءٍ هانت الطلاب عليه

* * *

شطور (*)

دليلٌ على أن الكمال محرّمٌ ... إناثٌ خُلقنا بينها وذكور
فما المرء فى جسم وروح بكامل ... ولكنّ كل العالمين شطور

(*) الحمد المعكوس : وحى الأربعين . ٤٢
(*) عدل الموازين : وحى الأربعين . ٤٣
(*) الخبز والفقير : وحى الأربعين . ٤٣
(*) شطور : وحى الأربعين . ٤٥

الآمـــال (*)

كـانت الآمـال تحملنى فـأرانى اليـوم أحـملهـا
إن أحــلامــا تعللنى غـيــر أحــلام أعللهــا

* * *

يوم ميلادى (*)

يوم مـــيـــلادى تقـــدّمْ وتـأخَّـــــر . . . وتـكـلَّـم
لاتقل لـى قـــبـل عـــام كـــيـف كـنـا ؟ أنـا أعـلـمْ
لا تقل لـى بعـــد عـــمـرى كـــيـف نُمــسى ؟ لستَ تعلم
غـــايـة الأمــــــر أظـانِـين ، وبـعـض الـظـن يـأثـم
ســـوف نمـسى مـــثـل مـــا كـنّـا ، ولـم نـولـد ونُـفـطَم

إن يكن ذلـك شـــيـــئًــا لـستُ بـعــد الموت أعـــدَم
أو يــكــن لــيــس بـشــىءٍ أتــرى « لاشــىء » يــنــدم ؟
أيَـة الحـــالـين قـل لـى بعــد طول العــمــر أسلم ؟ !
تــظــلــم المــوت إذا قــلــت ظـلــومٌ لــيــس يــرحــم
نــحــن لا بـالمـوت أُعــطـيــنـا ولا بـالموت نـحــرم
من يَعُــدْ يومًــا كــمــا كــان فـــقـــدتمّ وتمَّمْ
صـفـقـة الأعــمــار فـيـهـا قلّةُ الخــســران مــغـنم

(*) الآمال : وحى الأربعين .

(*) يوم ميلادى : بعد الأعاصير .

رجاء كاليأس (*)

أنا لم أيأس من الخـيـر ولا أحسب الشر على الناس لزاما
أنا أغنيت يدى عن خيرهم وأمنت الشر من حيث ترامى
فليكن من شاء منهم مَلَكا أو يكن جِنًّا على الكيد أقاما
كلهم بعدُ سواءٌ عند من لا يَدين الناس شكرا وانتقاما

* * *

الحب إعطاء (*)

لا تطلب الحب بين الناس تأخذه بل فاطلب الحب تُعطِي منه ماتجد
أشقى البريَّة من لم يَعنه أحدٌ وليس من كان لا يُعنَى به أحد

* * *

موضع العجب(*)

لا تعجبنَّ لعيب واعجب لفضل ونبل
نقص الطبائع أصلٌ والفضل ليس بأصلِ

* * *

أغلب الظن (*)

أنا شيءٌ فكيف أصبح « لاشئ ء » إذا تم للحياة مداها ؟
أغلب الظن أننى سوف أرقى غايةً بعدها تفوق ذراها !

(*) رجاء كاليأس : بعد الأعاصير .
(*) موضع العجب : بعد الأعاصير .
(*) الحب إعطاء : بعد الأعاصير .
(*) أغلب الظن : بعد الأعاصير

موت الحى(*)

أعجب من حياة الميت

فـيم عـشنا وغـاية العـيش مـوت ؟ فـيم مـتنا ، وغـاية الموت بُقـيـا ؟
أعـــجب الحــــالتين عنـدىَ حىٌّ سوف يفنى ، لا ميتٌ سوف يحيا

* * *

زمان الذرّة(*)

دعــــــوا الـذرّة تطغى فى زمـــان يعـــبـــد الـذرّهْ
صـغـــيـــزٌ كل مـــافى الأر ض من جاه ومن شُـهـرهْ
ومن خـــيــــر ومن شـــر ومـــن رأى ومـــن فِـكـرة
فلو قـيـســـواً بلا جـسم لما ضـــــاقت بهم إبرهْ

* * *

هذا وهذا وهذا(*)

قلت لعـــمـرو : خـــاننى خـــالد ! وخاننى عـمـرو ، فـمـاذا أقـول . . ؟
أبلغـــتــــهــا زيدًا فــمــــا زادنى عن صاحبيه ، فاختـوانى الذهول
ناجـيــتـهم سـراً ، وبى خـيـفـةٌ من أناجـيـه ، فـفـيـه فـضـول !
ثق من خــــيــــانات بنى آدم إذن وقل أنتم ثقــــات عـــدول
لاتشكُّ هذا ، عند هذا ، فـــفى هذا ، وهذا ، عنصـــر لا يحـول
كلٌّ بنى الدنيـــا - ومن بينهم أنت - فروع جـمّـعـتـهـا الأصـول

* * *

ميثاق الأمم(*)

أجـيـبـوا صـيـحـة الدنيـا وهبُّوا ولبُّـــوا داعى الميـــثــاق ، لبــوا
توافـقت الشـعـوب على رجـاء فــلا ينكلْ عن الميــدان شـعبُ

(*) موت الحى أعجب من حياة الميت : بعد الأعاصير .
(*) زمان الذرة : بعد الأعاصير .
(*) هذا وهذا وهذا : بعد الأعاصير .
(*) ميثاق الأمم : بعد الأعاصير .

ولاتصغوا إلى من قال «دعوى   يروّج أمرها باغ وخبُّ»
هبوهم خادعين ، فهل رأيتم   مخادعةً بشيء لا يُحَب ؟
إذا الأقوام جدٌ بها هواها   إلى حق فما فى الحق صعب
ولو لم تصبُ دنياكم لسلم   لما خُدعتْ به من حيث تصبو

* * *

تهنئة بمولد(*)

مهنئى أنت يا صديقى   بمولدى - طبتَ من صديق
أنسيتنى أنه غروب   ساعةَ هنَّأتَ بالشروق
تسع وخمسون فى طريق   لم أدر ما وجهة الطريق
أُسائلُ الركب أين يمضى ؟   وكلهم ها هنا رفيقى
لا أنا أدرى ولا رفاقى ؟   يدرون بالموعد الوثيق
ركبٌ عجيبٌ بلا دليلٍ   من محدَث فيه أو عتيق
إذا مضى منهم فريقٌ   ألى المطايا إلى فريق
وكلهم يبتغى مسيرا   فى مَشرع سار أو مضيق
يطيق طول السّفار عدوًا   وليس للمهل بالمطيق
إخالنا كلنا وقوفا   هنا على موقف عميق
فى أبدٍ لا زمان فيه   مقترن السبق باللحوق
أقربٍ من يومنا وأوفى   من طارق الليل فى الطروق
يكاد لولا الحجاب يبدو   كالظل من ستره الرقيق
أتُعْصَب العينُ حول سر   والسر فى موضع سحيق ؟

* * *

حشرات(*)

ما وجدنا من البرية إلا   خُلقًا زائفًا وجهلا مبينا
حشراتٌ لا تعرف الخير والشـ   رَّ وفيها الهلاك للعارفينا

* * *

(*) تهنئة بمولد : بعد الأعاصير .
(*) حشرات : الجزء الأول .

ألم اللذة ولذة الألم (*)

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها ... تنام إذا طال الصياح على النَّهَمْ
وقهر الفتى آلامَهُ فيه لذةٌ ... وفى طاعة اللذات شىءٌ من الألم

* * *

الحياة حياة (*)

قالوا الحياة قشور ... قلنا : فأين الصميم
قالوا «شقاءٌ» فقلنا ... نعم ! فأين النعيم ؟
إن الحياة حياة ... ففارقوا أو أقيموا

* * *

المجد والفاقة (*)

ضلَّ الصوابُ وغُمَّ الأمر واشتبهت ... على المراقب يمناه بيسراه
شيبٌ عُراةٌ وأطفالٌ مجوَّعةٌ ... ونسوةٌ نسيت ما ليس تنساه
ليس البلاء بلاء القوت نندبه ... بل البلاء بلاء الخُلق ننعاه
ما أبخس الروحَ فى مصر وأرخصها ... وأنفس الخبز فى مصر وزغلاه
لا تحسبوا أمة يعلو أعاظمها ... إذا الفقير طلابُ القوت أعياه
أيرزح القوت فى أرض بطالبه ... ويبلغ المجدَ فيها من توخاه ؟
هبكم قسوتم على من ذَنبُه كسلٌ ... عن غمرة العيش يثنيه وينهاه
ما بالُ مَن ذنبه ياقوم أنكم ... فى العجز لا فى اقتسام الرزق أشباه
دفنتم المال آكاما فهل نبتت ... فى باطن الأرض أو زادت خباياه
إن العزيز ليأبى الذل يلمحه ... كالإثم يأبى العفيفُ الذيل رؤياه
والهفَ نفسى على قوم إذا نظروا ... ذل الفقير سعوا فى كشف بلواه
وألف لهفٍ على قوم إذا شغفوا ... بالمال يدرون فى الدنيا مزاياه

* * *

(*) ألم اللذة ولذة الألم : الجزء الأول .
(*) الحياة حياة : الجزء الأول .
(*) المجد والفاقة : الجزء الأول .

الوجوه الكاذبة (*)

سحقاً لهاتيك الوجوه فإنها ... كذَّابةٌ لا تحسن التمويها
حسنتْ ولو نقلت صفات نفوسها ... لرأيت أقبح ما رأيت وجوها

* * *

إلى السعادة (*)

مهْ ياسعادة عنى ... فما أنا من رجالكْ
لا تطمعى اليوم منى ... بالسعى خلف خيالك
فقد سألتك حتى ... مللت طول سؤالك
وقد جهلتك لمّا ... سحرتنى بجمالك
إن الحبيب بغيضٌ ... إذا استعزَّ بخالك (1)
فلا تمُرِّى ببالى ... ولا أمرُّ ببالك
أشقى الأنام أسيرٌ ... معلقٌ بحبالك

* * *

اللؤم سلاح (*)

يسر صديقى أن يرانى مُبرَّءًا ... من اللؤم موسوما بكل سماح
كما سرَّ خصما أن يراك أمامه ... تنازله حربًا بغير سلاح
هو اللؤم سيفٌ للّئيم وجُنةٌ ... من الناس ، والدنيا مجال كفاح
فواهًا لنفسى فى المجال مجرَّدًا ... أضعت مِجنى(2) بينهم ورماحى

* * *

العقل والجنون (*)

ليس بين الجنون والعقل إلا ... خطوتًا سائر فحاذرْ وأمسكْ
أول الخطوتين نسيانك النا ... سَ ، وأما الأخرى فنسيان نفسك

* * *

(*) الوجوه الكاذبة : الجزء الأول . (*) إلى السعادة : الجزء الأول .
(1) الخال : الكبرياء والخيلاء ، أى أن أحب الأحباء تمجه النفوس إذا أفرط فى الخيلاء .
(*) اللؤم سلاح : الجزء الأول . (2) المجن : الترس . (*) العقل والجنون : الجزء الأول .

الرجاء (*)

مـــــا للرجـــــاء كـــــأنه نَغمٌ ... يدنو فـأسـمـعـه فـيـبـتـعـد
يا ضـاحكا للناس يخـدعـهم ... هلاًّ وفـيـت لهم بما تعـد
لو نال منك الناس أجـمـعـهم ... فـــوق المرام لأمكن المدد
لكنْ بخلت فـمـا يزال لهم ... شـوقٌ إلى شـوق وإن جـهـدوا
وردوا إليك فكان أظـمـأهم ... قلبًـا على شطِّيك مَن وردوا

* * *

حظ الشعراء (*)

ملوكٌ ، فـأمـا حـالهم فـعـبـيـد ... وطيـرٌ ، ولكنّ الجـدود قـعـودُ
أقاموا على متن السحاب فأرضهم ... بعـيـد ، وأقطار السـمـاء بعـيـد !
مـجـانينُ تاهوا فى الخـيـال فودعـوا ... رواحـة[1] هذا العـيـش وهو رغـيـد
ومـا سـاء حظ الحـالمين لو أنهم ... تـدوم لهم أحـلامـهـم وتجـود
فـوارحـمـتـا للظالمين نفـوسَـهم ... ومـا أنصـفـتـهم صـحـبـة وجـدود
ويذرون من مس العـذاب دموعـهم ... فـيُنظم منهـا جـوهر وعـقـود
بنى الأرض كم من شاعر فى دياركم ... غـبين ، وغبن الشـاعـرين شـديد
بنى الأرض أولى بالحـيـاة جـمـيلةً ... مـحـبٌّ عليـهـا من حـلاه نضـود
مـحـبٌّ تناجـيـه بأسـرار قلبـهـا ... ومـهـمـا تردْ فى العـيش فـهـو يريد
على أنه قـد يبلغ السـؤالَ خـاطب ... خليٌّ ويُزوى عن هواه عـمـيـد
بنى الأرض لاتنضوا له السيف إنه ... يُذاد عن الـدنيـا ولـيس يذود
أريدَ به للناس خـيـرٌ فلم يزل ... به عَـمـهٌ عن نفـسـه وشـرود
تجـمّـعت الأضـداد فـيـه فـحكمـة ... وحـمق ، وقلب ذائبٌ وجـمـود

(*) الرجاء : الجزء الأول .

(*) حظ الشعراء : الجزء الأول .

(١) رواحة : رفاهة .

حُمـاداه[1] صبرٌ فى الحياة وإنما
هى النار تخبو ساعة وتعود

مقيم على عرش الطبيعة حاضر
ولكنه بين الأنام فقيد

إذا جال بالعينين فالكون بيته
فإن مدّ بالكفين فهو طريد

وأقصى مناه فى الحياة نهاره
وأدنى مناه فى الممات خلود

يرى الغيب عن بعد - فمقبل عهده
قديم ، وماضيه القديم جديد

إذا عاش فى بأسائه فهو ميت
وإن مات عاش الدهر وهو شهيد

شقاوته فى الشعر وهو هناؤه
وليس له عن حالتيه محيد

جنونٌ أحق الناس طرًّا بهجره
أولو الفهم - لو أن الفهوم تفيد

* * *

عزاء (*)

لا اليأس أول يأسٍ
ولا الرجاء بسرمدْ

فإن تقضّى رجاءٌ
فإنه يتجدّد

أو حلّ يأسٌ فأهلاً
إن الطريق ممهد

شقَّ الطريقُ قديمًا
فالعود أهدى وأحمد

* * *

إنصاف الظالم (*)

أنصفتَ مظلومًا فأنصف ظالمًا
فى ذلة المظلوم عذر الظالم

من يرضَ عدوانًا عليه يَضيره
شرٌّ من العادى عليه الغاشم

* * *

(١) حماداه : قصاراه أو خير ما يستطيعه .
(*) عزاء : وحى الأربعين .
(*) إنصاف الظالم : وحى الأربعين .

أحلام الموتى (*)

(أرسلت الأبيات الآتية إلى صديقنا الشاعر العبقرى عبد الرحمن شكرى) : -

ستغرب شمس هذا العمر يومًا ... ويغمض ناظرى ليل الحمام
فهل يسرى إلى قبرى خيال ... من الدنيا بأنباء الأنام
ويُمسى طيف من أهوى سميرى ... ويؤنس وحشتى ترجيع هام
وأحلم بالزواهر دائرات ... وبالزهر المنوّر والغمام
ألا ليت النيام هناك تحظى ... بأحلام كأحلام النيام
وليت الورد يورق فوق رمسى ... فتعبق فى نوافحه عظامى
وأبسم فى أزاهره لِدُنيا ... عبست لوجهها فوق الرغام

فأجابنى بأبيات يقول منها :

وكان النصف أن نرضى بموت ... فلا طيف يساعد باللمام
أليس الكون أكبر منك شأنًا ... وأولى بالمقادر والنظام

فراجعته بالأبيات الآتية :

أبيتَ علىَّ أحلام الرجام ... تنير حواشىَ الموت الزؤام
رضينا بالحمام أصمّ يحشو ... منافذَ حِسِّه سافى الرغام
رضينا بالحمام كما رضينا ... بعيش نوره ظل الحمام
خلعت اسمى على الدنيا ورسمى ... فماأبكى رحيلى أو مقامى
حياتى فى حياة الكون طرًّا ... كقطر الغيث فى اللجج الطوامى
وما شمس الحياة بمستحيل ... سناها إن قضيتُ إلى ظلام
يظل الحسن فى المعشوق حسنًا ... وإن حسرت لحاظ المستهام

***

(*) أحلام الموتى : الجزء الأول .

ضيق الأمل (*)

شــرٌّ مــايلقى الفــتى أجلٌ ضـــــيقٌ عن واسع الأمـل
ولـشـــــرٌّ منهـــمـــــا أمل ضـيق فى فـسـحـة الأجل

* * *

الشىء من غير معدنه (*)

لـيس أضنـى لـفـــــؤادى من عـــجـــوز تتـــصــــابى
ودمـــــيم يتــــحــــالى وعـليـم يتـــــغـــــابى
وجــــــهـــــول يملأ الأر ض ســـــؤالا وجـــــوابا

* * *

خفـف العيش (*)

خفْ الـعـــــيش فـــــإن المو ت لا يـفــــجع مـــــولـودا
وإن المـــوت إذ يـــأتـــيـــ ـك لا يلـفـــيك مـــوجـــودا !

* * *

السعادة (*)

إن الشــقىَّ الذى لا صِنْوَ يشـبـهـه وللأصـــاغـــر أشـــبـــاهٌ وأمـــثـــال
من شـــابه الناسَ ســرَّته مــودتهم ومن عــلا عنهمُ ســاءت به الحــال
فـــاهنأ بمجـدك إذ تشــقى بعـزلتـه وليــحظ بالصــفــو أوغــادٌ وجــهـــال
إن الســعــادة تحت الأرض مـعـدنها لا يطلب الســعــد من آوته أجــيــال

(*) ضيق الأمل : الجزء الأول . (*) الشىء من غير معدنه : الجزء الأول .
(*) خفف العيش : الجزء الأول . (*) السعادة : الجزء الأول .

زماننــــا (*)

فشت الجهالة واستفاض المنكر | فالحق يهمس ، والضلالة تجهر
والصدق يسرى فى الظلام ملثّمًا | ويسير فى الصبح الرياء فيسفر
إنا لفى زمن كأنَّ كباره | بسوى الكبائر شأنها لا يكبر
من كل ذى وجه لو آن صَفاته | تَندى لكان من الفضيحة يقطر
بئس الزمان لقدٍ حسبت هواءَه | دنسًا وأن بحاره لا تطهر
وكأن كل الطيبات يردها | فيه إلى شر الأمور مدبّر
وثب اللئام إلى ذراه فقهقهوا | إن القرود لبالتسلق أخبر
ما نيلَ فيه مطلب إلا له | ثمن من العرض الوفير مقدر
وبقدر ما بذل امرؤ من قدره | يُجزى ، فأكبر من تراه الأصغر

* * *

صلاح المشيب (*)

أبعدَ الشيبِ ترغب فى الصلاح | وتزهد فى المدامة والملاح
فرغتَ من الحياة فأنت ترجو | حياةً فى الفراديس الفساح
رجعت عن الحرام وأنت عندى | عجزت عن المحرّم والمباح
فما تقوى الشيوخ سوى اضطرار | كتقوى اللص بات بلا سلاح

* * *

(*) زماننا : الجزء الأول . ١١١ (١٠٦ فقرة ٢٦) .
(١) الصفاة هى الصخرة . كأن هذه الوجوه من الصخر الذى لا يندى .
(*) صلاح المشيب : الجزء الأول .

عمر يوم(*)

من الناس فدم يومه مثل أمسه ... فأيامُه ما عاش يومٌ مكرّر
تسربل حينًا بالحياة فشانها ... كما يلبس الخزَّ الأجيرُ المسخر

* * *

الملام (*)

أنا لا ألوم ولا أُلام ... حسبى من الناس السلام
ليس العتاب بمصلح ... خللا تـوارثـه الأنام
أنا إن غنيت من الأنا ... م فقد غنيت عن الملام
وإذا افتقرت إليهمُ ... فاللوم من لغو الكلام

* * *

الفضل المغموط (*)

إذا كنت ذا فضل فلا تكُ غابطًا ... جهولاً بلا فضل لديه يُعظَّم
لعلك لا ترضى ، وقدرك خاملٌ ... بأنك تغدو مثله وهو مكرَم
وأجملُ ألا يعرف الناس فاضلا ... ويعرفهم ، من أن يموق ويعلموا

* * *

قانون العظماء(*)

لاتلحَ ذا بأس وذا همة ... على ذنوب العصبة الغلّب
فليس مقياسك مقياسهمً ... ولاهمُ مثلك فى المأرب

(*) عمر يوم : الجزء الأول .
(*) الملام : الجزء الأول . ١٢٠ (١١٧ - فقرة ١٠٦) .
(*) الفضل المغموط : الجزء الأول .
(*) قانون العظماء : الجزء الأول .

واللـيث لا توثِق أعــــضــــاده حـــبــــالة تنصب لـلثـــعلب
انظر إلى مـــا خلّفـــوا بعـــدهم من المعــــالى ثم لُـمْ واعــــتب
لـــم يَـخـــط إن داس رؤس الـــورى من علِقت كـــفــــاه بالكوكب
من ركب الـهـــائل من أمـــره فـــعـــذره فى ذلك المركب

* * *

مـدح الناس (*)

مـــا عـــهـــدنا الأنام أجـودَ بالمد ح لأعـــــلاهُم لـديهـم مكـانـا
إنما يُظهــرُ الأنام ضـئـيـــلا ليس يخـــفــيـــهمُ إذا هو بـانا

* * *

حب النفس (*)

مـــا فى الأنام ســوى مـــحب وامق سكن الغــرام بكل قلب خـــافق
فى كل قلب صــورةٌ مـــعـــبــودة وكـــمينٌ وجــدٍ بالجــوانح عـــالق
لا القـــبح ينقـــصـــه وليس بزائد حـــسن الشـــمـائلِ فى هواه الصادق
عـــشق تملّك كل نفس حـــيـــة فى الكون والمعـــشـوق عين العـاشق

* * *

كنت فصرت (*)

كـأس الحـيـاة أعلّينى على ظمـأ وبللى بالحُـــمــيّـا طين صلصـالى
وأسكرينىَ حـــتى لا يكون ردى إلا كـمـا غـاب حس بعـد جـريال[1]
وفـتشى فى زوايا القلب فاقتـدحى ظنًا بظن وبلـبـــالا ببلبـــال
إنى حـسـبت حيـاتى غيـر واحـدة من التـغـيـر من حـال إلى حـال
. . . .

* * *

(*) مدح الناس : الجزء الأول . (*) حب النفس : الجزء الأول .

(١) جريال : خمر ، والمقصود أن خبر الموت ما كان من فرط الشبع بالحياة كالغيبوبة بعد الارتواء من الخمر .

(*) كنت فصرت : الجزء الأول ١٢٢ (١١٨ (فقرة ١١٠)) .

إن الحياة حياة كيفما اختلفت ... ألوانها من مسراتٍ وأوجال
كم ذا أهبت بروحى أن تفارقنى ... ورحت أجفل منها أى إجفال
فالآن أنشد آلامى وأحمدها ... كيما أُحس بروحى بين أوصالى

* * *

الغنى والسعادة (*)

لا تحسدنَّ غنيًّا فى تنعُّمه ... قد يكثر المال مقرونًا به الكدر
تصفو العيون إذا قلت مواردها ... والماء عند ازدياد النيل يعتكر

* * *

ياكتبى (*)

ياكتبى أشكو ولا أغضب ... ما أنت من يسمع أو يُعتب
يا كتبى أورثتِنِى حسرة ... هيهات لا تنسى ولا تذهب
يا كتبى ألبستَ جلدى الضنى ... لم يغن عنى جلدك المذهَب
كم ليلة سوداء قضيتها ... سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألمح تحت الدجى ... جماجم الموتى بدت تخطب
والناس إمَّا غارق فى الكرى ... أو غارق فى كأسه يشرب
أو عاشق وافاه معشوقه ... فنال من دنياه ما يرغب
أو سادر يحلم فى ليله ... بيومه الماضى وما يعقب
ينتفع المرء بما يقتنى ... وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى ... وخبرة صاحبها متعب
إذا أرانى النور قبحًا فيا ... حُسن الذى يضمره الغيهب
ياكتبى أين ترى المُنتأى ... عن أسر أرواحك والمهرب
أنقت منى ما يضن الورى ... به على الله ولم يذنبوا!

(*) الغنى والسعادة : الجزء الأول .

(*) ياكتبى : الجزء الأول .

من ضـوء عـينىّ ومن صـحـتى ... سـدًى ومن وقـتى ومـا أكـسب
ومن شـبـاب فـيكِ ضـيـعـتـه ... فـمـا أنا إلا الفـتى الأشـيب
لو كنت كـالجـبـار فى نقـمـتى ... لكان فى النار لهـا مـعطب
فى ذمـة الطرس وفى حـفظه ... عـمـر تقـضّى شطره الأطيب
لا رحم الرحـمن فـيـمن مـضى ... من علّم العـالم أن يكتـبـوا

* * *

الشيب الباكر (*)

مـا أقـبل الليل حـتى طرتَ بالقـمَم ... ياصبحُ جرت على الظلماء فى القِسَم
وما انقضى شـفق الأيام عن عمُرى ... فكيف لحت بفـجـر منك مـتّـهم ؟
لو كنت تحـسـب أيامى لما خطرت ... يداك ياشـيبُ فى مـسـودّة اللِّمم[1]
دون الثلاثين تعرونى ؟ وما انصرمت ... إلا كـمـا تنقضى الأعوام فى الحلُم ؟
مـرت بقـادمـتىْ نسـر مـوليّـةً ... وكنتُ أعـهـد فـيـهـا ثقلة الرخم
ومـا اعـتـدادك بالأيام تحـسـبـهـا ... وإنما أنت خـدن الويل والألم
إذا ألمّا بإنسـان.صـحـبـتـهـمـا ... فـانزل فـقـد نزلا فى أعظمى ودمى
مـا أنت طارق دار لا رفـيق بهـا ... ولستَ مُـهـرِم قلب ليس بالهـرم
قد شبتُ والشعر مسودٌّ فما عجبى ... من واضح الشيب بعد الشيب فى القتَم
ما كان مسودّ شعرى وهو مشتمل ... عليك إلا كـجلبـاب من الكتم[2]
قل لابن تسـعين لا تحزن فـذا رجل ... دون الثـلاثين قـد ساواك فى الهـرم
إذا ادّكرتَ شبابًا فى النعيم مضى ... لم يذكـر من شـبـاب كـان أو نِعم
وما انتفاعى وقد شاب الفؤاد سدى ، ... إن لم تشب أبدًا كـفى ولا قـدمى
وليس ما يخدع الفتيان يخدعنى ... كلاّ ولا شيم الفتـيان من شيـمى
ياشيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها ... فـانزل بلا ضـائقٍ بالشـيب أو برِم[3]
من لا يبـالى أفـجـر أنت تنذره ... بالصبح أم أنت ضوء النجم فى الظلم
يامـرحـبًـا بصـبـاح ليس يسلبنى ... صـفـوًا ، وبُعْـدًا لليلٍ فـيـه لم أنم

(*) الشيب الباكر : الجزء الثانى .

(١) اللمم : جمع لمة وهى الشعر .

(٢) الكتم : صبغ للشعر والمعنى أن الشعر الأسود الذى ينطوى على قلب أشيب إنما هو كالشيب المصبوغ .

(٣) برم : متضجر .

إيه يادهر (*)

إيه يادهر هات مــاشـــئتَ وانظر عـــزمـــات الرجـــال كـــيف تكون
مـــا تعـــســـــفتَ فى بلائك إلا هان بالصــبـــر منه مـــالا يهـــون

* * *

الخداع القاتل (*)

إلامَ تخدعنى عينى وما انخدعت نفسى ولكنها تهفو مع البصر
جـــربت كل خليل فى مــودته فما جمعت يدى إلا على صَفر[1]
أكلما ضاء لى نجم فأتبعه ، خبا الضياءُ فلم أبصر سوى كدر
أكلما قلت هذا جوهر ، نَطقتْ عليه دونَ بنانى حسةُ الحجر
أكلما لاح لى صيدٌ فأحسبه صيد الأسود ، إذا الجرذان فى الأثر
أكلما قلت هذا كوثر خَضِرٌ تجمع الصابُ لى فى الكوثر الخضر[2]
ويلاه ! ما أحقر الدنيا وأبغضها لم ينجُ أحسن ما فيها من القذر
عَزَّ الكمال على خَلْق الخيال فما طماعةُ المرء أن يلقاه فى البشر

* * *

الهـــداية (*)

كم فى الســمـــاء نجـــوم ضلت ســـواء الســبـــيل
وأنت فى الأرض تبـــغى هدْيًا بغـــيـــر دليل ؟

* * *

(*) إيه يا دهر : الجزء الثانى .
(*) الخداع القاتل : الجزء الثانى .
(١)صفر : خلو . (٢) الخضر : البارد .
(*) الهداية : وحى الأربعين .

سحر الدنيا(*)

سحر دنياك يا أخيَّ قديم ... سوف يبقى ، ويذهب الكهان
أفيمضى بسحرها كاهنٌ ما ... ت وفيها الشموس والأغصان ؟
أفيمضى بسحرها كاهن ما ... ت وفيها الثغور والأجفان ؟
أفيمضى بسحرها كاهن ما ... ت وفيها الألحان والألوان ؟
كاهن الأولين أول مسحو ... ر ، وفى كل حقبة ترجمان
سحر دنياك دائم حيثما دا ... م عليها الإنشاد والتبيان
سحر دنياك دائم حيثما دا ... مت عليها الحياة والإنسان

* * *

فلسفة حياة (*)

الغرام المِلْك ، والملكُ الضياعْ ... هات لى الحسن الذى ليس يضيعْ
ليلة قمراء ، أو سحرَ سماع ... أو قصيدًا راق ، أو زهر ربيع
قال قومٌ زينةُ الدنيا خداع ... قلت خيرٌ ! بالذى نشرى نبيع

* * *

زاهد الهند نعى الدنيا وصامْ ... أنا أنعاها ولكن لا أصوم !
طامع الغرب رعى الدنيا وهام ... أنا أرعاها ، ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حدٌّ قوام ... ولْيَلُمْ من كل حزبٍ من يلوم

* * *

أيها السائل : ما بعد المماتْ ؟ ... يمم الصحراء وانظر قفرها
ماوراء القبر فى قول الثقاةْ ... حالة تحمد يوما سرها
لستَ بالراضى حياةً كالحياة ... لا ولا ترضى حياةً غيرها

* * *

(*) سحر الدنيا : وحى الأربعين .

(*) فلسفة حياة : وحى الأربعين .

يعـبـد الأقـوام مـايخـشـونه وأنا أعـبـد مـا لست أخـاف
لـيس ينسى الله من ينسـونه فـعـلام البـحث فـيـه والخلاف
إن وصلتم أو وقـفـتم دونه لـم يقف دون مـقـام أو مطاف

* * *

شـرعُك الحسن فـمـا لايحسن فـهـو لا يحلو ، وإن حلّ الحـرام
لـيس فـى الحـق أثـامٌ بـيِّنٌ غـيـر مسخ الحسن أو نقص التمـام
مـاعـدا هـذين مما يمكن فـاسـتـبـحـه ، على الدنيـا السـلامْ

* * *

إنذار الغضب
إلى الحق المحتجب(*)

ياحقٌّ لا تبـرح خـبـاءَكْ أتعـبـتنا سـعـيًـا وراءك
فـيـمَ الإباء ؟ ولـم نكـن يا حق إلا أصـدقـاءَ ك
فـالزم مكانك فى الثـرى إن شئت ، أو فالزم سماءك
مـا الروضـة الغـناء ذا بلةٌ إذا حُـرمتْ ضـيـاءك
والنـاس لا يجـفـوننا يومًـا ، إذا علمـوا جـفـاءك
والحـسـن عـنـد المبطلـ ـين ، وعند من يهوى عداءك
مـا فـاز من يرجـو رجـا لك فى الحـيـاة ولا نسـاءك
أنا إن سلوتـك لـم أكـدْ أشـتـاق مـا يغنى غناءك
يـاحق هـذا حـدُّنـا فـاختـر ظهـورك أو خـفـاءك
إن جـئـتنا طوعـا فـجئْ أوْ لا فـلا تبـرح خـبـاءك ! .

* * *

(*) إنذار الغضب : وحى الأربعين .

كل ما فيها امرأة (*)

أيّمـــا لـفـظـة جـــرتْ　　مـن فـم المـرأة امـــــرأة
تبـتــغى الزوج من فــئـةْ　　والأخـــلاّء من فـــئـــةْ
لـيس بـالجـــسم وحـــده　　يعـــرف «الجنس» منشـــأه

* * *

المعروف والمنكر (*)

كل مـــاتصنع الحـــيـــاة يُرجّى　　من بنيـهـا قـبـوله واعـتـقـاده
فـإذا أنكروا قـبـيـحًـا فـفى القبـ　　ـح من الموت لونه أو شـعـــاره
ذاك لب اللبـاب فى كل شىء ،　　شطٌ بالفكر أو تدانى مـــزاره

* * *

حكمة التوائم (*)

حـكـيـمٌ ذلـك الـتـــوأمْ　　ومـن آبـائـه أحـــــزمْ
تهـــيّـب أرضـــهم فـــردًا　　فــجـاء بصـاحب مُلزم !
ولـو جـــاء بجـــيش كـــا　　ن فى تـدبـيـــره أحـكـم !

* * *

(*) كل مافيها امرأة : «الجنس» عابر سبيل ص ١٠٨ .
(*) المعروف والمنكر : وحى الأربعين .
(*) حكمة التوائم : وحى الأربعين .

على بحر الحياة (*)

أمن نظرة الآباد والمثل الأعلى — إلى اليوم بعد اليوم والنظرة العجلى ؟
لقد كانت الأجيال عندى قريبةً — فقد عادت الساعات توسعنى ثقلا
نظرتُ إلى عُليا الحياة أرودها — فألفيتها صفرًا ، ولم أحمد السفلى
فآليت أقضيها كمن راح طافيًا — على اليمِّ ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلا
فإن شئتَ قُلْ هذا غريق وإن تشأ — فقل سابحٌ لم يدر أقبل ولّى

* * *

نقمة فى نعمة (*)

نعمة الإحساس ما برحت — نعمةً فى طيها نقمُ
لا يحس الفقدَ فاقدها — ونصيب الواجد الألمُ

* * *

رعونة الحياة (*)

فيم اقتحام جنين واهن عُطُل — أرضًا أبوه بها حيرانُ مهموم
هى الرعونة فى طبع الحياة ثوتْ — وإنما حكمة الأقوام تعليمُ

* * *

(*) على بحر الحياة : وحى الأربعين .
(*) نقمة فى نعمة : وحى الأربعين
(*) رعونة الحياة : وحى الأربعين .

بنية قوية (*)

تعاقب السوس والجراد وما | باد ربيع ولا انطوى شجر
فلا تخف آفة ولا غيرا | يُمنى بها فى الضمائر البشر
دنياك هذى قويةٌ صمدت | لكل شر جرى به القدَر

* * *

ما فوق الحياة (*)

ياطالبًا فوق الحياة مدًى له | يعلو عليها - هل بلغتَ مداها ؟
ما فى خيالك صورة تشتاقها | إلا وحولك لو نظرت تراها
ولو استويت على الخلود وجدتَها | كفؤًا لعينك لا تروم سواها

* * *

على الشاطئ (*)

وردوا البحر فأهلاً | بهمُ - يابحر - أهلا
أنت لا تحفل منهم | مَن وَلى أو من تولَّى

* * *

نزلوا شطَّك غيدًا | وشبابا ومشيبا
طلبوا فى الماء بردا | فذكا الماء لهيبا

* * *

(*) بنية قوية : وحى الأربعين .
(*) ما فوق الحياة : وحى الأربعين .
(*) على الشاطئ : وحى الأربعين .

وردوا البـــحـــر عطاشـــا　　رشـــفـــوه . غـــرفـــوه !
لو يكون البـــحـــر بحـــرًا　　مـن ســــــرور نـزفـــــوه

* * *

المســـــــــاكـين يـريـدو　　ن من الدنيـــا اتســـاعـــا
اخـــدعــوها ، فـــهى لاتو　　ســـعكـم إلا خـــداعـــا

* * *

وإذا لاحـت بـوجـــــــه　　يملأ الأبصـــار رعـــبـــا
فـاضـحكوا منهـا وقـولوا　　مـا أُحَـيْلى مـا أحـبـا !

* * *

وإذا مــــــدت إلـيكـم　　بيــدٍ فـيـهـا الحـمـام
فـــخـــذوا الموت وقـــولوا　　هـو خـلـدٌ وســـــــلام !

* * *

نصف رغيف (*)

عـجـبى للحـيـاة أشـرف مـا تحـو　　يه وقف على الحـقـيـر الطفـيف
صـفـحـات السـمـاء والأرض طرا　　والمعـــــانى مـن تـالـد وطريـف
والوجـــوه التى تشـــوقك حـــسنا　　تنطوى إن فـــقـــدت نصف رغـــيف

* * *

ذات وجوه (*)

وجـوه حـيـاتنا مـتـعـدداتٌ　　ودع عنك البـــراقع والطلاء
فإن تحـمـد وسـامتها صبـاحـا　　فـقـد تنعى دمـاتها مَسـاء

* * *

(*) نصف رغيف : وحى الأربعين .
(*) ذات وجوه : وحى الأربعين .

ضلال الخلود (*)

كان فى الأرض قبل عشرين ألفا ... من سِنى الأرض ، شاعرٌ عبقرىٌّ
كان ، لا شك فيه عندى ولا ميـ ... ـن ، وإن شك جاحدٌ وغبىٌّ
نظم الشعر فى الحسان وحيّى ... قبلةَ الشمس وهو داع شجىٌّ
ليت لى من قصيده بيت شعر ... فى ثنايا البلاد يروِّيه حىٌّ
ليت لى من قصيده فردَ بيتٍ ... صح أم لم يصح منه الروىّ
اشترى بيته بديوان شعبـ ... ـين ، فأين المساوم الصيرفىّ ؟!
ضلةً للخلود نأسى عليه ، ... أخلد الخالدين فينا دعىٌّ !

***

أصداء الشارع (*)

بنو جرجا ينادو ... ن على تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألو ... ك تعريبًّا وتتريكا
وبتراكى إلى الجو ... د على الإسلام يدعوكا
وفى كفيه أوراق ... بكسب المال تغريكا
وأقزامٌ من اليابا ... ن بالفصحى تحييكا
وإن لا تكن الفصحى ... فبالإيماء تغنيكا
قريبٌ كلها الدنيا ... كرجع الصوت من فيكا
دعى الداعى فلبوه ... طغاةً وصعاليكا
إذا ناديت يا دنيا ... رُ من ذا لا يلبيكا ؟!
فما فى الناس هاذاك ... ولا فى الأرض هاتيكا

(*) ضلال الخلود : وحى الأربعين .

(*) أصداء الشارع : عابر سبيل .

عصر السرعة (*)

طاروا وداروا مسرعين فى الثرى | يركب منهم رأسه من ركبا
لولم يكن هذا الزمان آفةً | ما اتخذوا السرعة منه مهربا

* * *

عسكرى المرور (*)

متحكمٌ فى الراكبين | وماله أبدًا ركوبَهْ
لهم المثوبةُ من بنا | نك ، حين تأمر ، والعقوبَهْ
مر ما بدالك فى الطريق | ورُض على مهل شعوبَهْ
أنا ثائر أبدًا وما | فى ثورتى أبدًا صعوبه
أنا راكب رجلى فلا | أمرٌ علىّ ولا ضريبه
وكذاك راكب رأسه | فى هذه الدنيا العجيبه

* * *

الفنادق (*)

فنادقُ تشبه الدنيا لقاءً | وتفرقةً ، وإنْ قصر المُقام
تقول لكل من وفدوا عليها | بأن العيش نهب واغتنام
فمن تلقاه فى يوم صباحا | تفارقه إذا جنّ الظلام
ورب عصيةٍ فى الحب باتت | وأقربُ من بدايتها الختام
تقول لقلبها ما الحب إلا | أمانٌ حيث يزدحم الزحام
فلا سر هنالك مستباحٌ | ولا شوق هنالك أو غرام

(*) عصر السرعة : عابر سبيل . (*) عسكرى المرور : عابر سبيل . (*) الفنادق :عابر سبيل .

منازلُ كل مـا فـيـهـا انسـجـام ! منازل كل مـا فـيـهـا انقـسـام !
ومـا افـتـرقت شـعـوب الأرض يومـا كـمـا افـتـرقـوا ، إذا انصـرفـوا أو هامـوا
فـفـيـهـم يافثٌ حـينا وشـيـثٌ وفـيـهـم تارةً حـام وسـام

* * *

المصرف(*) «البنك»

شـبـران من ذاك البناء
بينى وبين المال والدنيـا العـريضـة والثـراء
ليست بأقصى فى الرجاء
من حـفـرة المدفـون فى شـبـرين فى جـوف العـراء
كـلا ! ولا أدنى على قـرب المزار لمن يشـاء
أعرفت آماد السماء ؟!

* * *

فى سكَّتى أبدا ومـا
من سكة أبدا إليـه ، ولست ألغـز عندمـا
أصف الطريق أو الحمى
أنظر بعـينيك البناء سـمـا وطال وأظلمـا
واسـأل : أهذا مـصـرفٌ مـلأوا جـوانبـه دمـا ؟
تجدْ الصواب مجسما

* * *

فـيـه دم لا شك فـيـه
فى كل طرس أو كـتـاب أو سـجل يحـتـويه
ودم المقتـر والسـفيه
يجـرى هناك وأنت تحـسـبـه من الورق الرفـيـه
نُغليـه كـالدم فى العـروق سـرى ، وكـالدم نتـقـيـه
وسـل المـدلـس والـنـزيـه !

* * *

(*) المصرف : عابر سبيل .

* * *

سلنى فلم أك طالبـــا
ورقًا هنالك على الرفوف أنال منه جانبا
وأعـــد منه حاســـبا
ألا لأوراق أراها قارئا أو كاتبا
ولما تجيش به الخواطر حاضرا أو غائبا
ودع الحســـود الغاضـــبا

* * *

يارب .. ويا خلق ! (*)

يـارب !

يـارب أعـطـيـنـاك أرواحـنـا   في هذه الحـرب وفى الماضـيـةْ
يا ربنا فـــاقض لنا مـــرةً   بالسلم فى أيامنا البـاقـيـة

ياخلــق !

ياخلق مـا أرواحكم سـمـحـةٌ   عندى ، ولا إنْ سـمحت كافيه
أعطيـتمُ إبليس أضـعـافـهـا   من حَـيَـوات عندكم غـاليـه
وبعــتمُ فى ســوقــه كلّ مـا   وهبـتكم من عـيـشـة راضـيـه
لم تشـتـروا السلم بأرواحكم   بل اشـتـريتم نقـمـة ثانيـه
عطاؤكم إبليس ســمحٌ بلا   أجـر ولا أمنيـة خـافـيـه
ومـــا بذلتم قط لى قـربةً   إلا رجـاء العـفـو والعـافـيـه !

* * *

(*) يارب .. يا خلق ! : أعاصير مغرب .

بابل الساعة الثامنة (*)

(فى بعض الأحياء يمنع الشرط نداء الباعة قبل الساعة الثامنة ، فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين ،حتى إذا وافت الساعة المحدودة اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع ، كلٌّ وما يبيع ، وهى خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشياؤه ، فهى بابل لامراء ! .

قابلْ بين بابل هذه وبابل الفجر الذى تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط ، ولكنها تنسجم في معناها المبشر باستئناف الحياة وعودة النور ، وإن هذه المقابلات جميعًا لحقيقة فى الشعر ببعض الأصغاء) .

كم بابلٍ فى الساعة الثامنهْ ... تثــور فى حلتنا الســاكنةْ
خــفــيــةَ الأصداء لا تنجلى ... ولم تكن عـجـمـاء أو واهنة
شــتى فـإن أفـردتهـا لم تكد ... تـبين منـهـــا لفظة بائـنة
كـــأنما تصــــغى إلى راطن ... يتــعـــتع الأحـــرف أوراطنة
فلفظة ينطقــــهـــا دونهـــا ... عـشرون فى حلقومه قاطنة
واسمٌ يليه اسم وماجَمّعتْ ... قـــرينةٌ بينهـــمـــا قـــارنة
إن بعـدت عن سامع أو دنت ... لم تدنهـا أوصـافـهـا المائنة
البـرتقـال الحلو والفـحم والا ... طبـــاق والريحـــانة الفـــاتنة
والبيض والأثواب والتبغ والأ ... خـــشـــاب والزينة والزائنة
وأشـربات العصر فى حينها ... مـثلوجة إن شئت أو ساخنة
والناى والأرغن تتلوهمـــا ... ربابةٌ كـــالهـــرة الداجنة

(*) بابل الساعة الثامنة . عابر سبيل .

ومن يناديهـا ويدعـو بهـا | إليـه ، فى زوبعـة زابنة[1]
مـخلوطة ممزوجـة كلهـا | معجونة فى لفظها عاجنة
فى بابل الباعـة تلك التى | تسمـعـهـا لا بابل الحائنة
يحسبها الشرطى حتى إذا | حانت لديه الساعة الثامنة
أطلقها فانطلقت فجأة | على الحمى كالغارة الكامنة
تجدّ أقصى الجد لكنها | فى السمع كالمجنونة الماجنة

* * *

إذا تمادى النوم بى ضحوة | أو أرّقتنى خطرة رائنة
أيقظنى من بابلى هذه | نفير حربٍ فى القرى الآمنة

* * *

عباد الطغيان (*)

كلكم . كلكم مع الغالب الظا | لم لا تعدموا من الظلم رغما
لو وقفتم يوما إلى جانب المغلو | ب ما فاز غالبٌ قطُّ ظلما

* * *

اعرف ما ترميه تعرف ما تجنيه (*)

تعلم كيف تستغنى | إذا ماشئت أن تغنى
فمن يجهلُ مايُلقى | فقد يجهل ما يُجنى

* * *

(١) زابنة : دافعة .
(*) عباد الطغيان : أعاصير مغرب .
(*) اعرف ما ترميه : وحى الأربعين .

فصــد ! (*)

قــالوا هى الحــرب فــصْــدٌ ... بـه الشـــفــــاء يُؤمَّل
قلنا : نعم . فــصـد عـرق ... حىّ وإعـــفـــاءُ دُمَّل !

❋❋❋

الخلود المزدرَى (*)

نفـــوسٌ أعـــاف مـــقــامى بهـــا ... أأخلد فـــيـــهـــا ؟ لبــئس الخلود !
وســـجنٌ أعـــاف وجـــودى بـه ... أليس كـــفـــيــلا ببـــغض الوجـــود ؟
فـــدع عنك يا صـــاحـــبى خـــالد ... يك . وقل مَن مُـزَكٍّ لهم أو شــهـيـد
فــلا خـيـر فى عـيـشـهم سـرمـدا ... إذا سُـرمــدوا فى ضـمـيـر القـرود
فــرب خلود كــقــيــد الســجـ ... ـين ونسـيـان قـومٍ كـفكٌ القـيـود

❋❋❋

الشــعر (*)

إنى ألوذ بشــعـــرى حين يَطرقنى ... من الطوارق نُزَّالٌ وضـيـــفـــان
والشعـر من نفس الرحـمن مقـتبس ... والشـاعـر الفـذّ بين الناس رحـمـان
كـأن من صُـور إسـرافـيلَ دعـوته ... لو يسـمعُ الصـورَيوم البـعث صـفـوان
يظل ينطف من مـاء الحـيـاة ندًى ... على الجـمـاد فـيـزكـو فـيـه ريَعـام
فـــمـــا يزال لـراويه وقـــائلـه ... من الخـلائق سُـمّـار وخُلصـان
يجنـى المودة بما لاحـــيـــاة لـه ... إذا جـفـاه من الأحـيـاء خـوّان

(*) فصد : أعاصير مغرب .

(*) الخلود المزدرى : أعاصير مغرب .

(*) الشعر : من قصيدة الحب الأول (جزء ١) ٣٧ (٢٠ نقرة ٥٤) .

ويحسب النجمَ ألحاظا تساهره ... والودقَ يبكيه دمع منه هتان
إذا تجهم وجهُ الناس ضاحكه ... ثغرُ الورود ومال السرو والبان
أوملَّ هاتفةَ الأصوات أسمعه ... للريح والغاب أبواقٌ وعينان
تُفضى له ألسن الدنيا بما علمت ... كأنما هو فى الدنيا سليمان
لقد عبدتُ الأقانيم التى جمعت ... ما فرقته أقانيم وصلبان
الحب والشعر دينى والحياة معا ... : دين لعمرك لا تنفيه أديان
هى الحياة جنين الحب من قِدم ... لولا التجاذبُ ما ضمَّتك أكوان
والشعر ألسنةٌ تفضى الحياة بهاً ... إلى الحياة بما يطويه كتمان
لولا القريض لكانت وهى فاتنة ... خرساء ليس لها بالقول تبيان
ما دام فى الكون ركنٌ للحياة يُرى ... ففى صحائفه للشعر ديوان

* * *

سر فى طريقك (*)

سر فى طريقك بين اللائمين ولا ... تحفل بمن جدَّ فى لوم ومن لعبا
فالناس يرضون عمن ليس يحفلهم ... ويغضبون على من يحفل الغضبا

* * *

الخلاصة (*)

ليست خلاصةُ كل شيء غُنيةً ... عنه ، وإن كانت خلاصة ماهر
فالشهد وهو خلاصة الأزهار لا ... يغنى العيون عن الربيع الزاهر

* * *

(*) سر فى طريقك : وحى الأربعين .
(*) الخلاصة : وحى الأربعين .

وصايا معكوسة (*)

من عمل بها فعليه وزرها، ومن لم يعمل بها فأجره على الله

(إذا قال الرجل لرسوله : «اذهب إلى السوق فهات عنبا حامضا ! » فليس معنى ذلك أنه يطلب العنب الحامض وإنما معناه أنه يأباه وينبه إلى اجتنابه ، وكذلك هذه الوصايا إنما هى وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب .

والقصد منها أن تصف ما يقع أحيانا بين الناس ، وتنكر أن يشيع) :

الضعة والشرف (*)

والِ المدنَّس بالعيوب ولا تكن ... يوما وليًّا للنبيل الطاهر

فذُووا المعائب لا تناحر بينهم ... والنبل فيه سبيل كل تناحر

وذوو المعائب آمنون لمن وفى ... والنبل ليس بآمنٍ للغادر

وذوو المعائب مالهم من حاصر ... والنبل محصورٌ قليل الناصر

وذوو المعائب يسترون خلالهم ... والنبل ما لهناته من ساتر

وذوو المعائب عذرهم فى نقصهم ... والنبل ما لكماله من عاذر

وذوو المعائب ينعمون بحظهم ... والنبل ما لشقائه من آخر

ولرب ربح فات من ذى ذمة ... يسعى إليك مع الخؤن الخافر

رأىُ السلامة إن أردت فخذ به ... أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

* * *

(*) وصايا معكوسة : وحى الأربعين

(*) الضعة والشرف . وحى الأربعين .

بمن تثق !؟ (*)

ثقى بالرذيلة تلقـــهـــا　　فى كل حين حـــاضـــرةْ
إن الفـــضـــيلة قلّمـــا　　تلـقـــاك إلا عـــابرة
حـــتى الأفـــاضل عـــرضـــةٌ　　لهـــوى الـهنات البـــادرة
مــــــــاكـل يوم يُرتجى　　عطفُ النـفـــوس الطاهرة
ومـــن الـــنـــوادر أن تـــرى　　عند التـــعـــطُّف قـــادرة
مـــن لـــم يـــدُر فـــى دهـــره　　دارت عليـــــــه الـدائرة

* * *

ومن تكون (*)

ومن لا تكون

كن بينهـم « بوذا » فـــإن لم تطقْ　　فكن كـتـيـمـور ونيـرونا . .
أو عش مـــعـــافىً بينهم لا ترى　　إصـــلاحَـــهم دنيـــا ولا دينا
قـــد ضل من يطلب إصـــلاحـــهم　　لا غـــرو أن ســـمـــوه مـــجنونا !
يأمنهم من فـــاتهم طائعًـــا　　أو ســـاقـــهم كـــرهًا مطيـــعـــينا
أو راح مِنهم طالبًـــا نفـــعـــه　　لا عـــاليًـــايأبى ولا دونا
مـــن هـــان أو هـــان الـــورى عـــنـــده　　أو ســـامـــهم فى ظلمـــه ا لهُـــونا
أولـــئـــك الـــرهـــط الـــذى لـــم يـــزل　　يأمن مـــا يخـــشى النبـــيـــونا
يابؤس أرض لا ترى فـــوقـــهـــا　　إلا طغـــاةً أو مـــــرائيـنا

* * *

(*) بمن تثق : وحى الأربعين .
(*) من تكون : وحى الأربعين .

صور الرجاء (*)

أمسيت أذكر مامضى من صبوتى والذكر آمال الزمان الغابر
قد ييأس الإنسان من غده ولا تلقاه ييأس من حنين الذاكر
ماشئت من صور الرجاء فلُذْ به بعضُ الغد الآتى كأمس الدابر

* * *

قرش معقول (*)

إن أحبوا القرش لم يجدوا عجبا فى حبه الخطر
فإذا ما الطفل هام به جعلوه طرفة السمر
يامحبى القرش ويحكمُ هل سمعتم أصدق الخبر ؟
هل علمتم فى طرائفكم أىّ قرش بالهيام حَرِ ؟
ذاك قرش الطفل نضحك من حبه إياه فى الصغر
وهو أولى من قروشكم كلها بالحب والسهر
هو « حقّ » عنده جلل حاضر الميعاد والأثر
ثمن الحلوى يلذ بها وجمال الحسن والنظر
وأفانين الملاعب لم تخل من نفع ومن ثمر
وهو وهمٌ فى خزائنكم وخيال كاذب الوطر
وسجين ثم مدَّخر لرجاء غير مدخر
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا منه بالآيات والعبر
الحياة الحق ناضرة فاقطفوا من غصنها النضر

* * *

(*) صور الرجاء : وحى الأربعين .

(*) قرش معقول : عابر سَبيل .

جلال الموت (*)

أرى فى جلال الموت إن كان صادقا ... جـــلالة حق لا جــــلالة باطل
فـلا تجـعلنّ الموت حـجـة كـاذب ... لمدحــة مـذمـوم ورفـعـة سـافل

* * *

عصر السرعة (*)

- ١ -

طـــار فـــى الــذرى ... هام فـى الســـهـــول
مــســــرع الخطى ... حـــيـــثـمـــا يجــول
مــــالـه عــــدا ... عــــدوة الـوعــــول
مــــالـه سـطـا ... سطوة الســـيـــول
فـى صــعــــوده ... يشــــبــــه النـزول
تـلـك ســـرعــة الحـــا ... ثـــر المــــلــــول
تـلـك ســرعــــة الآ ... ثم الخـــجـــول
أيـن ســرعـــة الــ ... ـــســعـى والـوصـل ؟

* * *

التقـديس (*)

عـــارفُ التـــقـــديس رو ... حىٌّ ، وإن قـدّس جـســمـا
ومُــهين الجـسـم جـسـمـ ... ـىٌّ ، وإن كـــان «برَهمـــا »
أنت بالتـــقـــديس تسـمـو ... لا بما قـــدســتَ تُــســمى

(*) جلال الموت : وحى الأربعين . (*) عصر السرعة : عابر سبيل .
(*) التقديس : هدية الكروان .

السرور (*)

منع السـرورَ حـذار قلبىَ قـبله ... ألا يتمّ ، وبعـده التنغـيـصـا
ويـزيـدنـى كلَفــا بـه وضـنـانـةً ... ألا يبـاح - إذا أُبيح - رخـيـصـا

* * *

حكمة الجهل (*)

ألـم أقـل لـك مـهـلا ... فـالـنـاس لؤم وشـر
لا تـولـهـم منـك عطفـا ... فـهـم من العطف صـفـر
لـو كـنـت تـعـلـم عـلـمـى ... لما أصـابك ضُـر

نـعـم نـعـم . قـلـت هـذا ... إنـى بذاك مُـقـرّ
وأنـتَ عـنـدىَ طـفـلٌ ... وأنـت عـنـدى غِـرٌّ
ومـا لـقـولـك وزن ... ومـا لنصـحـك شكر
أنفـقـت عطفك قـبـلى ... وذاك ياصـاح فـقـر
كم حـكـمـةٌ هى جـهـل ... وغـفـلة هى فـخـر

* * *

الحكمة الصادقة

حكمـةٌ قـد تناقـضت ، ... هذه أصـدق الحكم
لـيـس لـلـعـلـم مـن تمـا ... م إذا الجـهل قـيل تم
فـاغـتنم منه مـا بدا ... وأنتظم منه مـا انتظم

(*) السرور : هدية الكروان .
(*) حكمة الجهل : عابر سبيل .


صفات وأشباهٌ

فُرضة البحر (*)

قطبَ السّفين وقِبلةَ الربان ... ياليت نورك نافعٌ وجداني

يُزجي منارك بالضياء كأنه ... أرِقٌ يقلِّب مُقلتي ولهان

وعلى الخِضَمِّ مطارحٌ من وَمضه ... تسرى مدلّهة بغير عنان

كمطارح الأفكار فى لُجج على ... لجج من الشُّبهات والأشجان

تخفى وتظهر وهى فى ظلمائها ... بابُ النجاة وموئلُ الحيران

* * *

أمسيتِ أحداقُ السفائن شرَّعٌ ... صورٌ إليك من البحار روان

كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى ... شملَ الأحبَّة فيه والإخوان

جودىّ[1] كلٍّ سفينة لم يبنها ... نوح ولم تمخر على الطوفان

فيها التقى بر وبحرٌ ، واستوى ... شرقٌ وغربٌ ، ليس يستويان

بسطت ذراعيها تودّع راحلاً ... عنها وتحفل بالنزيل الدانى

زُمَر توافت للفراق فقاصد ... وطنًا ، ومغترب عن الأوطان

متجاورى الأجساد مفترقى الهوى ... متباينى اللهجات والألوان

فانظر إلى تلك الوجوه فإنها ... شتى ديار جُمِّعت بمكان

فى فرضة متقاصرٍ عن متنها ... موجٌ أشمٌّ أحمّ[2] ليس بوان

موجٌ يطيفُ بها وقد ران الكرى ... فيها طواف الضيغم الغرثان[3]

أَلقيت مراسيَها السفائنُ عندها ... وتحصنت منها بدار أمان

فكأن ضوء منارها نار القِرى ... لو كان يُبعث ميّت النيران !

* * *

(*) فرضة البحر : الجزء الأول .

(١) الجودى : هو الجبل الذى قيل إن سفينة نوح رست عليه آخر المطاف - والمعنى أن الفرضة كالجود تنتهى إليها رحلة كل سفينة .

(٢) أحم : أسود .

(٣) الغرثان : الجوعان .

الخريف (*)

حيِّ الغمائمَ فى السماء كأنها | طيرٌ سرت فى مستهل ربيع
بيضاء ترتع فى فضاء شاسع | صافى السراة[1] على السنا مرفوع
طورًا كتمسيح الذيول وتارةً | كالرغو بين مُفرّق وجميع
ترفو حواشيَها الرياحُ وتنتحى | أَوساطها بالفتق والترقيع
والدَّوح مهدولُ الأرائك ساهم | كالعاشقين هنيهة التوديع
والماء كالممرور فى وسواسه | يشجوك منه ترنّمُ المفجوع
والشمس ساهية الشعاع كمقلة | وطفاة جللها البكى بدموع
ضحكُ الطبيعةِ فى الربيع كأنهُ | ضحك الغريرة فى عناق خليع
فإذا تبسم فى الخريف جبينها | أبصرت نظرة ريبة وخشوع
كالغادة الحسناء يغرب حسنها | أثناء شيب فى الشباب سريع

* * *

أنس الوجود (*)

تماثيلَ مصرٍ أنت صورتها الصغرى | وطلّسمها الواقى ، وآيتها الكبرى
حياتك أجدى من رجال كأنهم | تماثيل لاتمحى الصناعة والذكرى
رعى الله من أسوان دارًا سحيقة | وخلّد فى أرجائها ذلك القصرا
أقام مقام الطّود فيها وحوله | جبال على الشطين شامخة كبرا
بعيدًا عن الأقران ، منقطعًا بها | فريدًا عن العمران ، مستوحشًا قفرا

(*) الخريف : جزء أول .

(1) السراة : الصفحة .

(*) أنس الوجود : جزء أول ٢٤ (٦ «فقرة ٤٢») .

مـرصـودًا وهل يُعبد الضحى بأظهـر منهـا للضـحى كيـفـمـا ذرا ؟
ر الله حــــول ربوعـــــهــــا نطاقًـا وأجلى عن مطالعـهـا السـتـرا
مس أهلوها إذا اشتـد قيظها وجاش على الصحراء فاتقدت جمرا
، كـــأفـواه البـــراكين قـاذف شـآبيب مـا زحـيـا ومـا أقـتـل القطرا
شـت فينا الحيـاةَ ضرامُـهـا فـأنفـسنا من حـرها شـعلة حـرّى
حـيـث الدارجـون عـروشـهـم قـيـام تناجى فى سكينتـهـا الدهرا
لى تلك الرمـــال كـــأنهـــا خُطى الزمن الوثاب تاركـــــة إثْرا

* * *

. . . .

ا إلـيـــه النهـر ليــلا كــأننا عبرنا من الماضى إلى الضفة الأخرى
حـيـةٌ فـيه الزمان الذى مضى فكان له رسـمـــا وكــان له قـــبـــرا
دنا منه شـخـوصًـا كـأنهـا مساحيرُ ترجو كاهنا يبطل السحرا
فق ذاك القلب بعـد سكونِه ويُمــــلأ من أهوائه ذلك الصــدرا !
ا يشـــبــه الخلقَ صنعــهــا تغالوا فقالوا الأنس قدمسخت صخرا
ـبـــروا إلا على الله صنعـهـا فـقـالوا براها ، ثم أصـمـتـهـا قـهـرا

* * *

السماء (*)

مـــاء البــرزة(١) المحـجـوبة أعـجـب مـا أبصـرت من أعـجـوبة
نجـــــمـــــهـــا المشــبـــوبة تهــولنا قــبَّـــتــهـــا المضـــروبة
هـــــا الهــــاوية المقلوبة كـــأنهـــا الجـــمـــجـــمـــة المنخـوبة

* * *

: جزء أول .

البارزة الحسنة .

وقفة فى الصحراء (*)

هضـابُك أم هذى أواذىُّ عـيلم[1] ؟ وهل فـيك من وِرد لغـيـر التـوهم !

تخـايلت كـالدنيـا وأقـفـرتِ مـثلهـا فـلا تخـدعينى ، إننى لست بالظمى

أيـــا ربــة الآل الخـــلـــوب وإنمـــا إلى الآل[2] ركب الناس جمعاءفاعلمى

خـلـوتِ فـــــــلا آثارُ حـىٍّ ثوابتٌ عـليـك ولا آثار مـــيْـت مـــعظّم

نبـا بك عن حـال العـمـار وضـده شـمـاسٌ ، فلم تبنى . ولم تتـهـدمى

تشـــابهت الأيام فـــيك فلم يكن إلى السعـد يومٌ أو إلى النحس ينتمى

صحارى من الدهر الفسيح جديبةٌ كـعـهـدك لم تعبس ولم تتـبـسم [3]

لَفـــيك وإن طال الزمـــان غـــواربٌ على الناس أخــفـى من غـوارب أنجم

أضـاءَت عليـهـا النيـرات ولم تزل هنـالك فى ليل من الغــــيب أيْـهـمِ

إلى أى ركن فـــيك يلجـــأ هارب وفـى أى ظل من ظلالك يحــتـــمى

تسـدين أرجـاء السـمـاء بحـاصب من النار مـــوَّار العــجـــاجـــة مظلم

ثؤرٍ كـــأفـــواج الدخـــان تطلعت إلى علوٍّ[4] من قـاضى قـرار جـهـنم

إذا مـــا رآها الوحش ولى كـــأنهـــا من النقع تُجلى عن خـمـيس عر مرم

يلوذ ببطن الأرض والأرض جـمــرة خيـاشيـمـه مِ القيظِ يبضضن بالدم

ويذهل حـتى يفلت الليثُ صـيـدَه ولا تفـرق الغـزلان من ناب ضـيـغم

ومــاسكنتـهـا الوحش إلا لأنهـا أحب إليـــهـــا من جـــوار ابن آدم

* * *

(*) وقفة فى الصحراء : جزء أول .

(1) أواذى عيلم : أمواج بحر . (2) الآل : السراب .

(3) الزمان فى الصحراء كالمكان صحراء لامعالم لها .

(4) علو : أى السماء .

السينماتوجراف (*)

بربك ماذا في ستائرك الطُّلس[1] أأشباح جنٍّ تلك تظهر للأنس ؟
إذا لم تكن جنًّا فمالى عهدتها تفر فرار الجنِّ من طلعة الشمس
ستور ولكن يُكشف النور عندها فنونًا من الأسرار تخفى على النفس
كأنى أرى فيها قريحة شاعر مصورة للناس فى عالم الحس
وكالعين إلا أنها تمسك الرؤى وترسلها رسمًا تراه على الطرس
تردُّ تجاليد القبور كواسيًا وتبعث أشخاص الرفات من الرمس
وتحمدها عين الغريب لأنها تنوب بها الرؤيا لديه عن الحدس
تميط عن الطرف الحجاب كما رأى نبيُّ الهدى فى مكة صورة القدس
وكم معجزات للصناعة بيننا يجىء بها رُسل المعارف والدرس

* * *

الشتاء فى أسوان (*)

ألقِ الربيع على البشير كانون آذن بالظهور
أسوان تزهو حين يذ بل كل مخضرّ نضير
فى كل مربأة[1] بها نور تألَّق فوق نور
بلد تجود له الطبيـ ـعة بالصغير وبالكبير
لا تستجنُّ شموسه إلا على غير البصير
نسماتهُ برءُ العليـ ـل وماؤه عذب نمير
ما طبُّ جالينوس قيـ ـس بطبه إلا غرور

(*) «السينما توجراف » : جزء أول .

(١) الأطلس : الأغبر إلى سواد وهو لون الصور على اللوحة قبل التلوين .

(*) الشتاء فى أسوان : جزء أول

(١) مربأة : مكان مرتفع .

أبـدًا تحـــــــوط بـهِ ودا ئعـهــا بســور خلف ســور
من كل شـــاهقـــة كـأنّ قـــلالهـــا عـــمـــد الدهور
حـــصن تهـاب ظروفـه الآ فـــــات طرًّا والـشــــرور

* * *

بولون أقـــفـــر غـــابهـــا من كل مـخـتـال فـخـور
سـرحـتُ صـوادحـهـا وأطلـ ـق وُرقـه الأيك الـغـضـيـر
يلقطن حــــبــــات القلو ب من الجـــوانح والصـــدور
الـفــــــاتنـات تـكـاد إحـ ـداهن من حـسـن تنيـــر
الـنـاهدات كـــمـــا ترى الأ هرام فى الرسم الـصـغـيـر
الـعـــبـــهـــريات الـشـــذى الـكـوثـريات الـثـــغـــور
الـــورد فـــى وجـنـــاتـهـــنّ يضـــوع فى كل الـشـــهـــور
المرســلات الـشـعـــر كـــالز رياب [1] مـــصـــغـــراً غـــزير
مـــتـــمـنطقـــات بـالدمــقـ ـــس مـــؤزّرات بـالحـــرير
من كل قـــــاع جــــؤذر[2] تـلـقـــــاه أو ظبـى غـــرير
مـــثـل الـشـــمـــوس برزن لـلأ كـــوان من فــجــر الـشــعـــور
داراتـــهــــن مـــطــــالـــع لـم تـدر مـــا نـور البـــدور
فـــيـــهن مـــعـــتـــرك الغـــرا م ومـعـــرض الحـسـن الطرير
الحـــــــور هنّ خـلـقـن لـلـ ـفـــردوس لا لـلزمـــهـــرير

* * *

الماء فـــــاض على الجـنـا دل والـســـواحـل والجـســـور
خلجـــانه تنســـاب كـــالـ ـحـيـات مـا بين الصـخـور
مـتـســـابقـات كـالـســوا بق فى مـجـال مـسـتـدير
والنيـل مـــصطفق كـــمن قـــد هزه فـــرط الســـرور
مـــتـــدفّع الأمـــواج تر قص وفق توقـــيع الخـــرير
وترى الزوارق كــــالبـــوا شق حـــوّمًـــا أو كـــالنســـور
قـد حـار فـيـهـا العنصرا ن الـريـح والماء الـقـــديـر

(١) الزرياب : الذهب أو ماؤه .
(٢) الجؤذر : الظبى الصغير .

والشمس شاخصة تكا د تنوءُ من جهد المسير
فضفاضة الأذيال تخـ ـطر كالعروس إلى السرير
وكأنها فوق الذرى فوق الجزائر والبرور
حسناء ترقب قادمًا في النيل من أعلى القصور
وعلى الروابي والهيا كل مسحة الشفق الأخير
تبدو كما نصل[1] الخضا ب بعارض الشيخ الوقور
ما كان أول مغرب شهدت على مر العصور

* * *

كم آية في الكون أخـ ـفى من خفيات الضمير
من لا يرى إلا العيا ن فما يرى إلا يسير

* * *

ليلة الأربعاء (*)

شفّ لطفًا عما وراء السماء نور بدر مفضّض اللألاء
رق سجف السماء حتى كأن الـ ـعين تتلو هناك سرَّ القضاء
وسرى الطرف في الفضاء فما يثـ ـنيه ثان عن خوض ذاك الفضاء
وربا النور كالعباب فما في الـ ـكون غير الظلال من ظلماء
تلك أولى لوائح الصيف والصيـ ـفُ بهيجٌ في الليلة القمراء
يمّنَ الله سعيه من رسول يطرق الأرض وافدًا من ذُكاء[2]
مَولِد الأرض فهي تلبس فيه كلَّ عام مطارف الأضواء
أضرم الجوَّ بالمشاعل كالظا فر يعدو في إثر جند الشتاء
فنهضنا للّهو في دار ذي القر نين بين الصحاب والقرناء
بلد ماتحجّب الجو إلا ناب عنه الصفاء في الدأماء
كلٌّ من ينتحي حماه غريبٌ عنه حتى ما فيه من غرباء
تكشف الشمس ثَمَّ مايضمر اليمّ كعين المنوم النجلاء

(١) نصل الخضاب : زال .
(٢) ذكاء : أي الشمس .

(*) ليلة الأربعاء : جزء أول . ٨٠ (٧٥ فقرة ٧٧) .

فــعلى اليمٌ للمطيــفين ســرٌّ كـــاشفٌ عن ســرائر الأنبـــاء

* * *

ليلةَ الأربعـــاء بالله عـــودى وأعـــيـــدى ياليلة الأربعـــاء
ليلةٌ أرسل الزمـــان بهـــا عـــفـ ـوًا فـجـاءت كـحكمـة البلهـاء
قـد نسـينا الصبـاح حـتى ذكـرنا بـنـور مـن بـدرهـا الـوضـــاء
فــوصلنا مــســاءها بصــبـاح ووصلنا صــبــاحــهــا بمســاء

. . . .

خيـر مـا فى الحيـاة يا قلب مـا أنـ ســاك ذكــر الحـيــاة والأحـيــاء
بيــد أن النفــوس تصــبــو إلى الذكـ ـر وإن كـــان فـــيـــه بعض العناء

* * *

. . . .

نسج الفـــجـــر للنجـــوم الدرارى برقــعًـا حـيك من شـعـاع الضـيـاء
وكـــأنّ النســيم همـــوم اللـ ـيل والليـل مـــؤذن بـانقـــضـــاء
همــســاتُ العـوّاد حــول حـبـيب بات لم يبق منه غـيــر الذمــاد [1]
وترى البـــحـــر لو توســـده النا ثم لـم ينتــبــه من الإغـــفـــاء
فى سكون كـــأنه نفس الحـــا لـم أو خـــفق طائر فى الهـــواء
وكـأن الخـرير صـوت يناجى الغـيـ ـب حـــتى لهمّ بالإصـــغـــاء
فــبــعــثنا الأرواح ســربًا كـروح الله قـــدْمًـــا تـرف فـــوق الماء

* * *

الورد(*)

أراح[2] الورد عـــازفـــة النفـــوس وأشـــرق نجـــمـــه بعـــد الخنوس
وغــــرّد هاتف الأطيــــار لما جـلا البسـتـان عن خـدر العـروس
وأشـــرقت الرياض على الروابى مـكـلـلـة المفــــارق والـرؤوس
نـديم الـكـأس طـف بـالـروض تـنـظـر غـصـون الورد مـتـرعـة الكؤس
وفــيـــه ثمــالةٌ [3] لم يودعــوها من الأفـــراح كـــرمَ الخندريس

---

(١) الذماء : بقية الروح .
(*) الورد : الجزء الأول .
(٢) أراح أى رد وعازفة أى بعيدة .
(٣) ثمالة : فى الكأس أى بقية .

تبسّمَ فى خمائلهُ [1] النشاوى … فأضحك غرة الزمن العبوس
يُخيَّل ناطقًا لولا حياء … ثناه عن مناجاة الجليس

.... … ....

أطل من الرغام كأن روحًا … تنادى الناس من خلف الرموس

.... … ....

مجامر للطبيعة أرّجتها … وخصتها بقربان الشموس
تلبيها إذا نشرت شذاها … على الأفنان أرواح الأنيس
كما لبى بخوز السحر حور … من الجنان خافية الحسيس
جنى الفردوس إلا أن فيه … ذَكاء النار والجمر القبيس
يكاد يبث حوليه ضياء … كما بثته نيران الوطيس [2]

* * *

.... … ....

لو انا قادرون لما هفونا … إلى غير المحاسن والطروس
ولولا الدهر بالإنسان يلهو … ويبلو القلب بالغرض الخسيس
لما ألهاه عن آس وورد … بحبات من البُرّ [3] الدريس

* * *

حديقة البرتقال (*)

أجبْ به من منظر سَرِىّ [4] … ومن نبات طيب ذكىّ
متصل الخضرة فِردَوسى … نُزّه عن تصوّح [5] وعرىّ
جنّاته تثنى على الوسمى … بالبرتقال الواضح الروىّ
كالسُّرُج المذكاة بالعشىّ … تستقبل المقبل إذ تحيى
منها بألف كوكب دُرّىّ … كالشمس فى جلبابها الفجرى
غصنا على غصن زمرّدىّ … من بارز وضامر خلفْىّ
وساجد فى الأرض كالقسىّ … مكلل بطلعه محنىّ
كأنه جلاجل الحلىّ … يأخذ عين المبصر الذكى
أخذ الحلى مقلة الغوىّ … على نحور البيض والثدىّ

---

(١) جمع خميلة : وهى الشجر الملتف .
(٢) الوطيس : الفرن .
(٣) البر : القمح .
(*) حديقة البرتقال : جزء أول .
(٤) سرى : فاخر .
(٥) التصوح : الذبول .

أغلى لدى الشاعر والصبى		من كنز قارون ، وكل شىّ
فاعجب لهذا الصائغ الغنىّ		صائغ هذا الثمر الجنىّ
من نفَس حام ومن طمىّ		وصابغ الطلع بألف زىّ

ومخرج الحى بغير الحى

* * *

منظر (*)

الروض جم العبير		والليل شفُّ الستورِ
والدر ينشر نورًا		كأنه نصف نور!
كأنما الكون يبدو		من خلف سِتر وثير
كأنه ظلُّ كونٍ		مغيَّب فى الدهور

* * *

قدوم الشتاء (*)

تسير الكواكب سير الحذِرْ		ويرجف فى الجو نور القمرْ
وللشمس مِشيةُ مستكرهٍ		يساق إلى منظر لا يسرّ
ونهرٍ كمرآة مهجورةٍ		على وجهها من جواها أثر
وللروض زهرٌ به طائح		تقلّب فى الأرض كالمحتضَر
ونادى المنادى بركب الطيو		ر : هيا فقد حان وقت السفر
فهذا يحوم على وكره		وهذا يصيح ولمَّا يطر
ألا ما لهذا الضحى كاسفًا		كأن الأصيل عليه انتشر
وما للرياح بأعلى الشجرْ		تعج كموج خضم زخر
تنام العيون ويعلو لها		نشيجٌ إذا الليل أغضى ظَهر (١)
تُحطِّم أعوادَها العاريا		ت تحطيمَ ذى جنة منذعر
فياويل من بات فى ليله		يجاوبها بالبكى والسهر

(*) منظر : جزء أول .

(*) قدوم الشتاء : جزء أول ١٠٦ (١٠١ فقرة ٩٣) .

(١) أى يكاد يظهر إذا اختفى الليل .

النهر النائم(*)

تمهّلْ يا نسيم ولا تكدّر ... نعاس النهر بالهمس الضعيف
وقِرّى يا طيور على الحوافى ... وكفى يا غصون عن الخفيف
لعل النهر ينطق وهو غاف ... بسر فيه أو حلم لطيف
ويحكى طيف هاتيك الليالى ... ليالى الوصل فى عهد الخريف

* * *

ياقمر(*)

فضضْ الماء ياقمرْ ... وانقش النور فى الحجرْ
وانظم الغصنَ بالندى ... والثم الزهر فى الشجر
واجعل الكون ضاحكا ... عن سماء من الغُرَر
وأملك الليل مفردًا ... ومع الشمس فى البُكَر

* * *

فى مجاليك راحةٌ ... راحةُ النوم والسهر
فى لياليك بهجةٌ ... بهجة الفكر والنظر
ليس كالليل فى الظلا ... م ولا الصبح فى الكدر
أنت كالطيف والدجى ... ناعس اتلطرف ياقمر

* * *

ساهد الليل لا تجِمْ ... واتل ماشئت من ذِكَر
قد تناسيت ما مضى ... ولنا اليوم ما حضر
من يذق لذة الهوى ... يسل لذاته الأخر

* * *

(*) النهر النائم : جزء أول .

(*) ياقمر : جزء أول .

النرجيـــــلة (*)

هات نرجـــيلةً يضـــاحكنى منـ ـهـا خــرير كـجـدول البــســتــان

ذات أنبـــوبةٍ كـــحـــيـــة حــوا ءَ بفـيـهــا تفــاحــةُ الحــرمــان !

إنّ بــين الـبـضـــلــوع نــارًا أُوار يهــا فــأخــفى زفـيــرها فى الدخــان

* * *

القمـــــراء (*)

كلمــا أشــرق فى الليــل القــمَــرْ

وســـهــا الناس ولاذوا بالحُـــجَــرْ

خلتُ أرواحــا تداعت للســـمـــر

زُمَـــرا تهـــمس من حـــول زمـــرْ

إن هـذا الحــــــسن لا يمضى هـدرْ

حــيــثــمـــا أســفــر نور وانتــشــرْ

وحــلا فى خلوة الليـل الســـهـــرْ

فـــــهنا لا ريب حِسٌّ وبـصــــــرْ

شـيـمـةُ المسـحـور يقـفـو من سـحـر

* * *

(*) النرجلية : جزء أول . (هى المعروفة بالشيشة) .

(*) القمراء : وحى الأربعين .

يوم شتاء (*)

يومُ بيتٍ لا يوم خـــوضِ الأياجى ... فـــانجُ مـــا بين صـــفـــحـــة وســـراج
وجـــمـــالٍ من الـنـفـــوسُ يُناجَى ... فى أســـارير وجـــهـــه ويناجى
مـــســـتـــهلّينَ والطبـــيـــعـــة غـــضـــبى ... وكـــلانا من هولهـــا الصـــعب ناج
نتـــحـــدى الرياح والليل والأهوا ... ل طرًّا بصـــفـــحـــة من زجـــاج !
فـــإذا مـــايروع منهـــا ويضنى ... نتلقـــاه ههنا بابتـــهـــاج
كـــالذى يشـــهـــد الكوارث فنًّا ... من فنون التـــمـــثـــيل والإخـــراج

* * *

زهرة القرنفل (*)

تعـــشّـــقتُ من زهر القـــرنفل لونه ... ونشـــرًا كـــريح البـــابليـــة[1] زاكـــيـــا
تَقـــسّم نور الشـــمس أحـــمـــر قـــانيـــا ... وأصـــفـــر وضّـــاحـــا وأخـــضـــر زاهيـــا
ونازع مـــحـــزون البنفـــسج لونه ... وحـــاك له ثوبًا من الجـــو صـــافـــيـــا
كـــواعبُ أترابٌ تقـــاربن صـــورةً ... وسيـــمـــةَ حـــسن واختلفن كـــواســـيـــا
وأســـمع منه حين أقـــبس ضـــوءه ... وأنشق رياه فـــأنصت واعـــيـــا :
«تشـــاغلْ بما يجلو العـــيون وغـــمـــضـــهـــا ... ســـرائر دنيـــانا ، وإن كنت رائيـــا
وســـيـــان تحـــديق العـــيـــون وغـــمـــضـــهـــا ... إذا كـــان مـــاترتاده العين خـــافـــيـــا
فـــحـــســـبك منهـــا زينة تبـــهـــر النهى ... فـــغـــيـــر قليل مـــاترى النفسُ باديا»

* * *

(*) يوم شتاء : هدية الكروان .

(*) زهرة القرنفل : جزء أول .

(١) البابلية : أى الخمر .

الجسم الخجل (*)

أرى فى البحر أجساما تُشعُّ | عليها من حياء الحسن درعُ
إذا ما الماء جمشها تراءى | لها خجل على الأعطاف بدعُ
وما خجل الخدود وذاك جسمٌ | سَنَى الخجل المورَّد فيه طبعُ ؟

* * *

ليالى رأس البر (*)

مناظرُ من سحر الجمال أراها | ولولا سناها قلت : كنت أراها !
تلوح كذكرى حالم يستعيدها | لعمق معانيها و بعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ | وفيها من السلوى جميل رضاها
ليالى برأس البر تَنْدَى وداعةً | ورقةَ شجان ، وطاب نداها
وداعةَ ذات الدَّل شاب فؤادَها | شوائب من هجر ، فراض صباها

* * *

ليالى برأس البر طالب نداها | وشفَّتْ دياجيها ورقَّ سناها
هنا النيل ساج طال فى الدهر سيرُه | وطالت مرامى نبعه فسلاها
هنا البحر ثوَّار الدهور على الكرى | ويطغى فلايحمى النفوسَ كراها
إذا استرسلت أصداؤه فى اطّرادها | ترسلت الأحلامُ ملءَ مناها
هنا علم السلوى ، هنا العالم الذى | تحس الليالى فيه خمسَ خطاها
هنا العالم الشهود ذكرى قديمةٌ | وذكراك دنيا لاتزال تراها
فلولا حياتى فى عروقى أُحسُّها | لقلت نعيم الغابرين طواها

* * *

(*) الجسم الخجل : وحى الأربعين .
(*) ليالى رأس البر : هدية الكروان .

جمـالكَ - رأس البر - وفى زى ناسك إذا ضـاحكَ العينَ الضـحوكَ شـجـاها

ليـاليك-رأس البـر- فى صـومـعـاتهـا مـنـاسـك ضـلّـت فـى الـظـلام هـداهـا

صـحـابك-رأس البـر- أطيـافُ نائم تسـاوى لـديهـا صـبـحـهـا ودجـاها

عناها الذى يعنى النيـامَ من الرُّؤى ولم أر جـهـدًا فى الحـيـاة عناها

* * *

حـيـاتك-رأس البـر - طفل مُجَـدد سـقـتـه ثدىٌّ الخـالدات جناها

فـلا تحـرمـينا رشـفـةَ الخلد كلمـا فنينا ، وكم تُفنى الجـسـومَ نُهـاها

بحـسـبى من أبناءِ آدم إن صـفـا لنا العـيـش يوْمًـا ، أن تكفَّ أذاها

* * *

أغانى (*)

فى الهـوى قلبى زورقٌ يجـرى

أيـن يمـضـى بـى نهـره الخـمـرى

ليتنى أدرى !

* * *

ليـتـه يجـرى يـا أبـا الأنـهـار

مـثلمـا تسـرى فى حـمى الأقـدار

حولك الأزهار

* * *

حـولك الصـفـصـاف مـسـبل الشـعـر

ناعس الأطيـاف سـابح الـفكـر

فى الهوى السحرى

* * *

(*) أغانى : عابر سبيل .

يـاريـاض الـنـيـل   عـلـمـى قـلـبـى
فـرحـة التّهليل   عـشتِ للحب
يامنى الصب

* * *

قـال لى قلبى   والهـوى يرعـاه
هو فى قـربى   مـا الذى أخـشـاه
عند ما ألقاه

* * *

الشتاء والربيع (*)

كل باد يريد أن يتـوارى   فى الشتـاء المغلّف المسدود
كل خـاف يريد أن يتـجلى   فى الربيع المزخرف المشهود
هات لى العالم الصريح ودعنا   من حياة خجلى ، وطبع برود

* * *

فى القمر (*)

فى الليلة القمراء ، ما أحلى النظر !   لكل شىء لاح فى ضـوء القـمـر
حتى الثرى ، حتى الحصى ، حتى الحجر

* * *

ليـست من الآجـرّ هاتيك البنىٰ   لا بل خـيـال من ظلام وسنى
كخيله الأشكال فى السحب لنا

* * *

(*) الشتاء والربيع : عابر سبيل .   (*) فى القمر : عابر سبيل .

أكـــــــاد عـنـد رؤيـتـى طـلاءهـا أُرسـل عـــــــــيـنـىّ لمـا وراءهـا

كما تخوض نظرة فضاءَها

* * *

قد شـفت بالصـخـرة مصـبـاح الدجى فكيف بالنفس وكـــيف بالحـجى

عاش على مر الليالى مسرجا

* * *

العيش جميل (*)

صـــفــحــة الجـو على الزر قـــاء كـــالخـد الصـــقـّيـل
لمعـــة الشـــمس كـــعين لمعـت نحـــــو خـلـيـل
رجـــفـــة الزهر كـــجـــسمٍ هزةُ الشـــوق الـدخـــيـل
حـــيـث يمـت مـــروج وعلى البـــعـــد نخـــيـل
قـل ولا تحـــــفـل بشـىء ! إنما العـــيـش جـــمـــيـل

* * *

القـــمر والظلام (*)

لا أوثر القـــمـــراء فى حـــسنهـــا على الدجى ، والطرف فـيـه يحـوم
سـنـاك يابـدر يـريـنـى الثـــــرى وظلمـــــة الليل تـريـنـى النجـــوم

* * *

(*) العيش جميل : عابر سبيل .

(*) القمراء : الأعاصير . ص ٥٠ وبعنوان «القمر والظلام» (أعاصير مغرب ١٣٥) .

صداح الأثير (١)

ملأ الآفاق صداح الأثير   لا فضاء اليوم .بل صوت ونور
لك من كل فضاء شاسع   حيثما يممتَ ، داع وبشير
ماصقاد الجو إن فتشته   غير أصداء حواليك تمور
لِجبٌ لكنه مستأذن   يطرق السمع بسلطان قدير
أوْ هى الأرواح إن قلت احضرى   حضرت ، أو شئت أعياها الحضور
قيل أمواج . فقلنا وبحور   من معانٍ وبيان وشعور
تركب الألبابُ فيها سفنًا   سبَّقا بين طويل وقصير
حملت من كل زاد ، وقرت   كل غاد ، ووعت كل أثير[2]
ولها فى كل يوم مددٌ   يلتقى الأول فيه والأخير

***

كان فرعون له مجلسه   وهو ذو الصرح المعلّى والسرير
ولنا فى كل دار مجلس   يسع العالَم أيان يدور
هو نادٍ لك ، أو مدرسة   أو مجال السبق ، أو ملهى السرور
غلب الوهَم الذى زينه   فى الأساطير خيالٌ مستطير
دعوة المارد إن قيست إلى   دعوة المذياع ظن وغرور
بورك العلم لعمرى إِنه   من صفات الله ، والله قدير
ربما أسمعنا فى غده   نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

***

(*) صداح الأثير : أعاصير مغرب .

(١) اقترحت محطة الإذاعة موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .

(١) الأثير هنا بمعنى المأثور وهو المفضل المنتقى .

أســـود يلتحى (*)

ألیس كـــفى هذا الســـوادُ فـــزدتَه ... ســـواد غـــراب فى لحـــاك مـــعلق ؟
ســـريت برأس لا حـــدود لوجـــهـــه ... فـمــا زال فـيــه الليل بالليل يلتــقى
ألا فـانتظر حتى تشيب فـقـد ترى ... ســوادك مـحـفـوفـا بأبيض مـشــرق
وأخلقُ أن يرتادك الشـــيب حـــالكا ... على حـالك ، لو كـان يجـرى بمنطق

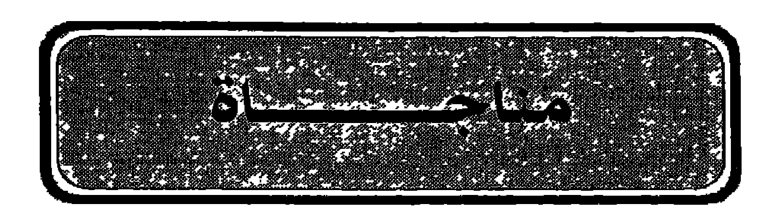
* * *

على شاطئ البحر (*)

نفض النســيم عن النفــوس رمـادها ... فـــأعـــاد للســـالى قـــديم هواه
والبـــحـــر تطّرد الخـــواطر عنده ... مـــــثل اطّراد اللـج حـين تـراه
لـم أبصـــر الآذىّ فـــيـــه كـــأنه ... خـيل الطّراد تسـوقـهنَّ صَـبـاه
وكـأنّ متن الماء فى شـمس الضحى ... فــيــروزجٌ قـــدح الضـــيـــاء سناه
وكـأن مـــبـــيضّ الجليـد طفـا به ... إن مج بالزبد النقى حـــشـــاه
إلا وددتُ بـأن أراة فـــــــلا أرى ... أفُـــقًـــا يصـــد الطرق دون مـــداه
الروح يطـمـع أن يتـــيـــه بلا مـــدى ... والعين ترسم فـى الفـضـــاء خطاه
البـحـــر أقـــدم والنفـــوس قـــديمة ... فـــالنفس تألفـــه ولا تنســـاه

* * *

(*) على شاطئ البحر : الجزء الأول .


مناجــــاة

مناجاة(*)

يا من أُحب لقـاءه ... سرًّا وأزوى عنه جهرا
إن العيون بمرصد ... لى فى هواك ، وأنت أدرى
من ذا يتيه على الجما ... ل وأهله بالتيه أحرى
الشمس تحيى بالضيا ... ءِ لحاظنا فنغض قسرًا
كن فى المَلاحة والصبا ... لِقلوبنا فخًّا ووكرا
واغنم بحسنك حبنا ... واقنع بهذا الحب أجرا

* * *

لسان الجمال(*)

يا من إلى البعد يدعونى ويهجرنى ... أسكِتْ لسانًا إلى لقياك يدعونى
أسكتْ لسان جمال فيك أسمعهُ ... فى كل يوم بأن ألقاك يغرينى
أبالجمال تنادينى وتجذبنى ... وبالمقال تجافينى وتقصينى
هيهات لست بسال عنك مانطقت ... فيك المحاسن فانظر كيف تسلينى
أعصيك أعصيك لاَّ آلوك معصيةً ... ولست أعصى جمالا فيك يحيينى

* * *

متى !(*)

متى تشرق الشمس التى قد رأيتها ... تغيب وراء الأفق فى مغرب الأمس
لقد طال عمر الليل حتى حسبتها ... توارت من الغرب المعصفر فى رمس

* * *

(*) مناجاة : الجزء الأول ٦١ (٤٨ فقرة ٦٣) .
(*) لسان الجمال : الجزء الأول .
(*) متى : الجزء الأول .

الحب الأول (*)

(. . . كنا نقرأ ذات يوم أنا وصديقاى الشاعران النابغان المازنى وعلى شوقى قصيدة ابن الرومى النونية التى يمدح بها أبا الصقر ويقول فى أولها :

أجنيتك الورد أغصان وكثبان
فيهن نوعان : تفاح ورمان
وفوق ذينك أعناب مهدّلة
سود لهن من الظلماء ألوان

فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدها خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرها وقافيتها وقد فعلنا فنظم المازنى قصيدته فى مناجاة الهاجر ونظم شوقى قصيدة فى هذا المعنى ونظمت أنا هذه القصيدة فأهدتها روح ابن الرومى :

يهنيك يازهر أطيارٌ وأفنان الطير ينشد والأفنان عيدان
طوباك ! لستَ بإنسان فتشبهنى ! إنى ظمئت وأنت اليوم ريان
هذا الربيع تجلى فى مواكبه وهكذا الدهر آن بعدها آن
تفتحت عنه أكمام السماء رضىً وزفهُ من نعيم الخلد رضوان
وشائع النور[1] فى البستان باسمةٌ والأرض حالية والماء جذلان
الشمس تضحك ، والآفاق صافية جلواء ، والروض بالأثمار فينان[2]
وللنسيم خفوق فى جوانبه وللطيور ترانيم وألحان
فى كل روض قُرى للزهر يعمرها ياحبذا هى أبيات وسكان
مستأنسات سرى ما بينها عَبَقٌ كما تراسل بالأسواق حبّان
الورد يحمر عجْبًا فى كمائمه والياسمين على الأغصان ميسان [3]
وللقرنفل أثواب ينوعها عن البِلَور صَناعُ الكف رقّان [4]

(*) الحب الأول : الجزء الأول .
(١) وشائع الثوب : طرائق تسجه .
(٢) فينان : مثمر .
(٣) ميسان : نائم من الوسن .
(٤) رقّان : مزركش – بكسر الكاف .

وللبنفسج أمساح ممسّكة   كأنه راهب فى الدير محزان
وحبذا زهر الليمون يسكرنا   منهنّ جام خلا من مثله الحان
والليل يحييه والأطيار هاجعة   بلابل وشحارير وكروان[1]
مؤذن الطير يدعو فيه محتسبًا   فيستجيب له برٌّ وغيان
والصبح فى حلل الأنوارطرّزه   فى الشرق والغرب أسحار وأصلان[2]
كأنما الأرض فى الفردوس سابحة   يحدو خطاها من الأملاك ربان
ضاق الفضاء بما يحويه من فرح   فكل ما فى فضاء الله فرحان
إلا المحب الذى لاحبّه دنس   ولا مودته خبٌّ وإدْهان[3]
نقاه عن عُرس الدنيا شواغلُه   إن الحدا عن الأعراس شغلان

. . . .

يامن يرانى غريقا فى محبته   وجدًا ، ويسألنى هل أنت غصان ؟
واضيعةَ الحب أُبديه وأكتمهُ   ومن عنيت به عن ذاك غفلان !
لى فى مديحك أشعارٌ أضنّ بها   على امرئ فخره عرش وإيوان
على محياك من وشى الصبا روَع[4]   وللمحبين أحداق وأعيان
ففيم تعذلهم إن راح ناظرهم   بحسن وجهك يهذى وهو ولهان ؟
ما الحسن ذنبًا ، فما للحب تحسبهُ   ذنبا من الناس لا يمحوه غفران ؟
هما شقيقان فارفق أن تحيلهما   ضدّين بينهما نأىٌ وهجران
من علّم النا س أن الحب مأثمة   حتى كأن ليس غير البغض إحسان
هبها جناية جان أنت آثمها   ما كان يعصم لا إنس ولا جان
إن الجسوم مثنّاةٌ جوارحها   إلا القلوب فصيغت وهى أُحدان
لكل قلب قرينٌ يستتمُّ به   خَلقٌ وخُلقٌ فهل يرضيك نقصان ؟[5]
إن التعاطف بالأرواح بغيتنا   وفى الوجوه على الأرواح عنوان
تمثالك الصخر أحظى منك أن نفرت   عنك العيون ، ولم يشملك وجدان
إنا لمن معشر حب الجمال لهم   حبٌّ لما كان فى الدنيا ومن كانوا[6]

(١) كروان : جمع كروان .   (٢) أصلان : جمع أصيل .
(٣) إدهان : مكر وملق .
(٤) روع : ملاحة وجمال .
(٥) خلق لكل عضو قرين فى الجسم إلا القلب فإنه منفرد لا يكمل إلا بقلب آخر .
(٦) لايعرف أن حب الجمال إنما هو بمثابة حب كل شىء إلا من لخص نفسه من تعريف الناس للحسن والقبح .

ليـــأمنْ الطيـــر أنا لا نكيـــد له ولا يخفْ مكرنا وحش وعـــقـــبـــان
لو تســـمع الورُق[1] نجـوانا لكان لهـا منا غـصـون نضـيـرات وأحـضـان
أو كـان يدرَى حـيـىّ نبت عـفـتنا لـم تُغض منه بأيدينا أغـيـصـان
أو ينظر الســـائم النـابى طويتَنا لـم تألف القـــفـــرَ آرامٌ وغـــزلان
ولا اتقى الحوتُ شراًّ حين يبصرنا إذا وقـتـه شـبـاكَ الإنس قـيـعـان
ياليت أن لنا كـــهـــفًـا نعـوذ به إن راح يفـــزعـــهـــا بغىٌ وعـــدوان

* * *

. . . .

مـاضـرَّ من نال فى حين سـعـادته إن فـاته فى طويل الدهر أحـيـان
إذا جنيـت من الأيام زهرتـهـــا فـاقنع ؛ فـسـائرها شـوك وعـيـدان
ولا وربك مـا بالنفس مـقـتنع أكـان نجح لهـا أم كـان حـرمـان
فـإن روينا ، فـبعض الرأى مظمـأة وإن ظمـئنا ، فـمـا يرتاح ظمـآن
أى الفـريقين أحـمى لهـفـةً ووجىً من ذاق أو لم يذق ؟ فـالكل لهـفـان
ياليلة حُطمت أنوال حـائكهـا فـلا يحـاك لهـا فى الدهر ثُنيـان
العيشُ من قبلها شوق نعمت به والعـيـش من بعـدها ذكـر وتحنان
طالت ولا غـرو فـالجنات خـالدةٌ وفى الوصـــال من الجنات ألوان
أصبحت والله لا أدرى لبـهـجـتـهـا أليلـةٌ سلفت أم تلك أزمـــان
وكيف لا وهى شطرٌ حين أحسبها والعـمـر شطرٌ ، وفيـها عنهُ رجحان
لقد شقانا الهوى خمرًا معتّقة صـبـا بهـا قـبلنا شـيبٌ وشـبـان
هيـهـات لا تبلغ الصـهـبـاءُ نشوتَهـا ولو تناول منهـا البـحـرَ نشـوان
فـاض الهـيـام على قلبى ففـاض به نـبـعٌ لـه من وراء الـدمـع شـطـآن[2]
وددت والدمع فى عـينىّ محـتـجـزٌ لو سـال منه على خـدىّ غـدران
أمسيت أرشف شهدا من مراشـفه والسلسـبـيل بعليين غـيـران
والنيل تجـرى له فى كل ناحـيـة جـداولٌ لؤلؤيات وثغـبـــان
يقـودنا حـيث شـاء الموج واطَّردت أمـــواهه ، فكأن الفلك وسنان
حـتى تصـرم جنح الليل وانبـثـقت من كل مطَّلع للصـبـح عـمـدان

(١) الورق : أى الحمائم جمع ورقاء .

(٢) شواطئ .

فما أفقنا وعين الصبح شارفة … وما هجدنا وغول الليل سهران
بنا سوى الشمس والشهبان ترصدها … شموس أنس مضيئات وشهبان

. . . .

بقية لك أتلوها وأُنشدها … هذى القصائد لى فيهن سلوان
بقية من متاع الذكر قد صفحت … عنها السنون . فلى بالذكر قنعان
كأننى تاجر فى الشط مرتقبٌ … موج الخضمّ . وفلكى فيه غرقان
خذى بقاياك لو تسطيع تذهبها … كما ذهبت فيطويهن نسيان
لا يأمن الحبَّ صبٌّ لا يكون له … بالحب عن صلة المحبوب غنيان
ما كنت أجهل لما أن كلفت به … أنى سألقاه يوما وهو غضبان
من لى به مثل ما أرضاه فى ملأ … هاموا وهانوا فهم للوهم عبدان ؟
تفرق الناس أو طانًا وما افترقت … لهم على حسب الأفهام أوطان
بتنا نساكنهم دارا ونحسبهم … منا ، وشتان إنسان وإنسان
نشقى بأنفسنا فيهم فيسعدهم … هذا الشقاء ولا يجزيه شكران

* * *

يا أملح الناس هلاًّ كنت أكبرهم … روحا فيتفقا ، روح وجثمان
صدّقتَ باطل ما قالوا كأنهمو … لا يكذبون ، أو آن العذل قرآن
أما علمت بأن الناس ألسنةٌ … سودٌ لها غير ما تبديه أبطان
أحرى مزاعمهم بالشك أسيرها … فالحق متئدٌ والإفك عجلان
وربَّ قولة زور قالها رجلٌ … منهم فطاف بها فى الأرض ركبان
تداولوها فراحت فى مذاهبهم … شريعةً نقضها كفرٌ وعصيان
ماكثرة المثبتين الأمرَ تثبته … ولا بقلتهم للحق إيهان
فإن ألف ضرير ليس يَعدلهم … بالمبصر الفرد يومَ الشك ميزان

. . . .

تكشّفتْ هذه الدنيا فأنكرها … حسى وأذهب فيها الحدْس إيقان
مازال يحرمنى دهرى ويوهمنى … حتى غدا وهو بالأوهان ضنان
إناً لنضحك لا صفوًا ولا لعبًا … وقد ينوح بغير الدمع أسْوَآن(١)
أعيى العقول صلاحُ الخلق من قدم … وضاق عن هديهم ذرعٌ وإمكان

(١) أسوان : حزين من الأسى .

فعش كما شاءت الأقدار فى دعة ... لايجرمنّك[1] بَرُّ الناس أو خانوا
لعلهم فى طريق الصدق قد سلكوا ... ونحن نحسب أن القوم قد مانوا
من عاش فى غفلة طاب البقاء له ... وإن تولته بالأرزاء حدْثان
لم يدر من نام والأفلاك دائرة ... أدار بالسعد أم بالنحس كيوان
فاطلب لنفسك منها مهربًا أمنًا ... ودانِ من شئت فالأعداء خلاَّن
والزم حياتك واعشقها فبينكما ... فى شرعة الطبع ميثاق وإيمان
هى الوجود فصنه أن تجود به ... على التراب ، فإن الحر صوان

. . . .

وانهض بها مرةً فى الدهر واحدة ... ثم استرح أبدًا والحقْ بمن حانوا[2]

* * *

كأس الموت (*)

إذا شيعونى يوم تُقضى منيتى ... وقالوا أراح الله ذاك المعذَّبا
فلا تحملونى صامتين إلى الثرى ... فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا
وغنوا فإن الموت كأسٌ شهيةَ ... وما زال يحلو أن يُغَنّى ويُشربا
وما النعش إلا المهد مهد بنى الورى ... فلا تحزنوا فيه الوليد المغيبا !
ولا تذكرونى بالبكاء وإنما ... أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

* * *

(١) لا يجرمنك : لا يهمنك .
(٢) حانوا : ماتوا .
(*) كأس الموت : الجزء الأول .

الحبيب الثالث (*)

(ردا على قصيدة الحبيبين لصديقنا شكرى ، وقد شبه أحدهما بالجنة والثانى بالجحيم وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم)

قِـــلاك مـن دفّـــاع نار الجـــحـــيم ... ووصلـك الجنـة دار الـنـعـــيـم
وريــقــك الــكــوثــر لــكــنــه ... كــالمُهل فى صــدر المحب الكظيم
وخـــدّك الـزقــوم مـــرٌّ لمن ... تزويه عنه وهو حلو الشـــمـــيم
وأنت تضنى كل جـــسم سليمْ ... وأنت تشـــفى من ضناه الســقـيم
وأنـت دان نـافـــــــر ، راحـم ... قـاس ، مـحـب ، كـاره ، لا تدوم
ويا نسـيـمًـا شـبـمـاً (1) ربما ... أذكى كـمـا أطفـأ ذاك النسـيم
ويـا بـرىء الـوجـــه فـى نـاظرى ... ويا أثيـمـا فى الفــؤاد الكليم
الحـب لـونـان ومــــا أن أرى ... حــبـا بلون واحـد يسـتـقـيم
كن لى على النعـمـة عـونا أكن ... عـونا لقلبى فى العـذاب الأليم

خير ما فيهن (*)

غــفــر الذنبَ من بكائى عليك ... أننى لا أعــود مـا عــشتُ أبكى
لا ياوى – وقــد تعلمت منك– ... نسلُ حـــوّائكنّ دمـــعــةَ شك

خيـر ما فى النسـاء سـاعـة ضـحـك

إلى صديق (*)

أُخىٌّ وأعـــذب بهـــا لـفظةً ... تذكّرنى العـهـد عـهـد الصـفـاء
أهـــبْــتَ بـــودى ولمّــا يـــتْ ... فـأسـمـعـت حـيـاً بذاك النداء

(*) الحبيب الثالث : الجزء الأول .

(1) شبما : باردها .

(*) خير ما فيهن : وحى الأربعين . (*) إلى صديق : الجزء الأول .

ولم ينسنى القصر [1] عهدا خلا — وكيف وفى القصر معنى البقاء
وإن أنس شيئاً فإنى نسيـ — ـت يا صاحبى أيّنا قد أساء
ولست بقال ولا ناكث — ولكنْ كذلك شاء القضاء
وهذى القلوب بأيدى الزمـا — ن يقلب أهواء كيف شاء
وقد يذهل المرء عن نفسه — فكيف يلام على الأصدقاء ؟!

خواطر الأرق (*)

يا ليلُ لونك فى اللواحظ إثمد [2] — إلا لدىّ فمن غبار يُرمِد
ها أنت بالرؤيا تضن لأنها — سلوایَ ، حين تركتنى لا أرقد
دل الظلام على المدامع خاطرا — أعيى عليه مع الصباح المورد
كم فى الدم المدعوّ بالإنسان من — زعم يطيش وعارض يتردد
العقل شيخ والحياة فتيِّة — والعيش بينهما شقاق مجهد
والطبع يغرينا ولست بواجد — كالطبع طفلا لا يفارقه الدَّد [3]
أوّاه من عبث الحياة وسوء ما — يجنى الزمان وشر ما يتوعد
لا أشتكيه فقد أمرٌّ فساغ لى — ما لا يسوغ وسرنى ما يكمد
وجزعت حتى قيل جُن من الأسى — وصبرت حتى قيل صخر جلمد
أُبدى التجلد والتجلد فى الأسى — بعض الرياء ، وبعضه قد يحمد

. . . .

وخميلة يجنى الغداف قطافها — وترود حوليها الصِّلال [4] الشرد
كرمتْ عنَاصرها وأينع يومها — حسنا ، ويوشك أن يطيب لها غد
ظللتها بالنصح إلا أنها — لم تلق من يرعى ومن يتعهد
باتت تجاذبها السَّموم فتلتوى — طوعاً ، ويدعوها النماء فتجمد
يا من أصون جماله وكأنه — خصمٌ على تلك المحاسن يحقد
لا شيء أوجع لامرئ من أن يرى — حملا يطيب مع الذئاب ويرغد

(*) إلى صديقى : الجزء الأول .

(1) إشارة إلى قصر ملا وهو طلل فى حديقة كنت أجلس فيها بأسوان وقد أشار إليه الصديق فقال :

أعباس يهنيك قصر به — نسيت الوداد وعفت الإخاء

(*) خواطر الأرق : الجزء الأول . (2) الأثمد : حجر الكحل .

(3) الدد : اللعب . (4) الخميلة : هى الشجر الملتف . والصلال جمع صل : وهو الثعبان الخبيث .

أخشى عليك من البعيد وأنت لا ... تخشى من الداني الذى لا يبعد
وأحوط حسنك بالتمائم والرُّقى ... وتظل تنثر عقدها وتبدد
وتبيت ريان الجفون من الكرى ... والنار حولك والدخان الأسود
لم تتبع نصحى وملت مع الهوى ... جهلا ، وغرَّك أن غصنك أملد
والغصن تسقط - إذ يميل - ثماره ... ويزلّ عنه الزهر إذ يتأود
إن كنت تحميك الطراءة والصبا ... شرٌّ التقصف فالتجرد أنكد
أولى بوجهك أن يضنيك حسنه ... من أن يحفك منه غيم أربد[1]
هذى يمينى فى يمينك فاعتصم ... أولا فأرسلها فما لك منجد
لو كنت نوحا لم تفدك سفينتى ... إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا
فاستبقِ ودك للذين عرفتهم ... إنى لغير الطهر لا أتودّد
ما كنتَ أول نعمة ودعتُها ... كلا ، ولست مع المودة تخلد
ماذا على الدنيا لو أن مغرراً ... منها يميل به الغواة فيفسد
لولا المشوب لما يمخض خالص ... منها ، ولو لم يعتدوا لم يهتدوا
ما كنتُ يوما بالأنام موكلا ... فأعدّ منهم من يضل ويرشد
إنى اتخذتك للصيانة قنية ... فعلمت أنك بهرج لا عسجد
فالآن ألقى فى التراب بحلية ... كانت أحب ذخيرة تُتقلد

إليــك (*)
إهداء الديوان الثانى

إليك إهداءُ أَطرابى وأشجانى ... لوكنتَ تعلم إسرارى وإعلانى
شعر لحسنك فيه كلُّ قافية ... وما تضمَّن إلا بعضَ وجدانى
يُهدَى إليك ولم تفطنْ لدعوته ... كأنما هو قربانٌ لأوثان
ولو صمدتُ بتسبيحى إلى وثن ... إذن لأثلج صدرى صدقُ إيمانى
وخفف النار : نار الوجد عن كبدى ، ... علمى بأنك لم تجهل بقربانى
لكنْ جهلتَ مناجاتى فواجذلى ... لو فزتُ منك ، على علم ، بحرمان
يا من هو الناسُ فى عينى وإن كثروا ... إنى أخص بشعرى كلَّ إنسان
أُهدى إلى الناس ما أعنيك أنت به ... فاقبل ، فإنك بعض الناس ، ديوانى

(1) الأربد : اللون الكدر المتغير .

(*) إليك : الجزء الثانى .

الدنيا الميتة (*)

أحبك حب الشمس فهى مضيئة — وأنت مضىء بالجمال منير
أحبك حب الزهر فالزهر ناضر — وأنت كما شاء الشباب نضير
أحبك حبى للحياة فإنها — شعور ، وكم فى القرب منك شعور
فهل فى ابتغائى الشمس والزهر سُبَّة — وهل فى ولوعى بالحياة نكير

. . . .

فدع ما يقول الناس واعلم بأننا — على غير ما سار الأنام نسير
لنا عالم طلقٌ وللناس عالم — رهينٌ بأغلال الظنون أسير
ووا أسفا ! ما نت إلا نظيرهم — وإن لم يكن للحسن فيك نظير
ويا عجبا منا نسائل أنفسنا — إذا سئلت حارت وليس تحير (1)
أنشقى بدنيانا لأن منعَّما — من الناس بسَّام الثُّغير غرير
أيذوَى الصبا فينا لأنك ناشئ — ربيع الصبا فى وجنتيه غضير
أتعشى مآقينا لأنك أحور — بعينيه من ومض الملاحة نور
ألا نتملى الحسن والحسنُ جمةٌ — مطالعه إلا وأنت سمير
فيا ضعية الدنيا إذا لم يكن بها — غنىً عنك للمحزون حين يثور
ويا ضيعةَ النفس التى لا يجيرها — من البث والشكوى سواك مجير
إذا الشمس غابت لا نبالى غيابها — وإن غبت آض العيش وهو كدور
وليتك مثل الشمس ما فيك مطمع — فيهدأ قلب بالضلوع نَفور
قريتَ ، ولم يخطئ عطاش تلهفوا — على جدول فى السمع منه خرير
وسرتَ على الأرض التى أنا سائر — عليها ، ولم تُضرب عليك ستور
فلو لم نُولّ شطرك لامنا — على الجهل كون بالجمال فخور
لديك مقاليد السرور وديعة — وما لمحب فى سواك سرور
فإن تأذن الدنيا أباحت شوارها (2) — وغنت عصافير وفاح عبير
وإلا فما فى الأرض حظ لناظر — ولا النجم فى عُليا السماء يدور

(*) الدنيا الميتة : الجزء الثانى ١٦٧ (٤٣ فقرة ١٢٩) .

(١) تحير جوابا : أى ترد .

(٢) شوار العروس : جهازها .

بعد عام (*)

كـاد يمضى العـام يا حلو التـثنى　　أو تـولّـى
مـا اقـتـربنا منك إلا بالتـمنى　　لـيس إلا !

* * *

مـذ عـرفناك عـرفنا كل حـسنٍ　　وعـذابِ
لهب فى القلب ، فـردوس لعـينى　　فى اقـترابى

* * *

غـيـر أنا لا نرى الفـردوس إلا　　رسمَ راسمُ
وشـربنا من جـحـيم الحب مُـهـلا　　شـرب هائم

* * *

لا تـلمـنـى أنّ قلبى خـاننى　　أو عـشقـتُكْ
لـم يـكـن مـنّـىَ إلا أنـنـى　　قـد رأيتكْ

* * *

كـان فى الدنيـا جـمـال لا يُعَـد　　ثم لُحـتـا
فـعـددنا الحسن طرّا فـهـو فـرد　　وهو أنتـا

* * *

كأسى على ذكرى (*)

. . . .

هاتهـا واذكـر حـبيب النـ　　ـفس يا خـيـر ثقـاتى
ودع التلمـيح واجـهـر　　باسـمـه دون تقـاة [1]
أترى نُحـرم حـتى　　ذكـره فـى الخلوات ؟
صـفـه لى صـفـه ومـا كـا　　ن بمجـهـول الصـفـات

(* بعد عام : الجزء الأثانى . ١٤١ (٨ فقرة ٢٩) .
(*) كأس على ذكرى : الجزء الثانى . ١٤٤ (١٢ فقرة ١١٩) .
(١) تقاة : مبالاة .

غـيـر أنى أمـتع السـمـ	ـع بحظ الحـدقـات
صـفـه فى عـينى وبما تعـ	ـدو به وصف الأضـاة[1]
صـفـه فى قلبى لو اسطعـ	ـت ، وترجم زفـراتى
أتـرى ألـبـق مـنـه	باصطيـاد المُهُـجـات
أترى أمـلـح مـن خـطـ	ـرتـه بـين الخـطـرات
أترى أصـبـح من خـد	يـه بـين الـوجـنـات
أترى أعـدل من قـا	متـه فى الصـعـدات [2]
ذهبىّ الشـعـر سـاجى الطـ	ـرف حلو اللفـتـات
وحـيـىّ لا يحـيـ	ـك بغـيـر البـسـمـات
جـاهل بالحب أشكـو	ه ولا يـدرى شـكـاتـى
وغـريـر القـلـب لا يفـ	ـهم مـعـنى نظـراتى
ودَّ لـو يسـأل مـالى	مـسـتـهَلَّ العـبـرات
وإذا قلت «شـجـانى	مـن أفـدِّيه بذاتـى
ليس ينجـينى وفى كـفـ	ـيه لو شـاء نجـاتى»
قـال مـا أقـسـاه من جـا	ن غليظ القلب عـات !

. . . .

صـفـه ! بل أمسك فـقـد ها	جت عليـه حُـرُقـاتى
جـمح الوجـد بأشـجـا	نى وضـاقت أزَمـاتى
هاتهـا صـرفًـا وأغـرق	فى طلاها حـسـراتى
عـوضـاً عـمـا يؤاتى	مـن هـوى أو لا يـؤاتـى

الصبابة المنشورة (*)

صبابةَ قلبى ! أقبل الليل غاضياً [3]	فهّبى ! فقد يغشى الرفاتُ المغانيا
وقـد تهـجـر الموتى القـبـورَ أمـينةً	إذا الليل غـشّى بالرقـاد المآقـيا

---

(1) الأضاة : المرآة .

(2) الصعدات : جمع صعدة وهى قناة الرمح .

(*) الصبابة المنشورة : الجزء الثانى .

(3) غاضيا : مظلما .

وثوبى إلى الدنيا مع النوم فانظرى مكانك قد أنوى وعرشك خاويا [(١)]
ومُرّى به مرّ الغريب وطالما تربعتِ فيه قبل ذاك لياليا
ولا تسألى من بالديار ؟ فأنها على موثقٍ ألا تجيب مناديا

* * *

بدا شبح عار من اللحم عظمُه يجاذب أضلاعاً عليه حوانيا
يقارب فى قيد المنية خطوه ويمشى به ليلاً مع الليل ثانيا
وقال سلام ! قلت فاسلم وإن يكن دعائى لميْت بالسلامة واهيا
مَن الطارق السارى ؟؟ فقال صبابة نعمتَ بها حينا وما أنت ناسيا
فقلت أرى جسمًا عرى من روائه وعهدى به من قبلُ أزهر كاسيا
جهلتك لولا مسحة فيك غالبت بشاشتُها أيدى المنون المواحيا
جهلتكِ لولا هزّة فى جوانحى يدَ الدهر [(٢)] لا تُبقى من الشك باقيا
ألا شدّ ما جار البلى يا صبابتى عليكِ . فكيف استلّ تلك المعانيا
أأنت التى أسهرتنى الليل راضيًا وأنت التى أسكرت عينىّ صاحيا ؟؟
وأنت التى كنا إذا الناس كلهم تولوا ، وجدنا مغنما فيك وافيا
وأنت التى جلّيت لى الأرض جلوة أسائل عنها الأرض وهى كما هيا
أسائل عنها كل شىء رأيته أما كنتَ فينان [(٣)] المحاسن شاديا
نفخت بها روحاً فغرد صامت ورنّم جلمود ، وأصغيتُ لاهيا
فلما ألَمّ البين لاذت بصمتها وأمسيتُ حتى يأذن اللّه صاغيا
وهل يسمع الصاغى إلى القبر نأمة [(٤)] ولو كان فيه معبد [(٥)] القوم ثاويا

* * *

نعم أنت لولا ساتر من منية وحسبك ستراً بالمنية ساجياً
وأن امرءاً ماتت خوالج نفسه فليت لقد جمع الشرين حيّا وفانيا
حياة لها حد ولا حدٌ للردى فليت المنايا والحياة تواليا
كما تتوالى يقظة العيش والكرى وتعب أنوار الصباح الدياجيا

---

(١) خاويا : تخرب .
(٢) أى إلى آخر الدهر .
(٣) فينان : مزهر .
(٤) نأمة : صوتا خفيا .
(٥) معبد : إمام المغنيين فى صدر الدولة الأموية .

إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا [١]

* * *

الهين الصعب (*)

. . . .

أكبرتُ قدرك حتى لست أدركه وأصغروك فنالوا منك ما طلبوا

فإن تباعدت عنى وادّنيتَ لهم فما توانيتُ فى خطوى ولا دأبوا

يا ليت أنفسنا صيغت كأنفسهم فلا يملك عنا الصد والعجب

أو ليت مثلك يدرى ما نهيم به فلا تُعز علينا بعضَ ما نهب

نضرة فى الشتاء (*)

يا نضرة فى الشتاء أبصرها أبهج من كل منظر نَضِر

كأنها والعيون تنهبها والنفس تَرْوَى بحسنها العطر

ألف ربيع للعين مُدخَّر بل ألف حب للقلب مختصر

يا طيب ذاك الأكسير مجتمعاً من حُسْنِ شتى الرياض والغرر

أضمه كله وأرشفه فى قبلةٍ كوثرية السَّكَر

* * *

إلى الغرق (*)

دعتك العرائس فى بحرها ففيم الوقوف على الساحل ؟

إلى الماء ! لا بل إلى السابحـ ـين ، لا بل إلى الغرق العاجل

فليس على البحر إلا غر يقٌ ، وإن لم يكن فيه بالنازل !

سواحره احتشدت كلها علينا ، فيا ويح للغافل

* * *

(١) دواليا : بالتداول .

(*) الهين الصعب : الجزء الثانى .

(*) نضرة الشتاء : وحى الأربعين .

(*) إلى الغرق : وحى الأربعين .

مائدة (*)

مائدةٌ أسرف فى طهيها — عشرين عاما ، عبقرىُّ الزمانْ
أكرمنا الطاهى بها ساعةً — فكيف بالمكرم يلقى الهوان
حسنٌ وأنسٌ وحياءٌ معاً — وطلعة البدر ونفح الجنان
مدتْ لنا طوعا فما عذرنا — إذا تركنا لقمةً فى الخوان (١)

* * *

لغير البيع (*)

جواهر الحب قالوا : غير زائفة — مهلا ! فما أنا فيه بائع شار
كلا ، ولا أنا من شكٍ ولا ولع — بالسرِّ عارضُ أحجارى على النار
خذ معدن الحب أن ألفيت معدنه .. — إنّى قنعت بومضٍ منه غرار
ما للأناسىّ من حب يدوم ، ولا — حب يقوم على صِدق وإيثار

* * *

ليلة البدر (*)

هاتِ لى الذكرى وجدد ما مضى ، — عندك الذكرى ورُجعاها معاً
هاتَ ما كان كما كان انقضى ، — أو فجددْ غيره مبتدعا
ليلة البدر ، وقد كان الرضى — موعدَ الأهرام نبغى مطلعا

فقضى اللّه سواه غرضا

* * *

(*) مائدة : وحى الأربعين .
(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .
(*) لغير البيع : أعاصير مغرب .
(*) ليلة البدر : وحى الأربعين .

قـــد نوينا ونوى الغـــيبُ لنا　　نيّـــةً أمـــتعَ للمـــســـتـــمـــتع
خُـــسف البـــدر وأمـــســيت أنا　　ادَّعى مـن نشـــوة مـــا أدعى
كـلمــــا ناديتنى هيّـــا بنا !　　قلت : هيـــا ! وأنا فى مـــوضـــعى

السنى عندى فـــمـــالى والسنى

* * *

خُسف البـدر ومـا كـان الخسـوفْ　　شــيــمـــة البـــدر الذى بينَ يدىّ
نشـــر الناس وطافـــوا بالدفـــوف　　وأنا والبـــــدر فى نشـــــر وَطىّ
خلٌّ من شـــاء كـمـــا شـــاء يطوف　　إن بـــدرى طـــالـــع مــنـــه إلًـــىّ

لا أحب البـــدر ترعــــاه الألوف

* * *

يا ســمــيــر الليل يا نعم الســمــيــر　　مـــا لنا والصـــبح مـــا دمت أراك
أنا فى نور وروض وعـــبـــيـــرْ　　حـــينمـــا ألقـــاك لا ألقى ســـواك
رشـفـــةٌ من ثغـرك العـذب النضـيـر　　أو من الكأس احــتــوتهــا شــفــتــاك

وســـلامٌ أيهـــا الكون المنيــــر

* * *

هاتِ لى من فـــيك أنفـــاس الغـــرامْ　　أو فـــقل إن شـــئتَ أنفـــاس الحـــيـــاة
واسـقنى الخـمـرة من أعـذب جـامْ　　لا من البلوّر فى أيدى الســـقـــاة
ثغـــرك الضـــاحك كـــأسٌ ومُـــدَامْ　　ونـــديمٌ لـــى ، وراو فـــى الـــرواة

ينشـد الشـعـر فـيـشـجـينى الكلام

* * *

ينشــد الشــعــر جــديداً كـــالصّبـــا　　وأنـــا نـــاظـــمــــــه مـنـذ سـنـين
بث فـــيـــه من صـــبـــاه عـــجـــبـــا　　فـــــإذا قلتَ ارتجـــــالٌ لا تمين
هات لـى الحـــســـن وهـات الأدبا　　واســقنى الخــمــر من الشــغــر المبين

ذاك حــسـبى فى زمــانى مطلبــا !

* * *

إعفـــاء (*)

أعـــفـــيك من حليـــة الوفـــاءْ　　إنـك أحـلـى مـن الـوفـــــــاء !
خـونى . فـمـا أسـهل الـتـقـصّى　　عـندى ومــــا أســــهل الجـــزاء
وليس بالســـهل فى حـــسابى　　فــــقـــدك يا زينة النســـاء !

* * *

الحـب الضاحـك (*)

فرغتُ من الحب الذى يُعقب الشكوى　　فحبى من النُعمى وليس من البلوى
بذلت له نارى ثلاثين حـــجـــةً　　فلا نار بعـد اليـوم . . اليـوم للحلوى

* * *

لو كان إلها (*)

(قال الشاعر الفرنسى «دوجيرل» لحبيبته : «لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار ، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدىْ قدرتى وقضائى ، ولأعطيتك الهيولى وما فى أحشائها من رحم خصيب . بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين -إبتغاء قبلة واحدة» .
وسئل صاحب هذا الديوان : «وماذا تعطينى أنت لو كنت إلها» فقال :

أعطيك ؟! كيف وما العطاء بخير ما　　تبـدى القلوب من الغـرام الصـادق
بل لو غدوتُ كما اشتهيت وأشتهى　　رباً ، أخـــذتك أنت أخـــذ الواثق
فـتـرين أنك حين فـزت بحظوتى　　أحلى وأجـمل من جـمـيع خـلائقى
وتسيطرين على الصروف ، وفوقَها　　نبـضـاتُ قلبى المسـتـهـام الوامق
إن كـــان رب الكون عندك قلبـــه　　أهونْ لـديـك بأنجم وصــــــواعق
وبكل شمس فى السـمـاء وضيئةٍ　　وبكل بحـــر فى البـســيطة دافق

(*) إعفاء : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) الحب الضاحك : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) لو كان إلها : وحى الأربعين .

مــاذا عـليه (*)

مـــاذا عليـــه إذا اســـتـــوى وإذا التــــوى ، مـــاذا عليـــه ؟
هـذا القـــوام جـــمــــالهُ مـهـمـا تعـسّف ، فى يديه !
أنّـى تمـايـل عـطـفــــــــه مـــالت جــوانحنا إليـــه
أشــتـــاق بعض نفـــاره شـغـفـاً برؤية صـفـحـتيـه

* * *

ملتقى الربيع (*)

هـات الـربـيـع الـغـضّ لـى كـلّـه فى روضـة ، بل طلعـة ، بل شـفـةْ
إن فـــاتنى جـــمع أزاهيـــره فى قطفـة ، فـالرأى أن أرشــفـه

* * *

نبضات جديدة (*)

خـــفـــقــاتٌ تلك من وزن جــديدْ أيهـا القلب ! فـأسـمـعنى صـداك
ذلك الوجـه ، ومـا العـهـد بعيـد ! أنـت تهـــواه ، فـــلا تنكر هواك

* * *

أنـت تـهـــواه وتســـعى بى هنـا كـلّ يـوم بعــــد يـوم كـى تـراه
لا تـراوغـنـى وقـلْ هـيّـــا بـنـا فى صـريح القـول ، نسـتجلى سناه

* * *

(*) ماذا عليه : وحى الأربعين .
(*) ملتقى الربيع : وحى الأربعين .
(*) نبضات جديدة : وحى الأربعين .

نحـــسـب الرقـــة فـــيـــه ألَمًا — فـــإذا أنت من الـوجـــد تـذوبْ
لا يــكـــون الحـب إلا هـــكـذا — أنا لا أجـــهـل أســـرار القـلوب

* * *

كـاصفـرار الشـمس فى ثوب الغـروبْ — واصـفـرار العـاج فى ثوب القِـدمْ
ذلك اللونُ نسـمّـيـه الشـحـوب — وهو فى الحـسن شـفـيع للسّـقم

* * *

رحـمـةً لِلقلب من ذاك الوُجَـيـهْ — صـــيغ ذوبَـىْ حنان وحـنينْ
كلمـــا رفـــرفت بالعين عليــه — شـبَّـهَ الفـرحـان عندى بالحـزين

* * *

إن أشـــأ قلتُ خـــيـالٌ فى الكرى — أو أشـــأ قلت عــيـان لا خـيـال
جُـمع الأمــران لى فـيـمـا أرى — حين صحَّ الحُلم فى خـيـر مـثـال

* * *

جمال يتجدد (*)

كلمـا قلتَ لى الربيع جـمـيلٌ — قلتُ : حـقّـاً . وزاد عندى جـمـالا
عـجـبـاً لى بل العـجـيـبة عندى — صـور الكون كم يسـعن كـمـالا
خلتُنى قـد وعـيـتـهن عِـيـاناً — وتتـبـعـت من وَعـوها خـيـالا
شـاعـراً عـاشـقـاً وقـارئ كـتْب — قـرأ الكتب دارسـاً ، فـأطالا
فـإذا نظرةٌ بلحظك تبـدىً — صـوراً مـا طرقنَ عندىَ بالا
بعـــداد الأنوار فى أعين الحـ — ـب نعـد الأكـوان والأجـيـالا

اليوم الموعود (*)

يا يوم مـوعـدها البـعـيـد ألا ترى — شـوقى إليك ، ومـا أشـاق لمغنم ؟
شـوقى إليك يكاد يجـذب لى غـدًا — من وكـره ، ويكاد يطفـر من دمى

(*) جمال يتجدد : هدية الكروان .
(*) اليوم الموعود : هدية الكروان .

أسرعْ بأجنحة السماء جميعها ... إن لم يطعك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها ... وتخطّها قبل الأوان المبرم
ما ضرَّ دهرك إن تقدم واحد ... يا يوم من جيش لديه عرمرم

. . . .

يا يوم موعدها ستبلغنى المنى ... وتُتم لى الفردوس خير مُتَمّم
لا غصن رابية تقصّر راحتى ... عنه ، ولا ثمر يعز على فمى
سأظل أخطر كالغريب بجنتى ... حتى أثوب على قدومك ، فاقدم؟
فأبيتُ ثم إذا احتوانى أفقها ... لم أنه عن أمل ولم أتندم
فرحى بصبحك حين تشرق شمسه ... فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

الحب المثال (*)

كأنى مثّال وحسنك تمثالى ... عجائبُ حب ما خطرن على بال
فما أتمنى فيك معنى أريده ... من الحسن إلا وافق الحسنُ آمالى
وأحلام قلب تسرى كأنها ... خوالق أيدى الفن فى الذهب الغالى
تجول بأشكالٍ الخيال وتنثنى ... وقد أسعدت منك العيان بأشكال
إذا ما تمشّت فيك معنىً لمستُها ... محاسنَ أعطاف ورقة أوصال
إذا اقترحتْ عينى فأنت مجيبها ... فهل منك أو منى صياغة تمثالى ؟
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى ... غنىٌّ على وفر من الوقت والمال (1)
فما فيك من نقص ولكنما الهوى ... نوازعُ شتى لا تقر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعى ... لكل حبيب فى الصبا ألف سربال
وأجملُ من صوغ الدُّمى صوغ دميةٍ ... لها زينتاها من حياة وإقبال

(*) الحب المثال : هدية الكروان .

(1) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التى لا حاجة به إليها ، وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل فى الإنسان .

الثوب الأزرق (*)

الأزرق الساحر بالصفاء
تجربةٌ فى البحر والسما
جرّبها «مفصّل» الأشياء
لتلبسيه بعدُ فى الأزياء
مجوّد الاتقان والرواء
ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزّبَد الوضّاء
زيّنته بالطلعة الغراء
ونضرة الخدين والسماء
ولمعة العينين فى استحياء
إن فاتنى تقبيله فى الماء
وفى جمال القبة الزرقاء
فلى من الأزرق ذى البهاء
يخطر فيه زينة الأحياء
مقبّلٌ مبتسم الأضواء
مردِّد الأنغام والأصداء
وقبلةٌ منه على رضاء
غنىٌّ عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماءِ (1)
وعنك يا دنيا بلا استثناء

(*) الثوب الأزرق : هدية الكروان .
(1) الشابيب أول ما يظهر من الحسن . وشدة اندفاع كل شىء والدأماء البحر .

ضياء على ضياء (*)

على وجنتيه ضياء القمرْ نظيران يستبقان النظر
جمعتما أنا فى لثمة أو البدر قبّله فابتدر ؟
فما زال يلحظه جهرةً ويغمزه من وراء الشجر
ويزعمها قبلةً من أخ ففيم إذن قطفها فى حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ـب ولو شئت كللته بالزهر
ولكن كرمتُ فَخُذ يا قمرْ من الزاد ما تشتهى فى السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره وهز الحبيب حنين السهر
فقال وقد فاض منه الرضى وسُرَّ بفيض رضاه وسَر
على مثل هذا تطيب الحيا ة ، وفى مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا ة ، وأنت شفيع لها مُدَّخر
لأجلك يصفو لها من صفا وباسمك يعذرها من عذر

* * *

دنيا مقلوبة (*)

صوت النذير (1) الذى أبقاك خائفةً على ذراعىّ قولى كيف أخشاه ؟
أو البشير الذى يدعوك ثانيةً إلى الطريق لعمرى كيف أرضاه
الحبُّ والحربُ واويْلا قد اجتمعا فى القلب فانقلبت أحوال دنياه !

(*) ضياء على ضياء : هدية الكروان .

(*) دنيا مقلوبة : أعاصير مغرب .

(1) النذير بالغارات .

ساعى البريد (*)

هل ثم من جـــديد   يا ســاعى البــريد

* * *

لو لم يكن خطابى   فـى ذلـك الـوطـاب
لـم تـطـوِ كـلَّ بـاب   يا ســاعى البــريد

* * *

مـا ذلك التنسـيق   والجـمع والتـفـريق
والقـفـز والتـعـويق   يا ساعى البـريد ؟!

* * *

كـسـوتُك الصـفـراء   والخطوة العــرجــاء
يمشى بهـا الرجـاء   يا مــحنة الجليــد

* * *

لو لـم تكن جـمـالا   فى مِشـيـة العجالى
صغنا لك التمـثالا   من جـــوهر فـــريد

* * *

لا أحسب الساعات   فـى حــاضــر وآت
إلا على الميـقـات :   مــيـقـاتك الوئيـد

* * *

(*) ساعى البريد : هدية الكروان .

فى شـرفـتى أبتكر غـــيــرك لا أنتظر
وإن سعى لى القمر يا ســاعى البــريد

* * *

كم لهفة نسيتها أمـاتنى ميـتـهـا
لقيـتـهـا ! لقـيتـهـا يا ســاعى البـريد

* * *

جددتَ لى انتظارى وقلة اصطبــارى
عن طلعـــة القطار وطلعـه النضـــيـد

* * *

أكــرم به من ثمــر منتظرٍ مـــدّخـــر
فى كل يوم مــزهر مـبـتـدئ مـعـيـد

* * *

يا طائفــاً بالدور كـالقــدر المقــدور
بالخـيــر والثـبــور فى ســاعـة البـريد

* * *

فى لحـة تنتـشـــر منك المنى والعـبـر
وأنت مـاض تعـبـر كالكوكب البـعيـد

* * *

كن أبًا مـــريدى بالخـبـر السـعـيـد
وبابتـســام العـيـد يا ســاعى البــريد

* * *

عجب الساعى (*)

عـجب «الســاعى» الذى كنتُ لـه أبداً فى شـــــرفـــــتى منـتظرا
إنَّ من تُحـــضـــر لى أخـــبـــاره أيهــا الســاعى بخـيـر . حـضـرا
ألق إن شــئت وطاباً حــافــلاً لا أبالـى لحظةً إن صــفــرا
الـطريـق الآن لا أرقـــبـــه لأرى وجـــهك . ولكـن لأرى . . .
ولك الشكر ، ولى العــذر ، فــلا تظهــر الآن . فــهـا قــد ظهــرا
لا تذكّــرنى نواه بعـــد مـــا كنت تروى عنـه ذكـــرًا عطرا

* * *

تسلّم (*)

تسـلّمْ هذه الـدنيـــا كـمـا خلّفـتـهـا عندى
وحـاسـبْـهـا على قــربٍ بما تجنى على البــعــد

* * *

تسلم هـذه الشــــمـــ ـــس التى تؤنس أو تهــدى
لقـــد كـــانت هداها اللــ ـــه مكســالا من المهــد
تجــوب الأفق فى جــهــد ومـــا تســرع بالجــهــد
وكـــانت تحـــجب الأنو ار أو تُبــدى فــلا تجــدى
وكــانت شـــعلة حـــرّى من اللوعـــة والوجـــد

* * *

(*) عجب الساعى : هدية الكروان .
(*) تسلم : هدية الكروان .

تسلّم هذه الأطيا ... ر واسألها عن العهد
تُغنّى الآن فاسألها ... أغنّت قط لى وحدى ؟
وإن غنّت فهل كا ... ن سوى نوح لها مُغْد
وإن أعدَتْ فهل تُعدى ... بغير الشجو والسهد ؟
نعم سلها جزاها الله ... ه : أين تحية الورد
وأين تحية الإلف ... وأين تحية الفرد
لقد كانت لحاها الله ... ه تطويها على عمد
فسلها فيم تطويها ... وفيم تضن أو تسدى

* * *

تسلّم أنجم الليل ... بلا عدٍ ولا حد
تسلمها وكاشفها ... بما تخفى وما تبدى
وسلها كيف ضلّتنى ... وما ضلت عن القصد
وفيم تغامزٌ منها ... إذا حيّرنى قيدى
نعم قيدى الذى فى النـ ... ـفس لا فى صفحة الجلد
أهزلا تهمس الأنجـ ... ـم أم تهمس عن جد ؟!

* * *

تسلم زهرك المحبو ... ب فى السهل وفى النجد
تراه ضاحك العين ... تراه ناضر الخد
فسله ما عراه أمـ ... ـس حتى لاذ بالرشد
فلا يلهو ولا يُوصى ... بغير الهم والزهد
فما عن لومه فى ذا ... ك يا مولاه من بد !

* * *

تسلم هذه الدنيا ... كما خلّفتها عندى
بحمد الله تلقاها ... كما تلقاك بالحمد
فخذها راضيا عنها ... وعنى وعن الود

وعلمـــهـــا إذا مـــا عـــدت | لا عـــدتَ إلى البــعـــد
أمـــاناً فى مـــغـــيب منــ | ــك أو فى مـحـضَـر رغــد
فــمـــا تـســمع لى قـــولاً | إذا ناجـيـتــهـــا وحــدى !

* * *

ثـرثـارة (*)

أراك ثرثارة فى غـــيـــر ســـابقـــة | فـهـات مـا شـئت قـالاً منك أو قِـيـلا
مـــا أحـــسن اللغـــو من ثغـــر نقــبله | إن زاد لغـــواً لما زدناه تقـــبـــيـــلا

* * *

زمـن محــل (*)

أمـــــحـل الـدهـر واطَّـردْ | لا خـــمـــيسٌ ولا أحـــد
لا انــتــظـار لمـوعــــد | أو هيــــامٌ بمن وعـــــد
كــل أيـامــنـا تـســـاً | ويــن فـى الـوسـم والـعـــدد
صــبــحــهـــا مــثـل لـيلهـــا | والـتـــقى أمـــســهـــا بغــد
تـنـقـص الـعـــمـــر كـلهـــا | وبهـــا الـعـــمـــر لـم يُـزد (١)
لـم تـزد مـــاضــيـــا وقـــد | نقـــصـت مــقــبـل الأمــد

* * *

(*) ثرثارة : هدية الكروان .
(*) زمن محل : هدية الكروان .
(١) يوم السعادة الذى يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ولكنه يزيد فى ثروة الماضى . أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده فى ماض أو حاضر .

إساءة مشكورة (*)

إليك منى الشكر حـــتى على ... إســاءة اللقــيــا غــداة الســفــر
أغــضــبــتنى منك فــأنجــيــتنى ... من لوعــة الهــجــر وطول الســهــر
إذا التــوى الصــبــر على عــاشق ... تَعــرَّضَ العــتب له فــاصطبــر
مــــا ذاكــــر اللجــــة رياً له ... كــذاكــر اللجــة فــيــهــا الخطر
ولهــــفــــة الظامِئ ترياقــــهــــا ... أن ينظر الغــصــة فــيــمــا انتظر

* * *

صنوف حب (*)

عـــــرفت من الحب أشكـالـه ... وصـاحـبت بعـد الجـمـال الجـمـال
فـــــحبّ المصـــــور تمثـــــاله ... عــرفتُ ! وحب الشـبـاب الخـيـال

* * *

وحب القــــداســــة لم أعــــدُه ... وحب التــصــوُّف لم يعــدُنى
وفــــى كــــل حــــب وَرَى زنــــده ... ســــمــــاتٌ من المؤمن الديِّن

* * *

. . . .

وحب التى علمـــــتنى الهــــوى ... وحب التى أنا علمـــــتــــهـــا
ومن أســـتـــمـــد لديهـــا القُــوى ... ومن بالقـــوَى أنا أمـــددتهـــا

* * *

(*) إساءة مشكورة : هدية الكروان .
(*) صنوف حب : هدية الكروان .

. . . .

صنوف من الحب لا تلتـــــقى وفـيك التـقى لبُّـهـا المحـتـوى
فلولا هـدى نورها الأســــبق لما كنتُ كـفـؤاً لهــذا الهــوى

* * *

هـذا هـو الحب (*)

غـريرٌ تسـأل : مـا الحب ؟
بنيــتى ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أن أُبصــــر مـــا لا يُرى أو أغـــمض العين فــلا أبصـــرا
وأن أســـبغ الحق مـــا سـرّنى فــإن أبى ، فـالكذب المفـتـرى

* * *

الحب أن أســـأل : مـــا بالهم لم يعـشـقـوا المنظر والمخـبـرا ؟
ويســـأل الخـــالون مـــا باله هام بهـــا بُهـــرًا ومـــا فكّرا ؟

* * *

الحب أن أفـــــرق [1] من نملة حـينا وقـد أصـرع ليث الشـرى
وأن أرانى تارةً مـــقـــبـــلا وخطوتى تمشى بى القـهـقـرى

* * *

الحب كـالخـمـر فـإن قـيل لى سكـرت ؟ هم القـلب أن ينـكـرا
وكل عـــضـــو بعــده قـــائل نعـم . ولا أحـــفـل أن أسكـرا

* * *

(*) هذا هو الحب : أعاصير مغرب .

(١) أفرق : أخاف .

الحب أن يفرق أعمارنا عهدان ، والعهد وثيق العرى
أحسبنى الأكبر حتى إذا عانقتنى ألفيتنى الأصغرا

* * *

الحب أن نصعد فوق الذرى والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا وأن نرى آلامنا آثرا

* * *

الحب أن أجمع فى لحظة جهنم الحمراء والكوثرا
وإننى أخطئ فى لهفتى من منهما روّى ومن سعّرا

* * *

الحب أن يمضى عام وما هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علّقت فى ساعة حواشى الدفتر والأسطرا

* * *

بنيّتى ، هذا هو الحبُّ
فهمته ؟ كلا . ولا عتب !
مسألةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدريها ولا الكتب
حسبك منها . لو شفت حسب ،
إشارة دقَّ لها القلب

* * *

الحب (*)

ما الحب روح واحدٌ فى جَسدىْ معتنقين

(*) الحب : أعاصير مغرب .

الحب روحـــان مـــعـــاً　　كـــلاهمـــا فى الجــســدين
مـــا انتــهــيــا من فـــرقــة　　أو رجـــعـــة طرفـــةَ عين

* * *

الصدار الذى نسجته (*)

هـنـا مـكـان صــــــدارك　　هـنـا ! هـنـا ! فـى جـــوارك

* * *

هـنـا ، هـنـا ، عـنـد قـلـبى　　يـكـاد يـلـمـس حـــبـى
وفـــيـــه منك دلـيـل　　عـلى المودة حـــســبى

* * *

ألـم أنـل مـنـك فـكـرة　　فـى كـل شـكّـة إبـرةْ
وكـل عـــقـــدة خـــيـطٍ　　وكـل جـــــرة بَـكـرة !

* * *

هـنـا مـكـان صــــــدارك　　هـنـا ، هـنـا ، فـى جـــوارك
والقـلـب فـــيـــه أســـيـــرٌ　　مـطـوق بـحـــصـــارك !

* * *

هـذا الـصـــدار رقـــيـبٌ　　عـلى الـفـــؤاد قـــريـبٌ
سـلـيـــه : هل مـــر مـنـه　　إلـىّ طـيـف غـــريـب ؟

* * *

نســـجـــتـــه بـيـــديـك　　عـــلـى هـدى نـاظـريـك
إذا احـــتـــوانى فـــإنى　　مـــا زلت فى إصـبـعـيـك

* * *

(*) الصدار الذى نسجته : أعاصير مغرب .

ليلة الوداع (*)

أبُعـــدًا نُرَجّى أم نرجى تلاقـــيـــا … كـلا البـعـدِ والقـربَى يهـيجُ مـابيـا
إذا أنا أحـــمـــدتُ اللقـــاءَ فـــإننى … لأحـــمَـــدُ حـــينا للفـِـرَاق (النعم)
ألا من لـنا فـى كلِ يوم بفـــرقـــة … تُجـددُ ليـلات الوَداعِ كـمـا هيـا
ليـال يبـيح الدّل فـيـهـا زمـاهً … ويُرخص فـيهـا الشـوقُ مـا كـان غـاليا

* * *

ويـاليـلتـي لما أنسـتُ بقـــــربه … وقــد مـلأ البــدرُ المنيــرُ الأعــاليـا
تَطلّعَ لا يَثْنِى عن البـــدر طرفـــه ، … فـقلت حـيـاء مـا أرى أم تغـاضـيـا
بـنـا أنـت مـن بـدر وددت لـو أنـه … على الأفق يبــدو أينمـا كــان ثاويا
غـدا تنظر البــدر المضــوّءَ . فـوقنا … وحــيــدين من دارين لم تتــلاقــيـا
أشم شـذى الأنفـاس منك وفى غـد … ســيــرمى بنا البين المشتُّ المرامــيـا
وألثــمـــه كــيـــمـــا أبرد غلتى … وهيــهــات لا تلقى مع النار راويا (١)
فـقـبّلت كـفـيـه وقـبلت ثغـره … وقــبلت خــديه ومـــا زلت صـــاديا
كـــأنا نذود البين بالقـــرب بيننا … فنشـتـدّ من خـوف الفـراق تدانيـا
كـــأن فـــؤادى طائر عـــاد إلفـــه … إليــه فــأمـسى آخـرَ الليل شــاديا
إذا مـا تضـامنا ليـسكن خـفـقـه … تنزّى فـــيـــزداد الخَــفــوق تواليـــا
أو شّجٌ فى كلتـا يديه رواجــبى (٢) … وشـيـجـا يظل الدهرَ أخـضـر نامـيـا
وتلمس كــفى شـــعـــره فكأننى … أعـارض سلسـالا من الماء صـافـيـا
وأشكوه مـا يجنى ، فـينفر غـاضـبـا … وأعطفـه نحـوى فـيـعطف راضـيـا
أقـــول لـه يكفـــيك أنك قـــادر … على أمل أعى الزمـــان المعـــاديا
قـــدرت على إســعـــادنا ومنحــتنا … ليـالِيَ أعـيى منحـهن الليــاليــا
قدرت ، ومن يقدر على السعد لم يكن … جـمـيـلا به أن يتـرك الخل شـاكـيـا

* * *

(*) ليلة الوداع : الجزء الأول .

(١) راويا : اسم فاعل من روى الماء .

(٢) الرواجب : مفاصل الأصابع .

وناعـيـة صـاحت ولِلّيل هجـعـة فـقـال : «عـلام البـوم ينعب ناعـيـا»
«لقـبحتِ منعـمـياء تقرأ فى الدجى إذا اسـود أسطار الخـراب الخـوفـيـا»
فقلت :علَى النفس التى سوف تغتدى طلولا بأحـناء الضلوع حـوانيـا
تجـوس أفـاعى الحـزن فى جنبـاتهـا ويا ربما تأوى الضلوع الأفـاعـيـا
فـلا تحـسبن البـوم تنعى المغـانيـا فـقـد تندب البـوم النفـوس البواليـا
وكم وحشة للنفس يخشى اقتحامها أخـو غـمـرات ليس الفـيـافـيـا

* * *

ولما تـقـضـى الـليـل إلا أقـلـه وحـان التنائى جـشت بالدمع باكـيـا
فـأقـبـل يرعـانى ويبكى وربما بكى الطفل للبـاكى وإن كـان لاهيـا
وزحـزحنى عنه بكف رفـيـقـة وأسـبل أهداب الجـفـون السـواجـيـا
يقـول لقـد ران الكرى وتفـرّقت نجـوم الدجى والديك أصبح داعـيـا
فـقلت وكم من ليلة إثر ليله سـهرتُ وقد أمسيت وحدك غافيا
فـهب من رقـادك ليلة تمرٌ ، فـإنى قـد وهبت حـيـاتيـا
حـرام علىَّ النوم ، مـادام هاتف من الليل لا ينسى إذا بت ناسـيـا
وأسلمت كـفى كـفـهُ فـأعـادها وقلبى ! فـهـلا أرجع القلب ثانيـا
فلم أر ليـلا كـان أبيض مطلعـا وأسـود أعـقـابا وأشـجى مـعـانيـا

* * *

الخمر الإلهية (*)

على طريقة ابن الفارض

. . . .

يدور بهـا السـاقى علينا كـأنهـا مـبـاسم ثغـر والحـبـاب ثناياه
جـرت فى صـفـاء الدمع وهى دواؤه فـمن ذاتهـا لم تجـر بالدمع عـيناه
تنيـر فلولا أن تسـيل رحـيـقـهـا لقلت لظى أذكى النسـيم شظاياه

(*) الخمر الإلهية : الجزء الأول . ٧٤ (٦٢(فقرة ٧٤) .

يكاد إذا طاف الغلام بجامها يرفرف حوليه الفراش ويغشاه
لها في يمين الشاربين توهج إذا ما خبا قلب من الحزن أذكاه
تلوح كماء المهل (١) أما مذاقها فمن سلسبيل الخلد في طيب سقياه
تشابه في عين النديم وما انتشى فوارغُ صف كالثريا وملآه
كؤوس كجام السحر (٢) يكشف وحيه لعينيك من سر العوالم أخفاه
إذا طاب في الفردوس رياً نسيمها فأطيبُ في دار الشقاوة زياه
ولو مزجوا بالخمر طينة آدم لعاش ولم يدر القطوب محياه

* * *

حسناء عمياء (*)

قرة العين عزاءً لك في الكون المنير
إنّ طرْفاً يأسر النا س هو الآن أسير
إن سحرا غاض في عينيك هيهات يحور (٣)
صدت الشمس ضياها عنك يا أخت البدور
غربت عنك غروباً ما له الدهر بكور
ليت نور العين مصباح معار فتعير
ليس أولى ببكى العين من الحسن الضرير
وجمال عن جمال الـكون مكفوف حسير
مطمح الأبصار بدع أن يُرى غير بصير

* * *

(١) المهل : شراب أهل جهنم .
(٢) هي الكأس التي يزعم السحرة أن من نظر إليها انكشف عنه الحجاب .
(*) حسناء عمياء : الجزء الأول .
(٣) يحور : يعود .

من تقليد «نشيد الأناشيد» (*)

أجل تلك خبـاياها وهاتيك خطاياها
فهل تدرين ماذا ك الذى يدعى مزاياها ؟!

* * *

لما فيها من العيب سننساه وننساها
وللحسن الذى فيها سنُحيى الآن ذكراها

* * *

سأحصى لك ما يعجب ب منها ، وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضـ ب بعد السعى والدس

* * *

ثناياها ثناياها وهل ذقت ثناياها ؟!
وعيناك . ويا للقلـ ب كم تسبيه عيناها ؟!

* * *

وتلك الوجنةُ الخمر يةُ السكران رائيها
أفى الجنة يا رضوا ن تفاحٌ يحاكيها ؟!

* * *

وتلك القامة الهيفا ء زانتها زواياها
إذا ما جار ردفاها أقام الجور نهداها

* * *

(*) من تقليد نشيد الأناشيد : أعاصير مغرب .

وتلك النسمة الحلوة في ثوب الأناسي
هي الروح الفراشية في النور السماوي !

* * *

دعيها تفسد الخمسين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هي الأكسير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندي من حُميَّا[1] الشعر إكسيري وترياقي
وهل كالشعر في الدنيا ربيع دائم باق !

* * *

مزيج (*)

ما الحب من محض الصداقة يا بنيّ ، ولا العداء
الحب فيه الخلصتان ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعداوة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء ، والاغتصاب ، وقل على الدنيا العفاء !

* * *

ندم (*)

عشقتك مُكْذبا خلقي ورأيي وعفتك صادقا لهما أمينا
وما أخطأت في لوميك يوما وقد أخطأت في عذريك حينا

* * *

(١) الحميا : سورة الخمر .
(*) ندم : أعاصير مغرب .
(*) مزيج : أعاصير مغرب .

تقويم العـام (*)

تقـــويمُ هـذا العـــام مـن — لحـظـاتــه الأولـى لـديـكِ
قـومى ارفـعـيـه وارفـعى — عنه الغطاء براحـتـيكِ
مـن يـوم مـطـلـعـه إلـى — رجـعـاه مـوقـوف عليكِ

* * *

وإذا انـتـهـت أيـامـه — ولـكـل عـام منتـهـاه
فـعـليك أنـت وداعـه .. — وتـرحـيـبن بما تـلاه
ويْـحـى إذا دار المـدى — ورعـيـتُ وحـدى ملتـقـاه !

* * *

هى قـبلة ضـمـت عُـرى — عـامين فـاتصـلا اتصـالا
ومُنى الخـواطر فى غـد — عـام كـسـابقـه مـآلا
لا تـعـجلنّ بـه فـمـاً — أقـسى الحـيـاة على العـجـالى

* * *

لا . لا . فـهـذا يومنـا — وغـدٌ ، وبعـد غـد ، خـفـاء
أنا مـغـمض عـينى ومـسـ — ـتـمع إلى حـادى الرجـاء
فـإذا سـمـعت حـداءه — فـدعـيـه يمضى حـيث شـاء

* * *

وعام ثان (*)

بشـراى . مـا أنا شـاهدٌ — يا عـام وحـدى ملتـقـاك

(*) تقويم العام : أعاصير مغرب .   (*) وعام ثان : أعاصير مغرب .

دارتْ بـروجُـك والـهـــــــوى	يخطو وتتــبــعــه خطاك
وحــمــدت وجــهك مــقـبــلاً	ومــضى . فلم أذم قــفـــاك !

* * *

هذى فــتــــاتى هذه !	هى لا خـــوف ولا اشـــتـبـــاه
هى فى بديع قـــوامــهـــا	هى فى الصـبـا ، هى فى حـلاه
هى فى غـــوايتـــهـــا وآ	هٍ من غـــوايتـــهـــا ، وآه

* * *

ضُـــمى ثغـــريْك يا بنيـ	ـــة وابعـــــثى منه الأمـل
لا بالعــــهـــود إلى مــدى	عـــام . ولكن بالقُـــبـل
إن ســاعــفــتنى ليلة	فـــدعى العـــهـــود إلى أجل

عـــام تفـــتح بالرجـــا	ء وبالرجـــاء خـــتــمــتـــه
ودعـتِ ذاك الـعــــام فى	قـربى كـمـا اسـتـقـبلَتِه
قـــولى ، وقـــد ولّى ، أفى	شــرع الوفــاء قـضــيـتـه ؟

* * *

لا تخـدعـــينى يا بنيـ	ـــة بالوفـــاء من اللســـانْ
خـنّــا وخـنـت ولا أقـــو	ل سلى فــلانة أو فـــلان
ذهبت خـيـانتنا مـعـــاً	والآن نحن البـــاقـيـــان

* * *

ذهبت خـيـانتنا كـمــا	ذهب الوفـــاء ومن يفـــون
لا ذمـــةٌ تبـــقـى ولا	يبـــقى الوفىّ ، ولا الخـــؤُن
كم ذمـــة ضـيـعـتــهــا	يا عـــام فى تلك الغـضـــون !

* * *

انظر ألست ترى فـتى حيث كنتُ ضممتها
في جلسة الأمس التي حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت صدرى ولا فارقتها

* * *

وإذا سألتَ وربما جاء السؤال بلا كلام
«ماذا تقول مودعى والليل يومىء بالسلام»
حيرتنى يا عام فاستمع الجواب ولا ملام

* * *

ما كنت عندى أيّهذا العام كلك بالسعيد
لكنْ سويعاتٌ مضت لى فيك تنسى ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها وطغت على العام الجديد

* * *

حسبى من الدنيا الذى أعطت ، ودنيانا غرور
حسبى قليل عطائها وقليلها أبدا كثير
إن عاد يومُ غدٍ كأمس فدرْ - زمانُ - كما تدور

* * *

أكذبينى (*)

. . . .

أكذبينى وأكذبينى كلما شئت أكذبينى
ما غناء اللب عندى إن أبى أن تخدعينى
أنا فى ثروة وفر منه مهما تسلبينى
أنقصيها . أى ضيرٍ ؟ درهما أو درهمين !!

* * *

(*) أكذبينى : أعاصير مغرب .

المرأة والخداع (*)

خل الملام فليس يثنيــــهــــا ، ... حبُّ الخداع طبيعةٌ فيـهـا
هو ستـرها ، وطلاء زينتـهـا ، ورياضـة للنفس تحـيـيـهـا
وسـلاحـهـا فـيـهـا تكيـد به من يصطفـيـهـا أو يعـاديهـا
وهو انتـقـام الضـعف ينقـذها من طُول ذل باتٍ يشـقـيـهـا
أنـت الملوم إذا أردتَ لـهــا مـا لم يُردهُ قـضـاء باريهـا
خنهـا ! ولا تخلص لهـا أبداً تخلص إلى أغلى غـواليـهـا

* * *

الحب أحمق (*)

لم أدر كـيف يُتـاح لى نسـيـانهـا وخـيـالهـا فى ناظرىّ مـعلّق
حتى نسيت ، فعدت أذكـر أنهـا كـانت هواى ، فـلا أكـاد أصـدق

* * *

مصيبتان (*)

قـالوا اسلهـا ودع البكاء فـإنهـا فى حـبـهـا ليـست بذات وفـاء
ومـصـيـبـتى فـيـهـا اثنتـان لأننى أبكى لمن لا يسـتـحق بكائى
من كل يبكى الأوفـيـاء فـفى الأسى لمن استـحق أسـاه بعضُ عـزاء

* * *

(*) المرأة والخداع : أعاصير مغرب .
(*) الحب أحمق : بعد الأعاصير .
(*) مصيبتان : أعاصير مغرب .

عجائب القلب (*)

تلك التى كنت أغليـهـا واذكـرها	صُبحـا ومُسْـيا ، وفى سر وإعـلان
قـد كنت أرحم نفـسى من تذكّـرها	فـاليـوم أرحـمـهـا من فـرط نسيـانى
عجائب القلب . ويلى من عجائبه . !	عــزت نظائرها فى العـالم الفـانى

* * *

فراغ . فراغ (*)

فــــراغ بـارد شــــات .!	بـلا مـــــــاضٍ ولا آت
أأمــــوات ؟ نـعـم . لـكـنْ	نـحـس فـنـاءَ أمـــوات
وويا بؤسَ الـفـنـاء نحــــ	ــه فى كل مـيـقـات

* * *

الصحوة الكبرى (*)

مـــتـــجـــردان ويملكان سـعـادة	لكليـهـمـا ، لا يحـتـويهـا العـالم
يتـمـليـان الصـحـوة الكبـرى وقـد	سـعـدا بأسـعـد مـا يراه الحـالم

* * *

(*) عجائب القلب : أعاصير مغرب .

(*) فراغ . فرغ : أعاصير مغرب .

(*) الصحوة الكبرى : بعد الأعاصير .

معجزة وبرهان (*)

أطفـــأت منى الليـــالى شُــعَـــلا بعـــد شُـــعَلْ
من غــــواياتى وأحــــلا مــى ، ومــن بــرق الأمــلْ
فلمــا يُومض فـيــهـا النــ ـــور مـن نـار القُـــــبل
عـــجـــبــا ، لكنّه وهـ ـــو عـجـيـبٌ قـد حـصل ! . .

* * *

عـــجـــبـــا والدهر لا يفــ ـــنى أعـــاجـيـبَ الحـيـــاة
مـــفــــرِقٌ شـــاب يُشــ ـــبّ الحبٌ فى قلب فـتـــاة
شـــركٌ صـــاد - ولـم أنــ ـــصبـه - صـيّـادَ البُـزاة
وقـــــديماً كــــان إن دا ر على الصــــيـــد نصل

* * *

لـو لســـــانٌ قـــالـه لى لم أصـــدّق مـــا يقـــول
غـــيــر أنّ الشــوق فى خــد يكِ يســـرى ويجـــول
مـــزهـرًا بعـــــد ذبول مــشــرقــاً بعـــد أفـــول
قـــســمٌ فـــــاه به قلــ ـــبكِ ، بـل وحــىٌ نــزل

* * *

أحـــوج الـوحى إلى مـــعـــ ـــجـــزة وحىٌ عـــجـــاب
عند قلب كـــافـــر بالنـــ ـــاس يغلو فى ارتيـــاب
يـا رســـــول الحب آمنـــ ـــتُ وفى كــفى الكتـــاب
طفلة تهـــفـــو إلى الشــ ـــيب ؟ أجـل ثـم أجـل !

* * *

(*) معجزة وبرهان : بعد الأعاصير .

حين لمّحت تغابيـ ـتُ ، ولى واللّه عذرُ
وانثنى التلميح كالتـ ـصريح والشكُّ مصرّ
ثم طاش السر حتى كاد يسعى وهو جهر
وتلاقينا فماذا كان ؟ بركان جفلْ

* * *

خاب شكى وأنا الآ ن بما خاب سعيد
وسعيدٌ كلما خا ب ببرهان جديد
بين حسن فيك يزدا د وإقبالٍ يزيد
وسلام شاع فى نفـ ـسك كالليل شملْ

* * *

يا فتاتى هو من ربـ ـك واللّهِ قدَرْ
قدرٌ أرحم ما حمّ على قلبِ بشر
أغمضنى عينيك وامضى فيه أيّان استقر
واطمأنى . ما قضى اللّه قضاءً فارتجلْ !

* * *

صاغه اللّه عجيباً ومحا عنه عجيبا
غير بدع أن يهيج الشـ ـرر الحى لهيبا
إنما البدع لهيب يبتغى منا شبوبا
كله إن جل أو قـ ـل من الشمس وصلْ

* * *

نحن فى الآفاق قُربى بعضنا ينشد بعضا
ربما قيل رماد وهو ملء الأفق رمضا
إن فى النور لقاحا صنوه بالصنو يرضى
رب نجم منك لو لا شرر منى أفلْ

* * *

انتقام جيتى (*) (١)

يا صديقى القديمَ «جيتى» اعتذارًا ... لك من سوء ظنَّتى ومآلى
كنت أنعى عليك حبك فى الستين بنتَ العشرين ، فاغفر ملامى
وأرانى على ملامك من قبلُ ... لحبٍ دون الثمانين دام
فانتظرنى فقد يجىء اعتذارى ... لك طوعاً فى مقبل الأيام
إن عشقنا كما عشقت وأوفيـنا عليها انتقمت خير انتقام !

* * *

إلى الشفاه لا إلى الآذان (*)

فيم أروى لك شعرى ؟ ... أنا أدرى . أنا أدرى

* * *

أنا أدرى . يا فتاتى ... حيث ألقى بالأغانى
إن شعرى سمعته ... شفتان . . شفتان !
ها هنا سرب إلى القلب الذى أعنيه دان

* * *

(*) انتقام جيتى : بعد الأعاصير .
(١) شاعر الألمان الأشهر وله قصة حب فى الستين وأخرى فى الثمانين .
(*) إلى الشفاه لا إلى الآذان : بعد الأعاصير .

* * *

رفّ شــعــرى حــيث رفّت بـالأمـــانى قـــبـــلاتى
وتـصـــفّــحت صـــداه قـــبـــســـاً فى الوجنات
هو مـن ثغـــر فـــتـــاتى وإلى ثغـــر فـــتـــاتى

* * *

فـــيم تســـعـى رحلتى بـ ـــين المعـــانى وتـطـول
ها هنا الـشـعـــر ومـوحى الـ ـشـعـــر يصـــغى ويقـــول
كل إصـــغـــاءٍ لعـــمـــرى بين هـذين فـــضــــول

* * *

مـزج (*)

ســمّــيــتنى باسم اللّذات وبيننا عـــمـــرٌ كـــعـــمـــرك أو يزيد قليـــلا
مـزجَ الهوى العمرين فى جيلٍ فلا تقـــديم بينهـــمـــا ولا تأجـــيـــلا
ومـــحـــا الـفـــوارق كلهن فلم يدع غـــيـــر الهوى جـــيـــلاً لنا وقـــبـــيـــلا

* * *

لفــاع (*) (١)

لفـــاعك فى عنقى كـــالوفـــا ء يطوّق جـــيـــدَ الســـمـــيع المجـــيب
مــكـانُ ذراعــــيـــك أولى بـه نســيجُ يديك السـخى القـشــيب

* * *

(*) مزج : بعد الأعاصير . (*) لفاع : بعد الأعاصير .
(١) اللفاع : هو ما يعرف بالكوفية ويلف حول العنق فى الشتاء .

إذا فـــاتـنـى مـنـك طـيـب الـعـنـا ... ق فلســواى منه بديلٌ قـــريب
فـــلا أُحـــرَم الـدفـء عـنـد الـقـــا ... ء ولا أحـــرم الـدفـء عـنـد المغـــيب

* * *

رأيـــت (*)

رأيـت الـنـهـــر ظـمـــآ ... ن إلى البـــيـــداء يرويهـــا
رأيت الزهر مـــشـــتـــاقـــا ... إلى الأطواد يُحليـــهـــا
رأيـت الـلـيـلـة الـلـيـــلا ... ء والـكـوكـب حـــاديهـــا
رأيت الحـــان تنســـاب ... إلى أفـــواه حـــاســـيـــهـــا
رأيت العـــجب العـــاجـ ... ـــب فى الدنيـا ومـا فـيـهـا
شـــبـــاباً هام بالهـــا ... مـة قـد شـابت نواصـيـهـا
إخـــال الحب يســـتـــحـــد ... ث ترويحـــاً وترفـــيـــهـــا
ألا فـلـيْـلـهُ مـــا شـــا ... ء فـمـــا تفنى مـــلاهـيـــهـا

* * *

من الأستاذ عماد (*)

يا حـــزين النفس أُعطيت مناها ... فـاغنم الفـرصـة حـتى منتـهـاها
لا تنغّـصـهـا اخـتـيـارًا واكـتـنـاها ... إن مـن خـــاف مـن الجـن يراها

* * *

. . . .
لا تـقـل يا وردتى شـــوكـك أيـنـا ... مـا علينا منه فـيـهـا مـا علينا ؟
إنهـا أخـفـتـه عنا فـانتـهـينا ... حـــسبنا الوردة رفّت فى نداها

* * *

(*) رأيت : بعد الأعاصير .

(*) من الأستاذ عماد : أعاصير مغرب .

إلى الأستاذ عماد (*)

يا صـديق النفس من عـهـد صـبـاها ... نصـحك الصادق لو تُشفَى ، شـفـاها
مـــحنةٌ تـبلغ فـى يومٍ مــــداها ... مـا ترانى صـانعـاً ، أو مـا تراها ؟

* * *

ناصــحى أنت بزهرى أنتــشـيـــه ... لا أَبالى الشـوك والغـصـة فـيـه
كل شــوك يـا صـــديقى أتقـيـــه ... يخــــرق الـدرع وإن دقت عــــراها

* * *

وردتى يا صــاحــبى فى الورد بدع ! ... بدعــــهــــا طبع ، وكل الورد طبع
طبــعــهــا كــالفخ ينهـاك ويدعــو ... وبـلاء الـنـفـس فـى مـسّ جـنـاهـا

* * *

إن تـقـل فــــز بالجنى قلت رويدا ... الجنى الكيـد ، فـهل نأمن كـيـدا ؟
الجنى القـيد ، فـهل نحـمـد قـيـدا ؟ ... الجنى ، يا ويحــهـا ، أشـهى أذاها !

* * *

وردتى آفــتــهـــا فــرط التـحــدى ... جـــاوزت فى كل شىء كلّ حــــد
حـسنهـا هيـهـات منه حـسـن ورد ... شـوكـهـا أنفـذ من شـوك سـواها

* * *

أتـرانـى نـافـــــعـى والـقـلـب دام ... وســـعـــار الجــرح يمشى فى عظامى
لـذة الـعــــــــيش بـوشـى ونـظـام ... وامـــتـــلاء الأنف من عطر شــذاها

* * *

(*) إلى الأستاذ عماد:أعاصير مغرب .

آه مـن برئى وآه مـن ســـقـــامـى آه من صلحى ، وآه من خـــصـــامـى
آه من شـــمـــسى وآه من ظلامى آه من لـذعـــة آه فـى جـــواهـا

* * *

لـذعــة الـنيـــران يـنـفــثـن دخـــانـا لـيــضىء اللهب الخـــافى عـــيـــانـا
لـهـــبـــاً صـــرفـــا تـعـــالى وتـدانى مـن قـــــرار الـنـفـس يـرتـاد ذراهـا

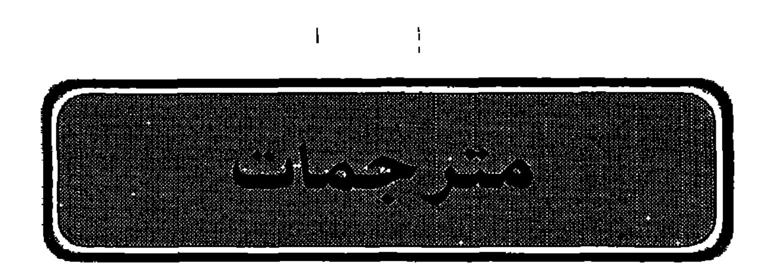
* * *

آه من آه لـحـــــاهـا اللّـه جـــــداً لا تزل خـــــالـدة فى الـنـار خـلـداً
من قلوبٍ تلتظى حـــبــاً وحـــقـــدا حـــرقـت آهـاتـهـــا آهـا فـــأهـا

* * *

أنـا لا أطلقـــهـــا حـــتى تـذوبـا فى لظاها ، كلمـا شـبت شـبـوبـا
وأرانـى يـا صـــــديـقـى لـن أتـوبـا فـــإذا تـابـت عـــرفـنـا منتــهـــاهـا

* * *


مترجمات

فينوس على جثة أدونيس [1]

معربة عن شكسبير

رأت شفتيه والبكى يستجيشها	فما راعها إلاّ اصفرارٌ عليهما
وجست يداً كانت نطاقاً لخصرها	فلا رمقاً فيها تُحس ولا دما
ومالت على أذنيهِ حتى كأنهُ	ليسمع منها شجوها والتندما
وتفتح جفنيه لتبصر فيهما	سراجين كانا يسطعان فأظلما
سراجين كانا يجلوان لعينها	جمال محياها فواراهما العمى
وكانا لوجه الحسن أجمل مبصر	فقد فجع الموت المحاسن فيهما
فقال «برغمى إنك اليوم ميّت	وإن الضحى لمّا يزل متبسما»

* * *

«ألا أيُّهذا الحب إنك بعدهُ	ستصبح داء فى الجوانح مسقما
ستصبح أنّى سرت ترعاك غيرة	بعين تريك الوهم صدقاً مجسما
ستقبل محمود الأوائل سائغاً	وتدبر مشئوم العواقب مؤلما
وإنك إما عن مرامك قاصرُ	فتأسف أو مجتازهُ متهجما
عذابك بالصفو الذى فيك راجح	ومأؤك ممزوج به الرى والظما

* * *

«بلى سوف تغدو أيها الحب كاذباً	لجوجاً ملولاً جافياً متبرما
يطير بعطفيك النسيم إذا سرى	وترمى بك الأنفاس فى كل مرتمى

(*) فينوس على جثة أدونيس : جزء أول .

(١) فينوس عند الأقدمين هى ربة الحب وأدونيس فتى جميل من أبناء ملوك قبرص كان مولعاً بالصيد والطراد ورأته فينوس طارداً فهويته ونصحته بالإقلال من الصيد خوفا عليه ولكنه أبى ، وما زال حتى قتله خنزير وحشى فوقفت على جثته حزينة تريق عليها من شراب السلسبيل إلى أن نبتت فى موضعها زهرة نضرة ، والأقدمون يرمزون بهذه القصة إلى تجدد الربيع بعد موته ويقال إن عبارة أدونيس مأخوذة عن الشرق وأن اسمه مأخوذ من أدوناى وهو اسم من أسماء الله بالعبرية .

تطوف وما أحلاك يا حب ساقياً ... بكأس تغر الحاذق المتوسما
بكأس حوافيها نعيمٌ ولذةٌ ... وما ضمنت إلا سماماً وعلقما
تهد قوى الشبت المريرة من جوىً ... فتعرفهُ [1] إلا مشاشاً وأعظما
وتنفخ فى روع العيىّ فينبرى ... فصيحاً ويغدو مدره القوم [2] أبكما

* * *

«ويا حب تعفو عن كبائرَ جمة ... وتضطغن الذنب اليسير تجرُّما
ويا حب تضرى من يدب على العصا ... فيضرى ، وتنهى الضارى المتقحما
وتبتز أموال الغنى وربما ... منحت كنوز المال من كان معدما
عراقة [3] مجنون ورقة مائق [4] ... ويا ويح قلب وامق من كليهما
وقد يحلم الفتيان فى ميعة الصبا ... ويسفه فيك الشيخ إن بات مغرما
هيوباً ولا شيءً يهاب لقاؤه ... عسوفاً إذا ما الخوف قد كان أحزما
وترحم أحياناً وفيك قساوة ... وأنت بأن تقسو جدير وترحما
وأخدع شيء أنت إن قيل منصف ... وأصعب شيء أنت إن قيل أسلما
وإن شئت أزجيت الجبانَ فاقدما ... ووسوست فى قلب الجرىء فأحجما

* * *

«ألا أيها الحب الغوىّ ألا انطلق ... على الناس سيلاً جارفاً أو جهنما
ألا ولتفرق والداً عن وليده ... فلا أمّ تحنو إن قسوت ولا ابنما
وكم فتنة يا حب تورى ضرامها ... وترسلها شعواء فى الأرض والسما
ألا وليكن أشقى الأنام بحبه ... أحق امرئ فيه بأن يتنعما»
نبوءة ولهى رُوّعتْ فى حبيبها ... وجار الردى الباغى عليها فصمما

* * *

(١) فتعرقه : عرق اللحم كشطه وأبقى العظام والشبت المريرة هو الصبور الوثيق الخلق .
(٢) مدره القوم : المتكلم عن القوم . (٣) عرامة : شراسة .
(٤) مائق . أحمق .

العـــــرض (*)
معربة عن شكسبير

أرى الذكـر للإنسـان أنفس جـوهر
تزان به أعــراضــه ومناقــبــه
ومـا سـارقى من يسـرق المال إننى
أرى المال من يظفر به فهو صاحبه
تَقلّب فى الأيدى فـقـبلك كـاسب
حواه ، وقد يحويه بعدك كاسبه
ولكنّ من يسلب من المرء عـرضـه
فذلك فى شرع الحقيقة سالبه
يُضيع على المثلوب زينة نفسه
وليس يفيد العرض من هو ثالبه

* * *

الـــوداع (*)
معربة عن بيرنز

قـبلة بعـدها يطول الفـراق
وعناق ، وليس بعـدُ عناق
سـوف أبكيك والمحاجـر شَكْرَى (١)
بدموع من الفـؤاد تراق
سـوف أدعـوك فى الدجى بأنين
وزفـيـر فى الصدر منه احتراق
كـيف يشكو من عثـرة الجد ظلماً
مَن مـحـيـاك نجمه الألّاق
بيـد إنى درجت فى ظلمة اليأ
س فحَوْلى من الظلام نطاق
لست ألحى على الهـام فـؤادى
قـدَرُ الحب دفعه لا يطاق
من رآها فـكـيف يسلو هواها
يعشق القلب إذ ترى الأحداق
آه لولا صبابة وغرام
قـد شربناه والكؤس دهاق
مـا غدونا ولى فـؤاد كسير
وجبين سيماؤه الإطراق
فسلاما يا قـرة العين والقلـ
ـب وأحلى من صوَّر الخلاق

(*) العرض – معربة عن شكسبير : جزء أول .
(*) الوداع – معربة عن بيرنز : جزء أول .
(١) شكرى : ملأى .

حـاطك اللّه بالسـعـادة والحب ... ورواك مـاؤه الـرقـراق
قـبلةً بعـدها يطول التنائى ... وعناق ، أواه ! ثم افـتـراق

* * *

لا طـلع الصبـاح (*)

مترجمة ببعض توسع عن رواية روميو وجوليت

أمـبـتـعـدٌ ومـا اقـتـرب الصبـاح ؟ ... كـأنّ الدهر شـيـمـتـهُ السـمـاح !
أراعك صـائح الطيـر المغنى ... فـخلت الليل ينعـاه الصـيـاح ؟
ترّفقْ لا عـدمـتك من حـبـيـب ... فـليـس عـليـك مـن رفـق جُـنـاح
فـذاك الـبلـبل المسكين يبكى ... فـيطربهُ كـمـا شـاء النواح
يـرفُّ لـه وجـنـح الـلـيـل داج ... على رمـان دوحـتـنا جناح
أكنت حـسـبـتـهـا الورقـاء هبّت ؟ ... لـقـد واللّـه جـدٌ بك المزاح
قليـلا مـا أقـمـت فـقف مَليـاً ... قُـبَيل الفـجـر ، لا طلع الصـبـاح

* * *

الـوردة (*)

مترجمة عن قطعة للشاعر الإنكليزى وليام كوبر

(وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى فعرضتها هذه عليه تستندى قريحته فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشاعر الرقيق) :

أتتنى بهـا مَن خـدُّها مـثل لونهـا ... مـبللة الأوراق باكـيـة السن
جنتـهـا لـهـا تربٌ حَـصـان تزفـهـا ... إليها ، وقد يجنى على الورد من يجنى

(*) لا طلع الصباح : الجزء الأول .
(*) الوردة : جزء أول .

كـــــــأنَّ نـدىّ الـطـل دمـعٌ أطـلـه فـراق وُرَيدات صـغـار على الغـصـن
فـأمـسكتـهـا خـجلى الحـيـا أهزها لتنشط من خـوف وتبـسم من حـزن
فمـا كـان أقسانى ! لقـد فاض روحـها وطتـرت بداداً فى التـراب إلى الدفن
ولو لطفت كـفى لفـاحت وأزهرت كما شئت من عطر وما شئت من حسن
كـــــذاك يكون اللوم طعناً وربما حوى بلسما يشفى الجريح من الطعن
وكـم راح تعنيف الشـجى بروحـه ألا إن بعض العـذل يضنى ولا يثنى
ولـو لمتَ فى رفق رأيت ابتـسـامـة تجـول مكان الدمع من جـانـب العين

* * *

القـــدر (*)

مترجمة عن بوب الشاعر الإنكليزى

إنما الغــيـب كـتــاب صـانه عن عـيـون الخلق رب العـالمين
ليس يبــدو منه للناس سـوى صـفـحـة الحـاضـر حـيناً بعـد حين

* * *

لا مرتين على جبل الكرمل (*)

سقاك الحيا يا حوض أعذب ما سقى ففـيك قـرأت الحسن سطرا منمّـقـا
حـبـاك الفـضـاء اللازوردى لونه فـجـلاك كـالمرآة تلمع أزرقـا
أراك وقـد فـيـأت «ليلى» عـشـيـة صموتا كمن يصغى إليها محدّقا
تمثل منهـا وجـهـهـا - فـعلَ عـاشق - يظل إلى مـعـشـوقـه مـتـشـوقـا
فـتطلعـه كـالبـدر يبـدو مـثـالـه بمصطفق الآذىّ أبلجَ مـشـرقـا
فمـا حفلت عين بما فـيك من حصى حكى الدر أو عـشـبٍ هنالك أورقـا

(*) القدر : جزء ثانى .

(*) لامرتين على جبل الكرمل : الديوان الجزء الأول الطبعة الأولى . (٦٨ فقرة ٦) .

وما ينظر الرائى السماء مصعّدا ... إلى الأفق بل يستوضح الماء مطرقا
لك اللّه كم حسناً حويت ورونقا ... روى الماء عن ليلاى فيك فأصدقا
فعينان أبهى زرقة وملاحة ... من الزهر ينمو فى حوافيك مونقا
وحسبك من در البحار بمبسم ... تضاحك فيه دره وتألقا
وثغر كأن الورد باكره الندى ... فجال على أوراقه وترقرقا
وجيد كمثل العاج أبلج ناصعا ... على أنه كالغصن مال على النقى
وفرع كخفق الموج فيك خفوقه ... يكلل منه الزهر فودا ومفرقا
وفيك من المرجان يا حوض دملج ... تحلى بأحلى معصم حين أحدقا

***

رفعت يدى دون النسيم وقد سرى ... مخافة ذاك الظل أن يترنقا
أحدث نفسى أننى منك لا قط ... إذا ما مددت الكف درا منسقا
وأرشف من ماءٍ هنالك ريقٍ ... جلا الحسن عذبا فى حواشيه ريقا

***

على أن ليلى خلفتك وأجفلت ... إلى أمها تعطو لديها تأنّقا
فأنى لأدلى فيك طرفى فلا أرى ... سوى الماء أمسى راكد الحس ضيقا
تذوقت منه قطرة بعد قطرة ... فألفيت ما لا يستطاب تذوقا
وكنت أرى حسنا فمالىَ لا أرى ... سوى حشرات أو نبات تفرقا

***

حنانيك يا بنت المشارق إن لى ... فؤادا بربات الجمال تعلقا
لحسنك سر فى الفؤاد كسرّه ... على الماء أن حكاك فدققا
فقد رسمت فيه لحاظك صورة ... مدى الدهر لا تمحى وتزداد رونقا
عذيرى من تلك اللحاظ كأنما ... هى النجم فى عرض السماء تألقا
إذا رمقت فالصبح ، أو حال دونها ... خمارٌ ، فهذا ليل من قد تعشقا

***


حديقة الحيوان

مسودات الحياة (*)

مسوّدة! (*)

تأمل ترَ الأحياء عُجمًا كأنها ... مسوّدةٌ للخلق لمّا تُنقّح
ويارب سر فى كلام مسوّد ... يعود فيخفى فى الكلام المصحح
أراها كأخوان تفاوت حظهم ... وميراثهم، من سابقين ورزّح
فمن حائز نُعمى أبيه وأمه ... ومن خاسر رفديهما أو مطرّح
ومن يلقهم يلق الحياة كأنها ... حبتْ طفلةً من مهدها المترجّح

* * *

رأى واحد (*)

فى وضعين مختلفين

زعموا الإنسان قرداً ... قد ترقى وتحلى
وأناس يزعمون الـ ... ـقرد إنسانا تدلى
هو رأى واحدٌ نقلـ ... ـبه علواً وسفلا

خنزير أعجف (*)

فيه خنزيرية ظاهرة ... ما نفاها عنه ذاك العجف
هو خنزير ولكن شانه ... جسدٌ فى وضعه منحرف

(*) مسودة : وحى الأربعين . ١٤٠ .
(*) رأى واحد : وحى الأربعين .
(*) خنزير أعجف : هدية الكروان .

خمارويه وحارسه (*)

(كان لخمارويه بن أحمد بن طولون أسد عوّده أن يجلس بين يديه إذا أكل وأن يسهر إذا نام وقدسافر مرة وتركه بمصر فقتل فى دمشق ، فأعجب لرجل حرسته السباع واغتاله الناس! .)

ركنت إلى السباع خمارويه — ولم تركن إلى أحد سواها
تحوطك نائماً وتبيت تخشى — قلوب الناس أن يطغى أذاها
أليس من العجائب أن ليثاً — يذود رعية عمن رعاها ؟
وأن يحمى ابنَ آدم من أخيه — سباعٌ جَلَّ أن يُدعى أخاها
وثقت بذى حفاظٍ ليس يُرشى — ولا ينسى الحقوق لمن حباها
وهم قتلوك حين وثقت منهم — وكم حفظ العهود فما اعتداها
ولو شهد اغتيالك فى دمشق — لضرَّج بالجناية من جناها

* * *

العقاب الهرم (*)

يهم ويعيبه النهوض فيجثم — ويعزم ، إلا ريشه ، ليس يعزم
لقدرنّق (١) الصرصور وهو على الثرى — مُكبٌّ ، وقد صاح القطا وهو أبكم
يُلملم (٢) حدباء القدامى كأنها — أضالع فى أرماسها تتهشم
ويثقله حمل الجناحين بعد ما — أقلاه وهو الكاسر المتقحم

(*) خمارويه وحارسه : الجزء الأول .
(*) العقاب الهرم : جزء أول . ٣٠ (١٢ (فقرة ٤٥) .
(١) رنق : طار طيرانا خفيفا .
(٢) يلملم : يضم .

جناحين لو طارا لنصت فـــدوّمت ... شـمـاريخُ رضـوى واسـتـقل يلملم [1]
ويلحظ أقطار الســمـــاء كــأنه ... رجيم على عـهـد السـمـوات ينـدم
ويغـمض أحـيـاناً فـهل أبصـر الردى ... مـقـضـا عليـه أم بماضـيـه يحلم
إذا أدفـأته الشـمس أغــفى وربما ... توهمـهـا صـيـداً له وهو هيـثم [2]
لعـينيك يا شـيخ الطيـور مـهـابةٌ ... يفـر بغـاث الطيـر عنهـا ويهـزم
ومـا عـجـزت عنك الغـادة وإنما ... لكل شـبـاب هيـبـة حين يهـرم

* * *

عيش العصفور (*)

حطّ على الغـصن وانحـدر ... أقلّ من لمحـة البـصـر
مـغـــرداً قط مـا توانى ... مـرفـرفـاً قط مـا اسـتـقـر
يلمـس أيكاً بُعَـيْـد أيك ... كـأنهـمـا يلمس الإبر
مـطـارداً لا إلى طـريـدٍ ... مـسـابقـاً لا إلى وطر
كـخـفـة الطفل فى صـبـاه ... لكنهـا خـفـة العُـمـر
وروده نغـبـة فـأخـرى ... من خـوّف الطائرَ الصـدَر ؟
يقـارب السـحب ثم يهـوى ... يبـشـر الروض بالمطر
أصـدق من سـار فى سـرار ... بين الحيا [3] العذب والشجر
ويسـتـحث الرياح ضـرباً ... بخـافـقـيـه فـتـبـتـدر
للّه مـا أهول المطايا ... وأضـعف الراكب الأشـِر [4]
طار وليـداً شـيـخـاً ... بين البسـاتين والغـدُر

* * *

(١) التدويم : تحويم الطائر فى الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا هما والجبال سواء . ورضوى ويلملم اسما جبلين .
(٢) الهيثم : العقاب الصغير .
(*) عيش العصفور : جزء أول .
(٣) الحيا : المطر .
(٤) الأشر : المرح .

لا أعين الماء ناضبـــاتٌ ولا خـــلا الروض من ثمـــر
أخـــبـــرُ بالنضج مـــقلتـــاه ممن ســـــقى الحب أو بذر
سلة عن الجند والزمـــــر سله عن الملك والسُــــرر
لـم يـأتـه عـنـهـمُ بـلاغ ولا دليل ولا خـــبــــر
هذا هو العـيش فـاغـبطوه عليـــه يا أيهـــا البـشـــر

* * *

هذا هو العـيش فـارحـمـوه عليـه واسـتـخـبـروا الغِـيَر
فـــإن ســـألتم فـســـائلوه عن صولة الصقر إن كسر [1]
وحــــيلة الدّبقْ [2] فى ثراه وغـــيلة الحـيـــة الذكـــر
هـنـاك يـنـزو لـه فـــــؤاد لا يجـــهل الريب والحـــذر
لم يخف عن أعين الليـــالى ولا تـوارى من الصـــغـــر
حـبـــائل الدهر قـــانصـــات من طار أو غـــاص أو خطر
من عـاش يومـاً أو بعض يومٍ يعلم مـــا ضـــربه القـــدر
أليس هذى الحـيـــاة ذخـراً وحـــارس الذخـــر فى خطر ؟؟

* * *

الـــكروان (*)

هل يســـمـــعـــون صـــدى الكروان صـــوتا يرفـرف فى الهـزيع الثـــانى
من كـل ســـار فى الظلام كـــأنهُ بعض الـظـلام تَضـلـه الـعـــــينـان
يدعـــو ، إذا مـــا الليل أطبق فـوقـهُ مـــوجَ الدياجـــر ، دعـــوة الغـــرقـــان
ويشبّ فى الجـــو الســـحـــيق كـــأنهُ يبـــغى النجـاة إلى حـمى كـيـوان [3]

(١) كسر : الطائر الكاسر هو المتهيء للانقضاض على الفريسة .
(٢) الدبق : الشرك .
(*) الكروان : الجزء الأول .
(٣) كيوان : عطارد إله الغناء والفنون عند اليونان .

عـاف التـجـمل فـهـو فى جلبـابه
فـــان يرتل كـــالأبيل الفـــانى (١)

مـــا ضـــــرَّ من غنـى بمثل غنائه
أن ليسَ يبطش بطشـــة العـــقـــبـان

إن المزايا فى الحـــيـــاة كـــثـــيـــرة
الخـوف فـيــهـا والسُّطا سـيـان (٢)

* * *

يا مـحـيىَ الليل اليـهـيم تهـجّـداً
والطـيــــر آوية إلـى الأوكـــــان

يحـدو الكواكب وهو أخـفى مـوضـعـاً
من نابغ فى غـــمـــرة النســيـــان

قل يا شـــبـــيـــه النابغين إذا دعـــوا
والجـهـل يضـرب حـولهم بجـران (٣)

كم صـيـحــة لك فى الظلام كـأنهـا
دقـــات صـــدر للدجنّة حـــان

هن اللغــات ولا لغــات ســوى التى
رفــعت بهنّ عــقّــيــرة الوجــدان

إن لم تقـيــدها الحــروف فــإنهــا
كـــالوحى ناطقـــة بكل لســـان

أغنى الكلام عن المقـاطع واللُّغى (٤)
بث الحــزين وفــرحـــة الجـــذلان

. . . .

ما أحب الكروان (*)

ما أحب الكروان !

هل سمعت الكروان !

مـوعـدى يا صـاحـبى يوم افـتـرقنا
حـيث كـانت جـيـرةٌ أو حـيث كنا

عــاتفٌ يهـتف بالأسـمــاع وهنا (٥)
هو ذاك الكروان ، وهو هذا الكروان !

* * *

الكراوين كـــــثـــيـــــر أو قليلْ
عـندنا أو عندكـم بين النخــــيـلْ

ثَم صــوتٌ عـــابرٌ كلَّ ســبــيـلْ
هو صوت الكروان ، فى سبيل الكروان

* * *

(*) ما أحب الكروان : هدية الكروان .

(١) الأبيل الفانى : الراهب .

(٢) سطا : جمع سطوة .

(٣) الجران : هو العنق .

(٤) واللغى : جمع لغة .

(٥) وهنا : الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

لى صــدى منه فــلا تنس صــداك هــو شــــــــاديـك بـلا ريـب هـنـاك
فــإذا مــا عــســعس الليـل دعــاك ذاك داعى الكروان ، هل أجبت الكّروان ؟

* * *

مــــفــــــردٌ لـكـنـه يؤنـسـنـا ســــــاهـرٌ لـكـنـه يـنـعـــــســنـا
صــــدحت فى نفـســـه أنفـــسنا فتسامعنا سواء ، وسمعنا الكروان ؟

* * *

واحـــــدٌ أو مــــائة ترجـــعـــــه عـنـدنـا أو عـنـدكـم مـطـلـعــــــه
ذاك شىءٌ واحـــــد نـســـمــــعــــه فى أوان وبيـــان ، هو صــوت الكروان

* * *

واحـــدٌ بين عــصــور وعــصـــور نحن نســتــحــيى به تلك الدهور
لـم يفـــتـنا غـــابر الدنيـــا الغــرور فى أوان الكروان ، مــا أحب الكروان

* * *

على الجناح الصاعد (*)

حــادى الظلام على جناح صـاعـدِ يا أرض أصغى ، يا كواكب شاهدى !
يا آنسين بصـــحـبــة من وجـدهم نُصـــوا المســـامعِ للأنيس الواجـــد
يا ساهدين على انفـرادٍ فى الدجى ردوا التـــحــيـــةَ للفـــريد الســاهد
المســـتـــعــزَّ بعـــرســـه وكـــأنه منهـــا نجىٌّ مــــغــــاور وفــــراقـــد
لهــجت طيـــورٌ بالضــحى وتكفَّلتْ بالـلـيـل حنجـــرة المغنى الخـــالد
يحـدو ويشـدو لا مـســاعـد حـوله أبداً ، ومـــا هو آمنٌ لمســـاعـــد
أنا صــائد لصــداك ، لستُ بصــائد لك أنت يا كـروان ، فـأمن صــائدى
بيـنـا أقـــــول هنـا إذا بك من هنـا فى جنح هذا الليل أبعـــد باعــد

(*) على الجناح الصاعد : هدية الكروان .

وودت يا كـــروان لو ألقـــيتَ لي صـــوتين منك على مكان واحـــد
إن كنت تشـــفق أن أراك فـــلا تَزلْ في مـــسـمعي وخـواطري وقـصـائدي
عـاهدت هذا الصـيف لست بواهب سمعي سواك ، فهل تراك معاهدي ؟
من كـان قـد أغنى الطبـيعـة كلهـا مُـــغنِيٌّ عن شـــاد ســـواه وشـــائد

* * *

شـــدو لا نـــوح (*)

شـــدوُ القـــماريّ لا نوح القـــماريّ هل يعبر الحزن بالشادي الصباحيّ ؟
أو الربيـــــعيّ في أنس وفي أمل وفي غــــرام على الإلفين مطويّ ؟
يا حـسنهـا من بشـيرات على دعـة كـــأنهـــا أمنت فـــوت الأمـــانيّ
مـــحـــبّـــبـــات إلى الإنســـان تألفـــه وتعـــــــتلي من ذراه كلّ علويّ
تهوى الديار ، وفي الآفاق مطلعها ، ما بالها ؟ هل سباها حسن إنسي ؟
ولأ نـاسيّ حـــــــسنٌ لا أبوح به ! هل تعرف الطير ما حسن الأناسي ؟
غَنَّتْ لزهر وسلســـال ولو رشـــفت زهر المبـــاسم جُنَّت بالأغـــانيّ
أوْلى لقُـــمــريّنا أن لا يحـوم على يأس الهـوى بين إنسي و «طَيْـريّ»
غـرد على الدور يا قــمـريُّ في دعـة واسلم هنالك من باك ومـــبكيّ
واتلُ الرجـــاء على هذا وذاك ولا تسألهما عن جوى في القلب مخفيّ
حسب المغاني التي يبكي الحزين بها من سلوة ، أن فـيهـا شـدو قـمـريّ

* * *

شفاعة الغراب (*)

حييّ الغراب الفجرَ بالنعيب تحـيـة التـهليل والتـرحـيب
وافـتـرّ نور الفـجـر كـالمجـيب في غـيـر مـا لوم ولا تثـريب
لهـــاتف ناداه من قـــريب

* * *

(*) شدو لا نوح : هدية الكروان .

(*) شفاعة الغراب : هدية الكروان .

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحـــيىّ النور باليـــقين
تحـيـة العـصـفـور والشـاهين ؟ ألا تـدين كـلـهـــا بـدين ؟
فـمـــاله يعـذل كـالرقـيب ؟!

* * *

شـفـاعـةَ الأنوار والأحـبـاب فى الأسود المهجور فى الخراب
ما الصّدحُ الهاتف بالعجاب أصـدق حـبـاً لك من غـراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسـمـعُــه والطيـر فى أوان وقُبلةَ الصبح ، وقد ناجانى
صوت حـبـيـبى بادىَ الحنان لـذلك الموعــود بالحـــرمـــان
وماله فى الحسن من نصيب !

* * *

أمنتُ منه لوعـــة الفــــراق وكلٌّ (غـــاق) عنده وفـــاق
فــلا يزل ينعم بالاشـــفـــاق من الرياض الفِـيح والآفـاق
ومنك يا فجر ، ومن حبيبى

* * *

(*) الحب : أعاصير مغرب .

أسبوع فلورة (*)
أو تكريم الكلاب

(لا أعنى تكريم كلاب المجاز ، فليس تكريم هذه الكلاب بالأمر الطارئ أو البدع الغريب . وما خلا زمان ولا مكان من كلب من كلاب الإنس علا به الجد إلى حيث باتت تتزلف إليه الأسود وتمشى بين يديه السباع ، فإن المرء ليجد كيف صار إنساناً له خسة الكلب ونذالته وليست له نظرته وإهانته ، والناس تظلم الكلاب بحشره فى زمرتها ، ويرون نهاية الزراية وصفه بصفتها . وإن الكلبية لتبرأ براءة الإنسانية منه .. ولكنى عنيت الكلاب ذات الأذناب وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا خفتها وسرعتها ولكنهم لم يسبقونا إلى الاحتفاء بها ، والاحتفال بولادتها وتسميتها ، وأن حقاً على الناس أن يمجدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت ، فهل نلام إذا نحن مجدناها فى مخلوق من مخلوقات اللّه ؟

اجتمعنا فى رهط من الأدباء ليلة من الليالى ، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضى أسبوع على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا ، فقلت أبارك للنفساء وأحيى المولود ! :)

أعلنى «يا فلورة» الأفراحا — واملأ الأرض والسماء نباحا
ما حبا الدهر بنت كلب بأعلى — من ذراريك عنصراً ولقاحا
أبشرى ، دولةَ الكلاب ، بجرو — سوف ينفى عن جيله الاتراحا
ما تقضّى الأسبوع إلا تمشّى — يذرع الدار جيئة ورواحا
خلع الليل والنهار عليه — فتوارى عن العيون ولاحا
حرّك الدهر ذيله حين وافى — وعوى الكون بهجة وانشراحا !
سوف يدعى على الكلاب أميراً — يفزع الأسد وثبةً وصياحا
يلبس الطوق من نضار ودر — ويحوك الخز الثمين وشاحا

* * *

(١) أسبوع فلورة أو تكريم الكلاب : جزء أول .

واراه يعيد سيرة قطمـ ـير [1] وقاراً وفطنة وصلاحا
لا أصابت عصا لئيم قفاه أو ثوى فى الطريق ليلَ صباحا
لا ولا عضه من الجوع ناب يُثخن الناس والسباع جراحا
أو ترامى على الموائد يوماً يرقب العظم سائلاً ملحاحا
أو براه داء الكلاب فأخفى بين جفنيه عسجداً لماحا
كان إيواؤها حراماً فاضحى اليو م إيواؤها حلالاً مباحا
قد فرحنا فى عيده وطربنا وشربنا فى نخبه الأقداحا
يا كليباً أزرى بذكر «كليب» لا تظنن ما نقول مزاحا
ما مدحت الأنام يوماً وإنى لست آلوك يا كليب امتداحا
أعجم الناس فى الوداد ومازا ل بنو الكلب فى الودادِ فصاحا
إن عيّ اللسان خير من النطـ ـق إذا كان للأذاة سلاحا
وسعار الكلاب أهون شرا من سعار يمرق الأرواحا

* * *

أبو العيد (*)
طائر يأكل دود القطن

أبا العيد لو جئت بين الأول لصلى إليك عباد الجُعل
ولا تخذوك إلهاً لهم له ملة بين تلك الملل
وقالوا إلهٌ رحيمٌ بنا فمن يدنُ منه بسوء قتل
وأبدلت من شَرك بيعة على الأرض شاهقة كالجبل
وكان لعيدك فى أرضهم أبا العيد يومٌ عميم الجذل

* * *

---

(1) قطمير : كلب أهل الكهف .

(*) أبو العيد – طائر يأكل دود القطن : جزء أول .

وعل كردفان (*)
بحديقة الحيوانات

يا وعلَ القفر كيف أسرَى — إلى حماك العزيز أسر

ساقُك يثنينها العوادى — والضأن عدّاءة تكرّ

سهوت عنا وعن أناس — يعجبهم سجنك الأمر

تذكر داراً نأيت عنها — والعمر غض الأهاب نضر

والأرض قد ملّكتك فيها — ساقٌ لها كالرياح مر

ترود منها سهلا ووعراً — يرضيك مرج منها وقفر

لو فرّ من حتفه وليد — لكنت فى رحبها تفر

هذى ديار وتلك أخرى — هيهات من كردفان مصر !

وربما خلتَها قريباً — لها وراء الحديد عبر

لو زحزحوا بابه قليلا — حواك من كردفان عُقر ! (1)

تبلغها طفرة فأخرى — ولا يؤد الوعول طفر

وكل ذى حاجة جهول — وكل راجى الخلاص غر

* * *

قضاؤك الحتم فاحتمله — واصبر وإن لم يفدك صبر

نت بحسن العزاء أحجى — وبعض حسن العزاء كبر

تربك (2) تسليك والروابى — حولك رفّافة تسر

ألفتَ زأر الأسود فيها — وكان للسمع منه وقر

وكنت إن همهمت تَمشّى — قلبٌ بجنبيك مقشعر

أمّنك الذل وهو خوف — وحاطك الأسر وهو شر

* * *

(*) وعل كردفان – بحديقة الحيوانات : جزء ثالث . ٢١٦ (١٩ .فقرة ١٤٦) .

(١) عقر : الدار وسطها .

(٢) تربك : الترب الند والمقصود به هنا أنثى الوعل .

عش مــفــرد القــيــد ، إن أصــلا نماك بين الأصـــــول حـــــر
ومـــــا وجــــدنا الإنســـان إلا مــضـــاعف القـــيـــد لا يقـــر
لــلضـــيـــم فـــيــــه وفى ذويه حــــزٌ بفـــوديه مـــســـتـــســـر
نــحــن بــنــى آدم أســـــــارى لنا بوشم الإســـار فـــخـــر

* * *

الطـــير المهاجر (*)

علمـــتنى مـــواسم الروض أنّ الطـ ـــيـــر شـــتى : مــهـاجـر ومــقـيم
أترانى لا أســــمع الطيـــر إلا فى رياضى مـعـشـشـاً لا يريم (١) ؟
رب شـــاد فى هجـــرة يتـــغنى وعليـــه الســلام والتــسليم
من جنوب إلى شـــمـــال ، وحـــيناً من شـــمــال إلى جنوب يحـــوم
فله حين يســـتـــقلّ (٢) وداعٍ ولـه حـين يقـــبـــل التـكريم
خـــذ من الطيـــر كلّ يوم جـــديداً فـــســـواء جـــديده والقـــديم
كـم مُـــوَلٍ وصــــفـــوه لا يولى ومـــقـــيم وصـــفـــوه لا يقـــيم

* * *

حديقة حيوانات آدمية (*)

(هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون ، سمى كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ فى اختياره اتفاق الشبه فى الملامح والعادات . وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف فى أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغنى ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة ، وهى لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان :)

أورفـــيـــوس الفن ســـوّى بينهـــا فـــتـــلاقى الدُّبّ فـــيـــهـــا والقـــرودْ

(*) الطير المهاجر : أعاصير مغرب .
(٢) يستقل : حين يبرح ويسافر .
(١) يريم : يفارق .
(*) حديقة حيوانات آدمية : وحى الأربعين .

وتغَنّى فــرَسُ البــحــر بهــا ... ياله من فــرس طَلْقِ النشــيــد !
ومــشى الأرنب والحــوت لهــا ... صــاحــبــا القــاعين من لُج وبيــد
وتآخَى الجِــديُ والضــبْع ومــا ... بين هذين ســوى الثــأر اللدود
وجــرى «السيسيُّ» فيها شوطه ... وهو ناهيك بســيــسى عنيــد
ولغــا «البطريق[1]» فيها لغوه ... وهو من قطب جنوبيٍّ بعــيــد
وكــأنى بالزرافَى [2] اجــتــمــعتْ ... وحمير الوحش منها فى صعيد
وأوى الســنَّور والجــرو إلــى ... نمر فيها ، على غير الوصيد [3]
والسُّلَحــفــاةُ تجــارى عندها ... أرنب البيــداء والكلب الصَّيود
فُــتحتْ أقفاصــها واختلطتْ ... لا سدود ، لا قيود ، لا حدود
حــيــوانـاتٌ نماها آدم ... وهى من أبنائه نسلٌ فــريد
حــيــوانـاتٌ ولكن بينهــا ... كلُّ ذى لب سماوى رشيــد
أورفــيــوس الفن سوّى بينهــا ... فاستوى المنشد فيها والمعيد

* * *

رثاء كلب(*)

حــزناً على كلب طاهرٍ (٤) ... فــإنه طاهر الكلاب !
تشابهــا فى خليــقــةٍ ... واتفقــا – شيمةَ الصحاب
وربمــا عَــىّ طــاهــرٌ ... وكلبه حاضر الجواب
فليس يُوفيه حقه ... من اكتئاب أو انتحاب
إلا إذا بات نابحــاً ... نبح المساعير فى الخراب
عــوْعــوْ ، عَــوْوَوْ ، بلا وبىً ... ولا انقطاع ولا اقتضاب

* * *

---

(١) البطريق : هو الطير المعروف فى اللغات الأفرنجية بالبنجوين .

(٢) بالزرافى : جمع زرافة .

(٣) الوصيد : العتبة ، وفى البيت إشارة إلى الآية «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» .

(*) رثاء كلب : وحى الأربعين .

(٤) طاهر : هو الأديب طاهر الجبلاوى .

لا تسألوا رحمة له ... قد رحم اللّه واستجاب
لعله مات قانطاً ... من «أزمة» الأكل والشراب
منتحراً فى شبابه ... وهكذا يفعل الشباب
أراحه اللّه من ضنىً ... أنقذه القبر من عذاب
فليحمد اللّه ربه ! ... من جاع فليرضَ بالتراب

* * *

كلب ضائع (*)

أوديوجين الكلبى (*)

أمست كلابك شتى ... وأنت يا صاح أنتا
كلبٌ نجا وهو حىٌّ ... وآخرٌ فرّ ميتا
ما بين تاركِ دنيا ... وتارك لك بيتا
قل لى بربك ماذا ... على الكلاب جنيتا
حتى «ديوجين[1]» ؟ قل لى ... يا شيخُ ماذا صنعتا
واللّه ما كان يأبى ... لو صادف الخبز بحتا
أو جَدتَ يوماً عليه ... فصادف الأدْمَ زيتا
زعمتَه راح يهوى ... من قومه الغرّ بنتا
لا تلزم الحب ذنباً ... من الصيام تأتى
فاحمل رغيفاً تجده ... فى أى صوب نظرتا
مصباحه [2] ليس يجدى ... فلا تُضع فيه وقتا
أنعمْ به من حكيم ... إلى ديوجين متًّا
رأى السلامة حقا ... ومن رأى الحق أفتى

* * *

(*) كلب ضائع - أوديوجين الكلبى : وحى الأربعين .

(١) ديوجين : الكلبى فيلسوف يونانى . قد سمى الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية .

(٢) مصباحه : كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً فى النهار يفتش به عن رجل فلا يجده .

أمام قفص الجيبون (*)

فى حديقة الحيوان

(القرود العليا هى الشمبانزى و «الأرانغ أتانغ» و الغورلا» و«الجيبون» وهو فرع وحده فى رأى كثير من النشو ئيين ، لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف .

ومن هذه القرود العليا ما يصلح – من الوجهة الشعرية – أبا للفلاسفة والحكماء وهو «الشمبانزى» لتأمله وسكونه وإشمئزازه من الحياة !

ومنها ما يصلح أبا لرجال المطامع والوقائع وهو «الغورلا» لبطشه وهياجه وقوة عضله .

ولكن «الجيبون» وحده هو الذى يصلح من الوجهة الشعرية أبا للفنانين والراقصين لأنه لعوب طروب ، رشيق الحركة خفيف الوثوب يقضى الكثير من أوقاته فى الرقص والمناوشة ، ويحب أن يعرض للناس ألاعيبه وبرواته ، وإذا صعد أو هبط فى مثل لمح البصر فإنما يصعد ويهبط فى حركات موزونة متعادلة كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ فى مساواة الوقت ولا فى مضاهاة المسافة ، فإذا شهدته فاسأل نفسك :

ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو فى «سلم الرقى» ولم يأت على درجات السلم كلها صعودا ووثبا فى بضعة ملايين من السنين ! هذا سؤال ، وسؤال آخر تعود فتسأله : ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد ؟ الطعام المطبوخ ؟ هو يأكل طعامه الآن نيئا وذلك أنفع ، أو يأكله مطبوخا على يد غيره وذلك أدنى إلى الراحة !!

أو يفيد العلم ؟ قصاراه إذن أن يقول «لست أدرى» كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود .

أو يفيد وزن الشعر ؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض . وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب لتستعيض منها بترقيص الكلمات وتوقيع المعانى ، وهو قاعد حسير ! أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات :)

(*) أمام قفص الجيبون : عابر سبيل .

أيهــذا الجــيــبــون أنعم ســلامــا يا أبا العــبــقــرىّ والبـــهلوان
كــيف يرضى لك البنون مــقــامــا مُــزريا ، فى حــديقــة الحــيــوان ؟

* * *

إلعبْ الآن وانتظر بعــدُ حــقْــبــا تــرقَ فــى «سلـم الـرقـى» وتـعـلُ
كــيف لم تصـعـد السـلالم وثبـا أيهـــا الصـــاعـــد الذى لا يمل

* * *

يا عــمــيــد الفنون صــبــراً ، ومــهــلا وارض حظ الهــتـــاف والتـــهليل
مــرحــبــا مــرحــبــا ، وأهلا وســهــلا والهــدايا مـــا بين لب وفـــول

* * *

انتظر يا صــديق شــيــئــاً فــشــيــاً تطبخ القـــوت كله بيـــديكا
غــيــر أنى أخــال مــا كــان نيــئــاً منه أجـــدى فى الحـــالتين عليكا

* * *

انتظر يا صـــديق مليـــون عـــام أو مـــلايين ، لست واللّه أدرى !
إن تدانيت بعـــدها من مـــقـــامى فــقــصـــارى المطاف أن لست تدرى

* * *

واصطبـــر إن عناك نثـــر ونظم ســـوف تتلوا نثـــرا وتنظم شـــعـــرا
وغـــدًا يطفـــر الخـــيـــال ويســمـــو والذراعـــان لا تطيـــقـــان طفـــرا

* * *

وجـــمـــال الوجـــوه ســـوف تراه فى المرايا ، بعـــد الطواف الطويل
ســـوف تحلو فى ناظريك حـــلاه فــتــهــيــأ للضم والتــقــبــيل !

* * *

وإذا مــــــــا درســت أوزان رقـص   بعـد لأى ، فـالرقص فـيك انطبـاع
هل تنال الكمـــال من بعـــد نقص   إن أقــلـتَّــك فـكــرة ، لا ذراع ؟

* * *

قـــفص أنت فــيـــه أرحب جـــدا   من فـضــاء ، نقـيم فـيـه أسـارى
قـد ضللنا فـيـه وهيـهـات نهـدى   ونجـوم الســمــاء فـيـه حــيـارى

* * *

انتظر ! ســوف تفــهم الشيء باسم   بعــد رسم ، وغــابر بعــد حـــال
فـــإذا مـــا طلبت باطن فــــهم   يا صـــديقى ، طلبت أى مــحـــال

* * *

أين بالأمس كنت يوم ابتـــدأنا   والتــــقــــينا بآدم فى الطريق
قـــــد بلغنا . فــــأين تبلغ أينا   حين تمضى وراءنا يا صـــديقى ؟

* * *

إلهُ والعب واضحك كما شئت منا   أنت طفل الزمـــان ، والطفل غـــر
سوف تبكى حزنا وتضحك حزنا   حين يمضى دهرٌ ويقــــــبل دهر

* * *

عتب على الجيبون (*)

(ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة ، وقصدوا إلى قفص «الجيبون» فإذا هو فى تلك الساعة كاسف البال صادف «المزاج» عن الرقص واللعب ، فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة ، كأنه هو الذى يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألاعيبه ، وفى الأبيات التالية رجاء كذلك الفنان ألا يكذب شهادته ولا يخيب ظنون الأدباء فى مدحه وتقريظه :)

أيها الجيبون لا تفـ ـضح تقاريظى وشكرى
أنت بعد اليوم محسو ب على نقدى وشعرى
أنت إن لم تحسن الرقـ ـص فمن يحسن عذرى ؟
أنت إن قصرت قالوا شاعر بالزور يطرى
ما لذا العقاد والتقـ ـريد و «التقريظ» يغرى
أنه يهرف بالمد ح ولكن ليس يدرى
فاملأ الأقفاص يا جيـ ـبون طفرا أى طفر
وقل العقاد لا يخطـ ـىء فى تعريف قدر

* * *

(*) عتب على الجيبون : عابر سبيل .

بيجو (*)

رثاء

حزناً على بيجو تفيض الدموع
حزناً على بيجو تثور الضلوع
حزناً عليه جهدَ ما أستطيع
وإن حزناً بعد ذاك الولوع
واللّهِ - يابيجو - لحزنٌ وجيع

* * *

حزناً عليه كلما لاح لى
بالليل فى ناحية المنزل
مُسامرى حينا ومستقبلى
وسابقى حيناً إلى مدخلى
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحفْ
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبى من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف . .
ذلك خير من فؤاد صديع

* * *

(*) بيجو : أعاصير مغرب .

حـزنى عليـه كلمـا عـزنى
صـدق ذوى الألبـاب والألسن
وكلمـا فـوجـئت فى مـأمنى
وكلمـا اطمـأننت فى مـسكنى
مـسـتـغنيـاً . أو غـانيـاً بالقنوع

* * *

وكلمـا ناديتـه ناسـيـاً :
بيـجـو ! ولـم أبصـر به آتيـا
مـداعبـا مبتـهجاً صـاغيـاً . . .
قـد أصـبح البـيت إذن خـاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
أحـسـبنى ذاكـره مـا حـيـيت
لو جـاءنى نسـيـانه مـا رضـيت
بيـجـو مـعـزىٌّ إذ مـا أسـيت
بيـجـو مناجىٌّ الأمين الوديع

* * *

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيـجـو الذى أرقب عند الرواح
بيجو الذى يزعجنى بالصياح
لو نبـحـةٌ منه ، وأين النبـاح ؟
ضيّعتُ فيها اليوم ما لا يضيع

* * *

خطوته . . . يا برحـهـا من ألم
يخـدش بابى وهو ذاوى القـدم
مستنجداً بى . ويح ذاك البكم !
بـنـظـرة أنـطـق مـن كـل فـم
يا طول مـا ينظر ! هذا فظيع !

* * *

ثم لا أرى النوم لعــينى يطيب
أنتم خــبــيــرون بنهش القلوب
يا آل قطمــيــر هواكم عــجــيب
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا . . ولا من طلوع

* * *

ثم واترك الأفــواج يوم الأحـــد
والبــحــر طاغ والمدى لا يُحــد
عــيناى فى ذاك وهذا الجســد
بوحــشــة القلب الحزين انفرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبكيك . أبكيك وقلّ الجــزاء
يا واهب الود بمحض الســخــاء
يكذب من قــال طعــام ومــاء
لو صح هذا ما محضتَ الوفاء
لغــائب عنك . وطفل رضــيع

* * *


قصص وأماثيل

سباق الشياطين (*)

يا شـيـاطين الدجى حيّ هلا (١) وتغنّى الآن بالفعل الذميم
أيّكم فى الناس أعلى منزلاً فله عندى مقاليد الجحيم

* * *

رنّ فى الندوة صوت الكبرياءْ رائعَ الصيحة مرهوبَ الصدى
قال إنى أنا داء الأعلياء أنا داءٌ لهُم فيه الردى
مالئٌ بالغيظ قلب الضعفاء تارك النابهِ (٢) فيهم أوحدا
رُب خير بت أجريه على منهج الفتنة والشر العميم
ووضيع رحت أذروه إلى مطلع النجم كما يُذرى الهشيم

* * *

ومشى الشيطان شيطان الحسد مِشية الأفعى إلى وكر القطا
شاحبَ السحنة مهضوم الجسد خائفاً فى جبنه قد أفرطا
قال : لو شئت لما حاز أحدْ منكم السبق وإن جدّ الخطأ
بذوى القربى ولُوعى والأولى بينهم قربَى سهيم من سهيم (٣)
أجدر الناس بأن يتصلا حائل بينهما كيدى العظيم

* * *

ونبرى للقول يأسٌ معضلُ كلما هم تولاّهُ الضجر
قال ما لليأس فيكم مأملُ لا ولا يرجو مقاليد سقر
بيد إنى قاتل لا يَعقل ومن القتل حياة للبشر

(*) سباق الشياطين : جزء أول . ٥٠ (٣٥ فقرة ٥٦) .
(١) هلا : أى أقبلى وتعالى .
(٢) النابه : المشهور .
(٣) السهيم : الشريك والحسد موكل بالنظراء من الناس وهم أحق الناس بالمؤاخاة .

أنا إنْ أيأست من وِرد حـلا		فكما ييأس من ثدىٍ فطيم
فذرونى ! كيف أبغى مؤئلاً		بين خنَّاس ووسواس رجيم ؟

* * *

ثم أبدى الليل شيطانَ الندمْ		ضارعاً يفرق من خفق الهواءْ
اخرس المِقوَل من غير بكم		ولقد ينطق حيناً بالبكاء
يمقت الإثم ويغرى من أثِم		بذنوب ماله منها وقاء [1]
يمقت الإثم ويغرى بالطلا [2]		وهو بالشارب ينبو والنديم
يغفر الموتور للجانى ولا		يرحم الجانىَ من وخز أليم

* * *

ومشى من جانب الحب أنينْ		كشواظ النار يرمى بالشرار
لفح القومَ فهبوا صارخين		وهُم فى الخلق من مارج نار
أنا شيطان الهوى أفرى الوتين [3]		كل من أغشاه مسلوب القرار
أنا للبغض سبيل والقلى		وسبيل للرزايا والهموم
ليس فى الكون مكان قد خلا		من صراعٍ أنا موحيه القديم

* * *

ودعا الداعى بشيطان الكسلْ		فتمطى ساعةً لا ينطق
قال لو راودت نجماً لأفل		وثوى في أفقه لا يشرق
آفة القول جميعاً والعمل		وبلاء اللّه فيما يخلق
ورأى وجه الرياء المقبلا		فتنحى خلفه وهو كظيم
مذ رأوه هتفوا ما أجملا		وهو يزوى عنهمو الوجه الدميم [4]

* * *

(١) وقاء : كم أدى ندم المجرم على جريمة إلى اقتراف جريمة أخرى !! .
(٢) بالطلا الخمر .
(٣) الوتين : عرق بالقلب .
(٤) الدميم : للرياء وجهان : وجه جميل يظهر به للناظرين ووجه يستره عنهم .

قـــال : إنى أنا شــــيطان الرياء ... صـاحب الوجـهين أملود [1] اليـد
ألبس الأعـداء جلبـاب الإخـاء ... وأعـيـر العـبـد وجـهَ السـيّـد
وأمـيت النفس فى طى الخـفـاء ... فـهى تحـيـا كـالرفـات الملحـد
أنا فـيـمـا ابتلى صنو البلى ... أبدل الأحـيـاء إبدال الرمـيم
مـيتٌ من عـاش يومـاً مـبـدّلا ... ومـسـيخٌ وجـهـه وهو وسـيم [2]

* * *

أنصت الجـمع ولم يبق سـوى ... حكم إبليس بسـبق السـابق
رجع الأمـر إليـه فـاسـتـوى ... يلحظ الرّهط بعـينى حـاذق
ثم نادى بالرياء الجـتـوى [3] ... فـأبـى الخب إباء الماذق [4]
قـال تـأباها ولـولاك الجلَى ... غـيـهب الأرض فكانت كـالنعـيم
دونك الدنيـا اتخـذها منزلاً ... وتولَّ اليـوم أبواب الجـحـيم

* * *

كولمب فى الأقيانوس (*)

مـن لـكولمـب والمخـاوف تـثنيـ ... ـه وتزجـيـه خـادعـات الغـرور
هام بالعـالم الجـديد كـمـا ها ... م تقى بالعـالم المسـتـور
مـا ابتـغى جـيـرةً هناك ولا أهـ ... ـلاً ولا عـاذ عنده بنصـيـر
أى أهل وجـيـرة لهـمـام ... أوْحَـدىّ المنى قليل النظيـر

من له فـاتحـاً . ومـا فـاتح المجـ ... ـهـول يومـاً كـفـاتح المنظور
ضـارباً فى حـشـا خـضـارة [5] تعلو ... ه سـمـاء عـمـيـقـه التـدوير

---

(١) أملود : ناعم .
(٢) وسيم : من أظهر شعوراً غير شعوره فكأنه ميت حرم الحياة لأن الحياة هى الشعور .
(٣) الجتوى : المكروه . (٤) الماذق : المتلون .
(*) كولمب فى الأوقيانوس : جزء أول .
(٥) خضارة : من أسماء البحر والمحيط الأطلسى كما لا يخفى لم يذلل للركوب قبل سفر كولمب فكأن ظهره ظهر الأوابد أى الوحوش والحيوانات التى يسلسها الركوب .

يعتلى صهوة الخِضَمّ خضمًّا ... لم يوطّأ ، كالآبد المذعور
بين سخطين من صحاب غضاب ... أين يمضى ؟؟ وعيلم تيهور
يذرع الليلَ والفضاءَ بطرف ... شاخص لحظه ووجه وقور
ويضل الفجاج فى الصبح حتى ... يسبلَ الليلُ خيمةَ الدّيجور
فإذا النجم كالسفينة ركبٌ ... ليس يدرى هناك عقبى المسير

من لكولمب لا السماوات تهديه ولا النور فى دجاهُ بنور
يسأل السحب أين مسراك غرباً ... أين ترمين بالحيا المسجور [1]
أمعادٌ به إلى البحر أم تُحييين منه الثرى بصوب غزير
إنما يزجرُ السحاب وما كان سحاب بالطائر المزجور [2]
لو نعيبَ الغراب [3] يسمع لاعتدّ نعيب الغراب صوت بشير
فى سماءٍ ما قط حوّم فيها ... غير غادى سحابها من طير
كلَّ يوم يرى بساطاً من الموج شبيهَ المطوى بالمنشور
فيرى الراكبوه أن لن يزالوا ... راسياً فلكهم رسو ثبير [4]
تظهر الشمس كل يوم ولا يأذن للأرض حاجب بالظهور
ثم لاحت فظنها القوم راحاً ... مدها اللّه من وراء البحور [5]

* * *

غرضٌ كان لم يصب منه خيراً ... وتولى وليس بالمشكور
ذلكم آدم الذى أورث النا ... س كميراث آدم المعمور !

* * *

لا تلوموا الكبير يركب هولاً ... إنما الهول من مطايا الكبير
إن قلب العظيم بحر زخور ... فهو ما عاش فوق بحر زخور
كم ضلال فى اليمّ أرهب منه ... صراعاتُ الضلال فى التفكير

---

(١) الحيا المسجور : أى المطر المخزون .

(٢) زجر الطير : صناعة كانوا يزعمون فى الجاهلية أنها تكشف الغيب .

(٣) الغراب : الناس تتشاءم بنعيب الغراب ولكن كولمب لو رآه قبل وصوله إلى أميركا لعلم أنه طار عن البر الذى كان ينشده فكان له بشيراً .

(٤) رسو ثبير : المناظر متشابهة فى عرض البحر الفسيح فإذا أصبح السفر فرأوا السماء فوقهم والماء تحتهم كما كانوا أمس حسبوا أنهم أصبحوا بحيث أمسوا وإن فلكهم كالجبل الراسى الذى لا يتحرك .

(٥) الراح : جمع راحة اليد .

الأثواب الثلاثة (*)

(إن أحقر الصعاليك قد تمر به ساعات يتمنى فيها الملك ، ولكن لا يؤخذ من ذلك أنه يحب أن يخلع نفسه ليلبس نفس الملك بل هو فى الحقيقة لا يتمنى الملك إلا ليتمتع بما يصبو إليه وهو صعلوك حقير . فالإنسان يحب نفسه ولا يبدلها بأى نفس أخرى . فإذا كان يحب حظوظ غيره فلأنه يحب نفسه ولو تساوت النفوس والحظوظ لما كان هناك باب للتمنى والعمل وهذا مثل تقسيم الأثواب فى القصيدة التالية فإنه لما اختلفت ألوان الأثواب أصبحت كل بنت تختار الثوب بعد الآخر ولا ترضى واحدا منها ، ولو تشابهت ألوانها لرضيت كل بنت بثوبها وربما كانت لا تتطلع إلى سواه . فكيف كان الإنسان إذن يرضى عن نصيبه ؟ إنه لن يرضى إلا إذا احتجز لنفسه كل المزايا ولم يبق لأحد مزية قط أو إذا تساوى الناس فى كل شىء فلم يبق لأحدهم مزية على الآخر .

ومن ثم يظهر لنا أنه لا يستطاع إرضاء الناس جميعا إلا بما فيه خراب الكون .)

ليلة العيد أقبلت بالسعود ... فاكتسى بالجديد كل وليد
واكتست بالجديد كل فتاة ... لبست جدةَ الجمال الفريد
وتواصت على الثياب أخيّا ... ت ثلاث فتنٌ بالتقليد
يتسترن بالإخاء وتُزهى ... كل أخت بحسن وجه وجيد
لا تجل (العذراء) إن لم تجدها ... فى كساء من الطراز الجديد
قمن يقسمن بينهن شفوفاً ... غاليات من زاهيات البرود
لاحقاتِ الأثمان بعضاً ببعض ... واختلاف الألوان جِدّ شديد
فتنازعنها مليًّا وولت ... كل أخت بريبة المزؤد [1]
تنتقى الثوب ثم تزهد فيه ... ثم تُغرى بثوبها المردود
لم يكن غيره بأخلب وشياً ... لا ولا كان همها فى المزيد

(*) الأثواب الثلاثة : جزء أول .

(1) زأده : أفزعه .

حـــسـداً والضـــئـيل يبـدو جليـلا إن رآه الفـــتى بعين حـــســـود

* * *

هكذا الخلق فى الحـــيـــاة تعـــادوْا فى حظوظ مـــقـــدورة وجـــدود
ظلمـــوا دهرهم ولـو بلغـــوا السـؤ ل لما كـــان عندهم بســـديد
لا تظنوا الشـــريد يرضى بأن يُبْـد ل من همـــه بهم العـــمــيـد
لو تمنى العـــروش لم يرض أن يخلـ ـع فـوق العـــروش نفس الشـــريد
وأحب النفـــوس نفـــسك لكـ ـنّ أحب الحظوظ حظ البـعـيـد

* * *

غادة أثينا (*)

حـــــــدثى عن دولـة الإسكـنـدر يا عـروس الشـعـر واروى واذكـرى (١)

* * *

كـــاعب كـــالظبى إلا أنهـــا دون نهـــديهـــا جنان القـــسـوَر (٢)
علّمـــتـــهـــا أمٌّ علـمت صِنوها البـــأس وقـــور الضُّـمّـر (٣)
رضـــعت ثـدى أثينا حـــرةً ونمت فى أمـــة لم تقـــهـــر
أمـــة حـــسب بنيـــهـــا سودداً أنهم رهطٌ عـــزيز العنصـــر
وغـــزاها فـــاتح الأرض كـــمـا تحـــدق النار بوكـــر الأنسُـــر
وابـتـلتـــه بحنان صـــابـر وابتـــلاها بالعـــديد الأكـــثـر
وسطا الجند عليـــهـــا كـالدّبا (٤) بين ألفـــاف النبـــات المثـــمـــر

* * *

(*) غادة أثينا : جزء أول .
(١) هذه الحكاية مأخوذة من سيرة اسكندر فى تراجم فلو طرحش بتصرف كثير .
(٢) القسور : الأسد .
(٣) الضمر : المعنى أن الأمة التى تعلم بناتها العفة هى الأمة التى تعلم أبناءها الشجاعة وركوب الجياد .
(٤) كالدّبا : الجراد .

راود الغـــادة منهم قـــائد سـيئ الخِـيم غَـرىّ المنْظر [1]
أيهـا الفـاتك بالعـرض الذى صـانه الطهـر ترفق واحـذر
أغـمـد السيف فـهـذى وقـعـة لم تصب فـيـهـا ، لمَّا تظفـر
خـضت حـرباً ليس من آلاتهـا منصل العـضب وسَـرْد المغـفـر [2]
دون ذاك النصل سـيف لهـذَم من شبا اللحظ وقد سمـهـرى [3]
دون ذاك الســور سـد مـحكم من عـفـاف واضح للمـبـصـر
دون ذاك الحـصن قلب مـضـمـر كـيف يُرمى حسن قلب مضمـر ؟
تبَّت الحـرب فـمـا فى غـيـرها حل للجـيـش حـرام المِنْسَـر [4]

* * *

أيأسـتـه من رضـاها فـارتضى من حلى الغـيـد بخط المشـتـرى
قـال أين المال ؟؟ قـالت هاكـه يمم البـسـتـان وابحث وانظر
دونك البـسـتـان فـانزل بئـره والتـمس فـيـهـا نفـيس الجـوهر
إننى أحـرزت فـيـهـا لؤلؤا ليس يُلفى مـثله فى الأبحـر
وأتى البـئـر فـزجـتـه يد بضـة بيـضـاء مـثل المرمـر
فـتـردّى ، فـارعـوت تقـذفـهُ برجـوم كـالغـمـام الممطر
واحـتـوته البـئـر فى أعـمـاقـهـا كـاحـتـواء النفس سـر المنكر
إن من كـانت حـضـيـضـاً نفـسـه لحـقـيقٌ بالحـضـيض الأكـدر

* * *

ورآها الجند فـاجـتـازوا بهـا عند ذى القـرنين هوْلَ المحـشـر
لابس الغـار عليـه أخـضـرا وهو مـفـنى كل زرع أخـضـر
وقـفـت وقـفـة لا مـسـتـعظم عــزةَ الملك ولا مـسـتـغـفـر
قـال من أنت ؟ فـقـالت «إننى أخت (ثيـجين) الأبىّ الشّـمـرى

(١) المنظر : الخيم الطبع وغرى أى يغرى بجماله .

(٢) المغفر : منصل العضب أى حديد السيف وسرد المغفر أى نسج الدرع .

(٣) سمهرى : اللهذم القاطع والشبا الحد .

(٤) المنسر أن ما يحرمه الناس على مناسر اللصوص يحللونه فى الحروب .

أخت (ثيجين) فسل مِن قومكم عنه مَن لاقاه تحت العِثْيرَ [1]
مات فى الحرب التى أرّثها [2] بغى فيليب أبيكَ الغِمشر
ذاد عن أوطانه ثم افتدى دوحة المجد بغصن «مزهر»

* * *

قال ذو القرنين إنى باسط لك فيْأ [3] فاسكنى أو فاهجرى
وخذى مما وهبنا أو دعى لن تُنالى بالأذى فى عسكرى

* * *

أورمزد واهرما (*) (٤)

أورمزد يا مخلفَ آمالى آمالى يا مخلقاً جدَّة سربالى
إذا تجهمت لأهل الثرى مزقت بالأضواء أوصالى [5]
وتمسح الأدمع من عينها حتى يبيت الصب كالسالى
الآن فلأحجبك عن أعين أحييتَها فى الزمن الخالى

* * *

مقالة فاه بها أهرما ثم مشى مشية مختال
لاقى بها الشمس وقد صدها بالغيم عن سهل وأجبال
يضحك بالرعد ويبدى لها بالبرق عن أنياب أغوال
فالتفتت فى برجها لفتة وابتسمت هادئة البال
قالت وهل يحجبنى شانئ لولاى لم يلحق بأذيالى ؟

---

(١) العثير : غبار الوقائع .
(٢) أرثها : أوقدها .
(٣) فيأ : ظلا .
(*) أورمزد واهرما : جزء أول .
(٤) هما إلها الخير والشر عند قدماء الفرس وقد مثلت لأولهما بالشمس وللثانى الغمام .
(٥) الأوصال : هى الأعضاء .

تحـــجـــبنـى حـــينـاً ولـكننـى ... أزجـــيك للخـــيــرات والـنال (١)
لو عـلم الـنـاس مـــصـــيـــر الأذى ... لـنافـــســـوا فـى الـشـــر بـالمال

* * *

عند حـــلاق (*)

مـــا بالـهـــا تطفـــر كـــالـغـــزال ... ســـاحـــرةً بالتـــيـــه والجـــمـــال
هيـــفـــاء من أوانـس الأنـدلـس ... ذات جـــبين كـــالنهـــار المشـــمس
قـــد أســـفـــرت حـــاليـــةً بالنّور ... فـى وجنـة ومـــقـلـة وثـغـــر
مـن كـلّ زهـر نـاضــــر الـرواء ... والـزهـر لا ينـضـــر فـى الشـــتـــاء
ثـم اســـتـوت فـى مـجـلـس هناكـا ... تمد للـخـــلائق الـشـــبـــاكـا
أمـــامـــهـــا المرآة فـــيـــهـــا يظهـــر ... مـا لـيس فى غـيـر المرائى تبـصـرُ (٢)
تمثـــالـهـــا فـى صـــفـــحـــة البلور ... مـــرتســـمـــا بـريشـــة مـن نـور

* * *

وكـــان يرعـــاهـا أريب كـــيّس ... فـــقـــرٌّ فـى مـــوضـــعـــه لا ينبس
وصــــوّب الـطرف إلـى الـرذيـلة ... يرمق تلك الـصـــورة الجـــمـــيلة
كـمـن يهـاب الشـمس فـى السـمـاء ... فـــيـــرتضـى بقـــرصـــهـــا فـى الماء
وســـاءها حـــتـى إلى الطيف النظر ! ... أهكـذا تبـــخـل ربات الخـــفـــر ؟
الحـــســـن إن ضـن بـه المـلـيح ... كـــالمال إذ يدفـنه الشـــحـــيح
والـزهـر إذ يزكـــو لغـــيـــر ناشق ... والبـــدر إذ يبـــدو لغـــيـــر رامق
فـأقـــبلت غـــضـــبى إلى قـــرينهـا ... وأومـــأت ســـخـــراً إلى مـــجنونهـــا !
قـــالـت ألا تـنظـر لـلمـــغـــرور ... حـــدّق فـى المرآة كـــالمســـحـــور
مـــازال يـرنـو نـحـــوهـا بالـطرف ... حـــتـى لقـــد أخـــجـل فـــيـــهـا طيـفـى

---

(١) النال والنوال : بمعنى واحد .
(*) عند حلاق : جزء أول .
(٢) تبصر : المعنى أنها ترى أمامها فى المرآة ما لا تبصره هى إلا فى المرايا لندرة من يماثلها من الحسان .

فـــأومـــأ القـــرين لـلحــــلاق يبــتــسم ابتـســامـة الإشــفــاق
وقـــال : قل للصـاحب الصــديق لا يكســـر المرآة بالتـــحـــديق
من يكْثــــر اللمح لهـــا بالليل قـــد يعــتــريه خـبل فى العــقل

* * *

فـأطرق الأديب كـالمسـتـعـتب وقـال «عـفـوًا» يا قـرين الكوكب
مـــا فى المرايا ثَمّ من شـــيطان يُخــــاف منه المسّ للإنســـان
لكنّ فـــيــهـــا ملكاً مكمّـــلا يوحى لنا الحـسن كـمـــا تنزلا
ملكتَ منه الذات واســـتـــأثرتا فـفـز بهـا مـغـتـبطاً ، هنئـتـا
ودع لنا هذا الخـيـــال مـغنمـا ! ليس الخـيـال حـرمـاً أو مـحـرمـا

* * *

أمنـــا الأرض (*)

(مـغـزى هذه القـصـيـدة أن الخوالج التى تحـرك الأطفـال هى الخوالج التى تتـصـرف بالرجـال ، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادّون بالحيل التى تخدع بها الأطفـال وهم لاعبـون ، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون) .

أســــائلُ أمنا الأرضـــــا ســــــــؤال الطـفـل للأم
فـــتـــخـــبـــرنى بما أفـضى إلـى إدراكـــــــــه عـلـمـى

* * *

جــــــــزاها اللّـه مـن أمّ إذا مـــا أنجـــبت تئـــدُ [1]
تُغــذّى الجـسم بالجـــسم وتـأكـل لحم مـــــا تلـد

* * *

(*) أمنا الأرض : جزء ثانى .

(١) تئد : تدفن أولادها .

ألا يا أمّ كم طلعــا عليك الشـمس والقـمـرُ
وكم أسنى وكم وضــعــا على أرجـائك القـدر

* * *

أقـامـوا أمسِ وانصـرفـوا فليس لفَلّهِم [1] شـمـلُ
فــأين نفس من سلفــوا وأيــن يـكـون مـن يـتـلـو

* * *

فـقـالت فى مـلامـحكم يـبين الجـــدّ والخَلَف
فـجـوسـوا فى جـوانحكم فـثمَّ يجـوس من سلفـوا

* * *

وأين عظام من نبــهـا [2] من الماضين فى السِّـيـر
فـقـالت قـد صنعت بهـا لكم حلوى من الثـمـر !

* * *

ومـا المجـد الذى أضـرى قلوب بنيك فـاشـتـجـروا ؟
فـقـالت حلة كـبـرى يراها القلب لا البـصـر

* * *

فـقلت لهـا : فـمـا العـمل ؟ فـقـالت خـادم الحُلْم
ومـا الأحـلام والأمل ؟ فـقـالت حـيلة الأم

* * *

وقـد يُحـتـال للطفل على خـيـر له مُـجـد
ألا يـنبـو عن الأكل إذا لـم يُغـرَ بالوعـد [3]

* * *

(١) فل الجيش : هو ما تبدد منه . (٢) نبه : اشتهر .
(٣) بالوعد : الأمل كاللعبة التى توضع أمام الصبى ليمشى إليها حتى إذا بلغها أبعدت عنه وهكذا إلى أن يقوى على المشى وكذلك الأمل كلما بلغنا منه منزلة لاحت لنا منزلة أعلى فيبعثنا على العمل الذى يقدمنا ولولاه لما عملنا .

فقلت لها ما السُّقمُ وما الآلام والبلوى
وما الآفات تخترم شبابَ الأحور الأحوى ؟

* * *

فقالت إنما البلوى عقاب الطيش والنَّهم
فإن جرتم على الحلوى هززت لكم عصا الألم

* * *

وقلت لها فما الذهبُ وفيمَ طويته عنا
فماج الناس واضطربوا فلا عطفاً ولا أمنا

* * *

فقالت لست أحسبه سوى ضرب من الحجر
وإن الطفل مطلبُه أشد لكل مستتر

* * *

يجد الطفل مفتتنًا بما لم يُبدهِ العلَنُ
ويحسب جهده ثمنًا لشيء ما له ثمن !

* * *

لَزدت بقولها خُبْرًا وزدت بقولها جهلا
فما ألفيته وعرًا وما ألفتيه سهلا

* * *

وصحت بها إلى أينا إلي أين المصير بنا ؟؟
فغضّت عينُها الجفنا وصدت عنّيَ الأذُنا

* * *

بنى الدنيـا لعـابِ بهـا ... فـفى الأبواب قـصّـاد
لكم يوم بملعـبـهـا ... وتحـت الأرض آبـاد

لهـا ملهىً تكرره ... إذا ما انفضّ لم يُعقَدْ
نغـادية فننظره ... ويوصَدُ بابُه السرمد

سيان (*)

ياشمس ما ضرّك لو لم تشرقى ... يا روض ما ضرك لو لم تعبق
يا قلب ما ضرك لو لم تخفق ... سيان فى هذا الوجود الأحمق

من كان مخلوقًا ومن لم يخلق

المعرى وابنه (*)

قال المعرى :

وإذا أردتم بالبنين كرامة
فالحزم أجمع تركهم فى الأظهر

(فهو والدرؤف صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم ! فيالها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه ! ومتى كان الأبناء يعرفون البر للآباء؟ والقصيدة الآتية محاورة بين المعرى وابن له فى الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو يذوده عنها وينصح له بالبقاء فى عالم العدم) .

يا أبى ! طال فى الظلام قعودى ... فمتى أنت مخرجى للوجود ؟

طال شوقى إليك فاحلل قيودى

(*) سيان : جزء رابع .

(*) المعرى وابنه : جزء ثانى .

يا أبى عـــالمُ الظلام مـــخـــيف		ليس يقـوى عليـه طفل ضـعـيف

فاجزنى من ظله المسدود

حَـدَّثونا عن الحـيـاة العـجـاب		فلهـــجنا بحـــسنهـــا الخــلاَّب

وظَمئنا لحوضها المورود

حــدثونا عن الدجى كــيف بسطو		وعن الصــبح بعــده كــيف يعطو

وعن النحس فيهما والسعود

حـــدثونا عن دارها وبنيـــهـــا		وجـهـادٍ يُمنى[1] به القـوم فـيـهـا

وعن الموت بعدها والخلود

أرنى الجـــهـــر يا أبى والخـــفـــاءَ		أى شىء ذاك المســمَّى شـقـــاءَ ؟

أى سر يُراد بالمولود ؟

مـا الوجـوه الحـسـان ؟ ومـا النَّوار ؟		ما الدرارىّ ؟ مـا الفلا ؟ ما البـحار ؟

إن دأب الوليد حبُّ الجديد

لـى جـــــدود وليس لـى أبـوان		ولئـن شــئت آن فـــيكم أوانـى

وتملَّيت قسمتى فى الوجود

* * *

ولـدى ! إننـى أبـوك الرحـــــيم		أنـا بـالـعـــــيش يابـنـى عـليـم

لا تصدق مقالةً من بعيد

مـا حـيـاةٌ تشـقى وتسـعـد فـيـهـا		تتـــعنَّى لكن بما يعنيـــهـــا

فى عظيم تُبلى به أو زهيد

---

(١) يمنى : أى يبتلى .

يحـــسب الحى جــهـــده لهـــواه   جـــهل الحىّ جـــهـــدهُ لســـواه
إنما المرء آلة للجدود[1]
إنّ غُنم الحـــيـــاة من لـم يجـــده   لـم يُمـــتّع به ، ولـم يفـــتـــقـــده
فاغتنم ربح شرها المفقود
شـــرها يا بنىّ شـــرٌ ثقـــيل   خـــيـــرها يا بنىّ خـــيـــرُ قليل
أهلها يا بنىّ أهل حقود
زعـــمـــوها إلى الخلود تؤدى   مـــا رأينا ســـوى فناء ولحـــد
فيه مُوْد على تجاليد مُودى
قف ببـــاب الحـــيـــاة لا تدخلنهـــاً   واعـــتـــصم يا بنىّ مـــا اسطعتَ منهـــا
سوف ألقاك - فانتظر - بالوصيد

* * *

هكـذا أقنع المعـــرى الوليـــدا   فـــتنحى عن الحـــيـــاة بعـــيـــدا
والتفى الشيخ وابنه فى اللحود

* * *

بين الشاعر (*)
وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالى   وكذّبت أحلامى ، وأشمتّ عذالى
إذا مـــا وعـــدت أخلفت فى غـــد   وهيـهـات لا تبـقين يومـا على حـال
يظل غـــريرا من أعـــارك ســـمـــعـــهً   وإن عاش أجيالا عفتْ بعد أجيال

* * *

كفى يا صديق العهد هيجتَ بلبالى   ومـا أنت بالسـالى هواى ولا القـالى
مـلامك فـيـه الحق ، أو فـيـه بعضـه   وما غاب عن ظنى ولا بان عن بالى
إذا قلتُ زورا فهو من صدق شيمتى   ومن يصف الدنيا يصف خيمَ[2] ختّال
إذا هزلت أمى الحـــيـــاة فـــهل ترى   من الصدق ألا يطرق الهزل أقوالى ؟
بحسبك من عذرى إذا ما عذلتنى   أمـــا نة تمثـــيل ، وروعـــة تمثـــال !

---

(١) للجدود : الحظوط . والمعنى أن الإنسان مسخر فى الحياة وهو يحسب أنه خلق لنفسه وأن الحياة نعمة تعنيه هو وما نصيبه منها إلا أقل من نصيب الأقدار التى تسخره لغاياتها .

(*) بين الشاعر وعروس شعره : وحى الأربعين .   (٢) الخيم : الطبع والعادة .

حانوت القيود(*)

(الحياة كالمرأة إذا أحبت امرءاً قيدنه بأحابيلها وعلّقته بهواها ، فمن كان حى النفس تحتفظ الحياة بوجوده فهو مقيد بالغرائز والأهواء ، ولا تضعف هذه الغزائز والأهوواء فى الإنسان حتى يكون منبوذًا من الحياة كأنه عاشق لها ملول لا تبالى هى أن تطلق له القيد وترسله حرا متى شاء ، فكلنا طالب قيد مزاحم على حانوت القيود . ونحن على هدى من سبل الحياة ما دمنا مقيدين بوهم من أوهامها أو عاطفة من عواطفها ، لأن قيودها تلك هى الأزمة التى تقودنا بها إلى حيث تريد) .

جزى اللّه حانوت القيود فإنه ... مناط الأمانى من بعيد ومُكثِب(١)

تزوّد منه الناس فى كل حقبة ... وحجوا إليه موكبًا بعد موكب

يصيحون فيه بالقيون(٢) كأنهم ... سراحين(٣) فى واد من الأرض مجدب

فمن قائل عجل بقيدى فأننى ... طليق ، ومن عان كثير التقلب

إذا أخطأ الأغلالَ قطّب وجهه ... كئيبًا ، وإن أثقلته لم يقطب

يطوفون بالمغلول طوفة عاطل ... فقير بموشِيّ الطيالس معجَب

فهذا إلى قيد من العقل ناظر ... وما العقل إلا من عقال مؤرّب(٤)

يخفّض من أهوائه كل ناهض ... ويغلب من آماله كل أغلب

يمشى بأغلال التجارب معجبًا ... على غبطة منه لمن لم يجرب

وهذا إلى قيد من الحب شاخص ... وفى الحب قيد الجامح المتوثب ففى

ينادى : أنلنى القيد يا من تصوغه ... القيد من سجن الطلاقة مهربى

أدره على قلبى وعقلى ومهجتى ... وطوّق به كفى وجيدى ومنكبى

ورصّعه بالحسن المسوّم وأجلُه ... بكل سعيد فى المناظر طيّب

(*) حانوت القيود : جزء ثالث . ٢٠٤ (٥ فقرة ١٤٤) .

(١) المكثب : القريب . (٢) بالقيون : جمع قين وهو الحداد .

(٣) سراحين : ذئاب . (٤) مؤرب معقد .

عـــزيز علينا اليش حــرا وحــولنا ... أسـارى الـهـوى من فـائز ومـخـيِّب
ورب رخـىِّ الـبــــــال تمت حظوظه ... يقـــيــد دنيـــاه بعنقـــاء مـــغـــرب
أمــانىّ يقــفـــوها فــتـــربط خطوَه ... رباطَ الـدياجـى خطوة المتـــشكب
وآخـــــر أضـنتــــــه الملالة باسط ... يديه إلى الأعـمـال فى غيـر مـأرب
إذا مــا رأى المكدود يمقت عــيـشــه ... تمنى على الأيام شـــقـــوة مـــتـــعب
وكم طامع فى الجاه والجاه عـصـمـة ... ولكنه كـــالمعــــقل المتـــأشب
يصـــــد العــــدى عن ربه ويصـــــده ... عن الناس صــد المحـــجم المتـــرقِّب
ورب عــقــيم حطم العــقم قــيــده ... يحن إلى القـيـد الثقـيل على الأب
إذا منّت الدنيــا عليــه أجــابهــا ... بلعنة مـــوتور وعـــولة مـــتـــرب[1]
يرى أن حــال المفـتـدى من إسـاره ... لديهـا كـحـال المجتـوَى المتـجنِّب
ومن لم تعلّقـه الحـيــاة بقـيــدها ... فـيا سـوء مـا اختـارت له من تقرّب

* * *

بنى آدم لا تـنـكـروها فـــــإنهـــــا ... مـــيـــاسم من أرواحكم لم تُغــيّـب
فــمـــا تكرهون القـيــد إلا لأنكم ... تتـــوءون منه بالثـــقـــيل المشـــعَّب
أعـــــزكـم من لا مــــزيد لوقـــــره ... ولا فــضـل[2] فى أغــلاله لمعـــقّب
وقــد زعـــمـــوا أن القـيــاد قــيــادة ... لمن كـان يمشى فى مـجاهل غـيـهب

* * *

(١) مترب : فقير .
(٢) فضل : بقية .

أكاروس(*)

(قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تروى على روايات كثيرة فى الأساطير اليونانية القديمة . وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية ، وهذه هى خلاصتها : ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة فى الصناعة وحسن الحيلة فى تذليل المصاعب والخروج من المآزق ، وزعموا أنه غار من ابنه أخته الذى كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته ، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب فى البلاد برا وبحرًا حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقى عنده كرامة وحسن وفادة . وأمل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته فى تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام .

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورا مشهورًا فى الأساطير «منوطور» . فولدت منه طفلا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان ، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه فى غفلة من زوجها المخدوع ، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبنى لذلك الطفل سردابا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة . فتردد الصانع أولا وحسب حساب الرفض والقبول ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسيسة الزوجة واطمئنانًا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب ، ولكن الملك علم به فصارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربا من عقابه ، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة ، ونصح الحكيم الصناع ولده ألا يعلو فى السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبللهما الرشاش الكثير . ولكن الولد نسى النصيحة وهو فى نشوة الطيران والوثوب ، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه ، إذ سقط هالكا على صخرة فى البحر يبكيه من حولها بنات الماء ، فالأسطورة مجال لاستعراض عبر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح) .

(*) أكاروس : وحى الأربعين .

«أكاروس هذا مسبح الطير فاركب ... وتلك المهاوى من خُضارةَ[1] فاجنب
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه وظن ... ونادى ، فنحّى جنده كلّ مركب ؟
بنا عجزًا ، فيا سوءَ رأيه ! ... متى حيل ما بين السماء وكوكب
أدر مركب الريش الذى ما استقله ... أَنيسٌ ولا جنٌ ولا ذات مخلب
وطر نلتمس عِبْرَ[2] الشمال ونرتحل ... على سنة الطير التى لم تُهذَّب
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها ... على أهبةٍ فى جوها المتقلب»

«ألا وادّخر عزمًا يقودك شرخه ... إلى الأوج ، فاحفظه لشوط مغيّب
وسر قدُمًّا . إن المطار لواحدٌ ... ولكنْ سبيل الأوج ليس بمقرب[3]
أكاروس ! إنا هاربان من الردى ... فلا تجعل العقبى إلى شر مهرب
توسّط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدا ... ولا تكُ من يعلو إلى غير مطلب
فإنك أن تغترّ بالشمس ينخذلْ ... جناحاك ، أو تبتلّ بالماء ترسب
هنا لافح يوْهى اللحام ، وها هنا ... لريشك وهيٌ من رشاش مرطِّب
أكاروس ، إنى باذل لك من يدى ... ومن خبرتى ذخرَ الصَّنَّاعِ المجرب
تذكر عظاتى واعلم اليوم أنه ... صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبى
ولا تتخذ ريشى وتنس نصيحتى ... يخنْك جناحُ الرأى يوما فتعطب
جناحك من ريش إذا لم يُعنهما ... عديلان من رأى ، كأغلال مُتعَب
أقلُّ من الصخر امرؤٌ ضم جسمهُ ... أمانة روح لم يصنها لمأرب
ولى فيك أعمارٌ طوال واللذُّنى ... فأسند إلى عزّم الصبا حزم أشيب
حياتك من بعدى معادى ، ولن ترى ... فتى صالحا يجنى الفناء على أب
وللأمس شوقٌ أَنْ يرى الغد طالعا ... فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجب[4]
بُنَىّ استمع قولى فما بعد نَسْيه ... سبيلٌ إلى تكراره لمعقب
إلى الجو ! هذا يا بنى وداعنا ... وللأرض منا لهفة المتغرِّب
فإما لقاءٌ بعد فوق صعيدها ... وإما فراقٌ شاعبٌ كل مشعب

(١) خضارة : اسم معرفة للبحر . (٢) العبر : الشاطئ .
(٣) بمقرب : أى إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام .
(٤) لا يحب الأب أن يموت ابنه قبله فيكون كالغد الذى غرب قبل أمسه .

وصاةٌ لديدالوس وصَّى بها ابنه … ونعم الموصّى من حكيم مدرَّبٌ
صناعٌ له كف كأنّ أكفّنا … من العجز - إن قيست بها - لم تُركّب
عليمٌ بأسرار الفنون ، وإنها … لتقبس من سر الحياة المحجَّب
ومن يُؤتَ تصريف الجماد يُصب به … أكفًا وأعضادًا إلى كلِّ منكب
وناهيك ديدالوس من ذي حصافة … قدير على فعل الأعاجيب معجب
يعيرك من يمناه صولة قشعم[1] … وخلسة ثعبان وحيلة ثعلب
ويبنى فممبناه عمادٌ لأمة … وبيتٌ لأجيال وزينٌ لمنصب
ولكنه بئس الغيور على اسمه … وقد يحمل الغيرانُ أوزار مذنب
تغيَّظ لما بزه فرع صنوه … ولم يرع حق الأخت فى ابن محبَّب
فأصماه ، لم يشفق عليه من الردى … وواراه ، لم يندم ولم يتحوَّب[2]
وما كان إلا أن نبا بكليهما … فضاء أثينا من مقيم ومُعزب
فهذا مسجًّى فى ثراها متربٌ … وهذا مُزجى دونها كالمترب
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره … ذكاءً يريك النجم فى جنح غيهب
ووارته من عين الغريم فنونهُ … وكانت منارًا بين شرق ومغرب
وما زال يَعْرَورى البلاد ويتقى … تصعدَ أثناء الذرى بالتصوُّب
إلى أن تلقَّته «كريت» وربها … على خير أهل فى حماها ومرحب
وأمَّل «مينو» منه حصنًا لملكه … فحصنه «مينو» بملك مؤشَّب[3]
وما مَلِكٌ إلا له من صناعة … معاقلُ يبنيها ليوم عَصَبْصَب

* * *

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤٌ … يُخاف ويرجى للمخُوف المؤرِّب
تحيَّر ديدالوس ما بين مُنكر … وشكر ، وغِبٌّ اثنيهما غير طيّب
أيحمل شكر الملك أم كيد عرسه … وأنجاهما فى طيّه سمُّ عقرب
غوتْ عرس مينو واشتهت ، ساء ما اشتهت … من الناس ، لا بل من بهيم مذنَّب
تحنُّ إلى ثور وتهوى اقترابه … وليس ولىّ العهد منه بمعجب !
فأولدها طفلا له مثل ظلفه … إلى شر وجه آدمىّ ومنكب
ويا رُبَّ أنثى تعشق الثور كلما … سباها فتى بالجسم لّا الروح يستبى

---

(١) القشعم : المسن من النسور ومن كل شيء . (٢) تحوب : أى تجنب الحوب وهو الذنب .
(١) مؤشب : متشابك ملتف .

فَمَنْ غير ديدالوس يخفى شنارها ... ويرعى مهاد الطفل رعىَ المؤدِّب ؟!
أهابت به أمـا وأنثى حريصةً ... ومالكة حيرى ، فلم يتهيب
بنى لسليل الثور حرزا ، وليته ... تلمّس حرزًا من غوائل مُغضَب
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه ... وضاجع أشجانَ المعنَّى المعذَّب
وأقسم لا واقٍ من الموت عنده ... ولا وائلٌ من سخطه المتلهِّب
وأهولُ من هول الخضَّارم فى الدُّجى ... ضراوة مهتوك وغيظ مخيَّب

* * *

فلمَّا تنادى الجند وارتجَّت القرى ... وخيف الأذى من حاضرين وغُيَّب
وقالوا : أمَنْ ربُّ الجزيرة حربه ... يوقيه عرض البحر أو طول سبسب
أهاب الصَّناع العبقرى بفنه ... فلباه ، فاستعلى به متن أشهب[1]
تسربل من ريش وسربل نجله ... خوافق لوِّى بينها ألف لولب
فحلّق مزهوا وفرّ مظفّرا ... وأغرى لسان السخر بالمتعقِّب

* * *

مضى ناجيًا من بأس «مينو» فهل نجا ... فتاه من البأس الذى فيه يختبئ ؟
بلى ! قد نجا لولا طماحٌ سما به ... إلى الشمس فى ثوب من النار مُذهَب
تعشَّقها مفتونةً فتقلبتْ ... هواه بوجه صادق النور خلَّب
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى ... لنصح نصيحٍ أو لزجر مؤنّب
وما هى إلا وثبة بعد وثبة ... إلى الشمس حتى عزّه كل موثب
تعشّقها نارًا ، فإن جاءه الأذى ... من النار ، فليعتب . فلا حين معتب

* * *

علا بدم حىّ وخرّ مضخمًّا ... به فى جناحى أرجوان مخضَّب
طريحًا علَى صخر تُغشّيه رغوةٌ ... من العيلم[2] الغضبان فىٍ غير مَغْضب
وراحت بنات الماء يندبن حوله ، ... ومن يرَ أنقاض الصبا الغض يندب
وما من عزاءٍ للشباب علمتُه ... سوى مدمع من أعين الحسن صيِّب
إذا جال فى حسبانه هان عنده ... دموع ذراها[3] الحزن من طرف أشيب

* * *

(١) الأشهب : الأمر الصعب وقد يطلق على الطير الجارح الأشهب .

(٢) العليم : البحر . (٣) ذرا : الشىء فرقه وبعثره .

كعبة الأصنام(*)

بعد الزلزال

كـانت الكعـبـة والأصنام فـيـهـا ... زينةً تأخـذ قلب الصبّ تيـهـا
حـلـفـتْ فـى كـل ركـن بـالـدُّمـى ... والدمى مستعبدات صائغيـهـا
هى أصنامٌ لمن يعـبـدها ... أو تماثيلُ تناجى عاشقيـهـا
عظمتْ حـينا فلمـا زُلزلت ... كـاد من صلى إليـهـا يزدريهـا
كـان فـيـهـا صنم الحق نبيـ ... ـهـا(1) تداعى ، فبدا مسْخا كريها
نزع الزلزال عـينى رأسـه ... فـاحـتـوته ظلمـاتٌ غـاب فـيـهـا
وارتمت سـاقـاه فى جـانبـه ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهًـا ؟!

* * *

كـانت النخـوة فـيـهـا صنمـا ... صـاغىَ السمع ، كما شئت نزيها
يخلب الطَّرف بحـسن واضح ... وسمـات تزدهى من يجتليـهـا
فـارتمت أذناه فى الأرض لَقىً ... ومضت كَفٌّ بال كف تليـهـا
يطلب الغـوث ولا غـوث له ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهـا ؟!

* * *

والإخـاء المحض كم أبصـرته ... حـيث لم أبصـر له قط شبيـهـا
قـائمًـا يفـتـرُّ عن مـبـسـمـه ... واسع الصـدر ، يحـيـيك وجيـهـا
شـقـه الزلزال فـانجـاب لنا ... عن حنايا صـدره لا قلب فـيـهـا
خـيـر مـا فى وجـهـه ظاهرُه ... هل ترى داعـيَـه إلا سـفـيـهـا ؟
وتراءى الحب فـيـهـا فـتـنةً ... مـا اجـتـواها زائرٌ من زائريهـا
ضـرب الزلزال فى أصنامـه ... فـهـوت أشـلاؤها تنعى زويهـا
مـا الذى أبقـاه من أشـلائهـا ؟ ... سـوأة يعرض عنها مشتهيهـا

* * *

(*) كعبة الأصنام بعد الزلزال : وحى الأربعين .

(1) النبيه من النباهة وهى الظهور والشهرة .

وهوى تمثـــال مـــجـــد لامع   يخطف العين بنور يعـــتليـــهـــا
مـــلأ الدار عـلـينـا جـــوهرًا   زائفًـــا ينطق بـالـزيف بـديهـــا
وقـــشـــورًا لا تـســـاوى وزنهـــا   من ترابٍ ، لن ترى من يشـتـريهـا
هى إن قـــامت جـــمـــالٌ فـــإذا   سـقطتْ ، لم تكد العين تعـيـهـا

* * *

هكذا أقـــوت زوايا كـــعـــبـــتى   وثوت خـــاويةً من ســـاكنيـــهـــا
غـــيـــر أنى طائفٌ من حـــولهـــا   لم أشـــأ أهجـــرها أو أبتنيـــهـــا
لا طوف المتـــملِّى[1] حـــسنهـــا   أو طواف المهـتـدى من عـابديهـا
بل كـــمن نقب فى جـوف الثـرى   يجـمع الآثار فى شـتّى سنيـــهـا
من فـــراغٍ لا من الرغـــبـــة فى   تلكم الآثار ، أمـــسى يقـتنيـــهـا
أو هى الـعـــادة كـــالـطيف إذا   هام بالأجـــداث يبكى نازليـــهـــا

* * *

---

(١) تملى الحسن : نظر فيه واستمتع برؤيته .

إبليس ينتحر (*)

(الاستعباد هو الجو الذى تعيش فيه الشياطين لأنه و الخوف والإغراء ، وإبليس يخاف أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء) .

هاتو لى الخير والهدى جُرَعا ... أبخع نفسى حزنا كمن بخعا

حريةُ القومِ أفسدت خُدَعى ! ... لم تبقِ لى فى الأنيس منخدعا

إن مُنعتْ لذةٌ حفزتُ لها ... فكيف حفزى من لم يكن مُنِعا ؟

لو حُجبتْ شهوة أُزيّنُها ... فكيف تزيين ظاهرٍ سطعًا ؟

وإن طغى ظالم له خنعوا ... فكيف يطغى إن عَزّ من خنعا

لو دام هذا البلاءُ واتسعتْ ... حريةُ القوم ضاق ما اتسعا

واستغنتْ الأرض والسماء معًا ... عن الشياطين فانطووا جزعا

ما حاجة الأرض للأبالس فى ... عهد نضا الخوف عنه والجشعا ؟

وكيف تغذوهُم بلا عمل ... وهى على السعى شأنها اجتمعا ؟

وأين يأوونها إذا قشعتْ ... عنها ظلام الدهور فانقشعا

أتى زمانٌ أموت فيه أنا ... إبليس يأسًا ، وفى يدى صُنعا

ودعتُ ملكَ الدنيا وودعنى ... ملكٌ إذا همَّ قلما رجعا

هاتوا لى الخير جرعة فإذا ... ضعفتُ عنه شربته جُرَعا

سأسبق الموت حين يتبعنى ... فإنه لاحقٌ إذا تبعا

* * *

(*) إبليس ينتحر : وحى الأربعين .

بيت يتكلم (*)

(كل بيت من البيوت التى تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طلسم الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان ، ولسمعت عجبا لا تسمع الآذان أعجب منه ، وليس الذى يتحدث به «البيت» فى القصيدة التالية إلا قليلا من كثيره) .

جـمـيـع الناس سكانى	فـهـل تدرون عنوانى ؟
ومـا للناس من سـر	عـدا آذان حـيطانى
حـديثى عـجب فـيـه	خـفـايا الإنس والجـان
فكم قـضـيـت أيامى	بـأفـراح وأحـزان !
وكـم آويـت مـن بـر	وكم آويت مـن جـان !
فـإن أرضـاكم سـرى	فـهـا كم بعض إعـلانى

* * *

بنى الإنسـان لن أحـفـ	ـل فى دهرى بإنسـان
ألـم أعـرفـكم طـرا	فلم أسـعـد بعـرفـانى
أتـانـى أول السـكْـن[1]	ومـا اسـتـوفـيت بنيـانى
ومـا أرهـفـت آذانـا	ولـم آنـس بـقـطـان
وأصـغـيت على مـهل	فـطـاشـت كـل آذانـى
همـا زوجـان ، أو شـيطا	نـة لاذت بـشـيطان
وقـد عـاشـا وفـيين	بتـقـدير وحـسـبـان
وراحـا - هـكـذا يحـكـو	ن - فى روح وريحـان
ومـا أبصـرت من هذا	ولا مـن تـلـك فـى آن

(*) بيت يتكلم : عابر سبيل .

(1) السكان .

سوى خوانة خر   قاء تفرى عرض خوان
إذا ما ضحكا يوما   على غش وبهتان
حسدت البيد والأطلا   ل فى غيظى وكتمانى
وأشفقت من النقـ   ـمة أن تهتز أركانى

* * *

وجاء الساكن الثانى   وبئس الساكن الثانى
يراه الناس ذا مال   وأفراس وغيطان
وقد شوهنى بخلا   وأعرانى وأعيانى
وقد صيرنى سجنا   ومنه كان سجانى
فلما طال بى عهدا   ولم أسعد بهجران
وددت لو أن لى فى   كل جحر ألف ثعبان
بديلا منه أرضاه   وأحببوه بغفرانى
وأنفث سمها أو يتـ   ـقى شرى ويخشانى
إلى أن آده[1] أجرى   ولم يظفر بنقصان
فأخلانى ولن أنسـ   ـى سرورى يوم أخلانى

* * *

وكان الساكن الثا   لث ذا عز وسلطان
فما ارتبت بأن العـ   ـز والذلة سيان
وما ألفيته إلا   لئيما جد غفلان
ضعيفًا يستر الضعـ   ـف بطغيان وعدوان
وكم أذعن للطاغى   عليه شر إذعان
إذا ما لقى النا   س بكبر منه طنان
فما أصغر ما ألقـ   ـاه منه بين جدرانى

* * *

وأما رابع القوم   فذو علم وتبيان
حشا بالورق اليا   بس والأخضر حيشانى

---

(١) آده : أثقله .

فمـا لى مـوضع فى الأرض — رض أو من فـوق عـمـدان
ومـالى مطبخ أو مـخـد — ع أو بهـو ضـيـفـان
ولا زاويـة إلا — وفـيـهـا الكتب تلقـانى
أبـى للـنـفس دعـواها — لم يـسـمع لجـثـمـان
فـلا سـهـرة أحـبـاب — ولا جلسـة نـدمـان
فـمـا أجـهـله بالحق — ذاك العـالم العـانى !
أبين الـنـاس يحـتـا — ج إلـى عـلـم وبـرهـان ؟
وهم عـمـيـان ظلمـاء — سـروا فى أثر عـمـيـان ؟
كـثـيـرٌ لك يا إنسـا — ن فى دنيـاك عـينان !!

* * *

وأمـا الخـامس الجـانى — فناهيـك بشـهـوان
فـمـا زودنـى إلا — بـإثـداء وأعـكـان
وهُتّـاف بـألحـان — وسُـمـار على ألحـان
إذا أمـسـيت مـسـانى — بـأشـكـال وألـوان
علـى الأبواب مـا يرضـ — ـيك من حـسـن وإحـسـان
ومن صـون لأسـمـاع — ومن غض لأجـفـان
فـلا تـنظرهم ثمـة — وانظر بين أحـضـانى
فـيـا للّه كم فى الأ — رض من غى وغـيـان
وكم فى القـوم من مـخـد — وع آبـاء وإخـوان
وأزواج وأصـهـار — وخـلان وأخـدان
لـو أنى قلـت مـا أدرى — لهـدوا كل أركـانى
فنعم الصـمت والحكمـ — ـة يا صـخـرى وصـوانى !

* * *

وكم صـاحـبت من أصـ — ـحـاب آداب وأديـان
تجـافـوا وصـمـة العـاصى — وعـافـوا شـهـوة الزانى
وبـاتـو بـين قـربـان — وتـرتـيـل لـقـرآن
ولـم يـأسـوا من الـد — نيـا على غبن وحـرمـان
إذا مـا شـرفـتنى زمـر — ة منهم بصـحـبـان

حسبت الأرض تجفونى | فأنساها وتنسانى
وقالوا الجان لا تقر | ب من مجلس فرقان
فقد ألفيت بعض الأنـ | ـس فى العنصر كالجان

* * *

ولكن شر ما آو | يت فى لؤم وعصيان
رياء الخائن العادى | على أهل وأوطان
تلقّاهم بتمويه | ولا قوه بإيمان
وفى حجرة أسرارى | وفى ظلمة أوكانى
يبيع الحوزة الكبرى | بربح أو ببستان
ويعطى الحق والذمـ | ـة والفتيا بأثمان
ويُفنى أمة تحيـ | ـيه وهو الزائل الفانى
ويمشى بين قتلاه | رفيع الذكر والشأن

* * *

ولم أحمد من الضيـ | ـفان ضيفا مثل فنان
تولانى بإبداع | من الفن وإتقان
وغطى كل جدرانى | بمنضور ومزدان
وأوحى الحسن واستو | حاه من جنات رضوان
فحينا حسن مكسوٍّ | وحينا حسن عريان
بريئا فى سماء الفـ | ـن من عبث وأدران
وفتانا على الحا | لين لكن أى فتان
كما تفتنك الزهـ | ـرة فى أعطاف أغصان

* * *

جموع لست أحصيها | لو دونت ديوانى
ومثل كل جاراتى | ومثلى كل جيرانى
عرفت الناس أشتاتا | بلا عد وحسبان
فلم أعرف أألأعداء | هم أم جمع أقران ؟
إذا ما اختلفوا فى | سيمة تبدو وشغلان
فهم فى الموت أشباه | وفى سقم وأشجان
وما منهم فتى إلا | بكى حينا وأبكانى

مـــســـاكين فـــلا تحـــفل	مـن الـنـاس بـإنـســـــان
ولا تحـــســـــد فـــتى منهم	عـــلـــى بـــأس وإمـــكـــان
فـــــأعـــــلاهـم وأدناهـم	أمـــــام الـغـــــيـب صنوان

* * *

نـزيـل المـنـزل الخـــــــالى	ألا تـعـــــــــرف عـنـوانـى ؟
إذا مـــا طفت حـــوليـــه	فـــــشق أنك تـلـقـــانـى
فـــــمـــــــا من منزل إلا	وفـــــيـــــــه بعض ألوانى
تـأمـل فـى نـواحـــــيـــــــه	وراقـــبـــــه بـإمـــعـــان
ولا يخـــدعك صـــمت فـيـ	ـه أو تفـــتـــيح بيـــبـــان
ولا تحـــــســـبــــه خلوا من	مـــــغـــــاليـق وأكـنـان
إذا مـــا كنت مـــســتــحـضـر	أرواح وحـــــــــــــدثـان
فـــقف فى المنزل الخـــالى	وأرهـف ســـــمـع يـقظـان
وأغـــمض فـــيـــه أجـــفـــا	نك وانظر غـــيــــر وسنان
تر الأطـيـــاف أفـــواجـــا	وتســــمـع مـــوج طوفـــان
وتجـــمع كل مـــا يُجـــمع	من ربـح وخــــســــــرن
ولا يــخــطــئــك تــاريــخ	ولا دارس أزمـــــــــــان

* * *

بعد صلاة الجمعة(*)

على الوجـــوه ســـيـــمـــة القلوب	فـــانظر إلى المســـجـــد من قـــريـب
وقف لـديه وقـــــفـــــة اللبــــيـب	فى ظهـــر يوم الجـــمـــعـــة المحـــبـــوب

إنك فى حـــشـــد هنا عـــجـــيـب

* * *

(*) بعد صلاة الجمعة : عابر سبيل .

هــذا الــذى يمـشـى ألا تـــراه — كـأنما قـد حـملت يداه
سـفـتـجـةً[1] صاحبها الإله — ذاك هو الدَّين ، وقد وفاه

فليس للدائن بالمطلوب

* * *

وذلك المبتسم الرصين — كأنه بسره صنين
أصغى إليه سامع أمين — فهو إذا صلى كمن يكون

فى خلوة النجوى مع الحبيب

* * *

وانظر إلى صاحبنا المختال — فى حلة ضافية الأذيال
أكان فى حضرة ذى الجلال — أم كان فى عرض أو احتفال

يُزهى على المحروم والمسلوب

* * *

وكم مصلّ خافت الدعاء — كأنما نصٌّ إلى السماء
رسالة فى عالم الخفاء — فلا ينى يبدو لعين الرائى

كالمترجّى أوبة المكتوب

* * *

ورب شيخ من ذوى الخلاَق[2] — فرحان بالجمع وبالتلاقى
كأنه التلميذ فى انطلاق — بين تلاميذ له رفاق

عادوا إليه عودة الغريب

* * *

تجمعوا فى بيته تعالى — وافترقوا فى جمعهم أحوالا
وهل نسوا فى أرضه النضالا — فيحتويهم بيته أمثالا

على اختلاف السَّمت والنصيب ؟

* * *

(١) السفتجة : هى ورقة التحويل المالى .
(٢) الخلاق : الخير الوافر .

لعلهم صلوا له ارتجالا فاختلفوا ما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا صب على رءوسهم وبالا
وألحق المخطئ بالمصيب

* * *

الدينار (*)
فى طريقه المرسوم

لما بدا الدينار من باب الخزانة فى السماء
نادى الموكّل ثم بالأرزاق : أين ترى الثواء ؟
قال انطلق فى الخافقين إلى فتى جم الشقاء
قد بات ممنوع الغذاء وراح مقطوع الكساء
فاذهب إليه ومنّه بعض السعادة والرجاء

* * *

فأجابه الدينار وهو يكاد يجهش بالبكاء
أنا لست أعرفه فدعنى استطيب هنا البقاء
سيطول بحثى عنه فى وادى الخمول ، ولا لقاء

* * *

قال الموكّل ثم بالأرزاق حسبك من رياء
لن يألف المال الفقير ولن يحيد عن الثراء
ما شئت يا دينار فامض كما تشاء لمن تشاء

* * *

فاستقبل الدينارُ وجهته وهمّ بلا وناء
ومضى إلى حيث المعالم واضحات والضياء
حيث الدنانير السوابق قد رسمن له الفضاء
ليس الطريق على اقتحام كالطريق على اهتداء

(*) الدينار فى طريقه المرسوم : عابر سبيل .

نداء طفل(*)

أرسلت إلى عروسين :

ســـــــــرى إلـى الآذان	فى غـــــفـــــوة الوسنان
نـداء طـفـل جـــــــرىء	مـــســتـــعـــجل لهــفـــان
عـــجـــبت منه صـــغـــيـرا	يقـــول طلق اللســـــان :
«أبــــى كـــــــريم وأمـــى	كــــريمة فى الحـــســـــان
كـــــلاهمـــــا فى رواء	من الصـــبـــــا وازديان
كـــلاهمـــا ذو فــــؤاد	مـــجـــمَّـل بالحنان
كـــلاهمـــا يتــــمنى	بين الصـــغـــار مكانى
فـلـى أحق رجـــــــــاء	فى عـــالم الإنســـــان
وفــــــى ولادة يمـــــن	تزف بالمهـــــرجـــــان
وفى احـــتـــفـــال خـــتـــان	وفى احـــتـــفـــال قـــران
وفى احـــتـــفـــال نجـاح	ويجـــوز كل امـــتـــحـــان
هيـــا ادعـــوانى ســـريعـــا	إليـكـمـــــا واهـديانـى
وقـــربا لى ضـــيـــاء الشـمـو	س والأكـــــــــــــوان

* * *

قـــالوا : انتظر ! قـــال لا لا	هيـــهـــات لست بوان
قـــالوا تعـــقل قليـــلا	يا أعـــقل الفـــتـــيـــان
فـكـــل شـــىء لـديـنـا	مـــــــــوكـلٌ بـأوان
أتحـــسـب العـــيش رهنا	بما قـــــــــضى الأبـوان
فـصـاح صـيـحـة سخط	وقـــــال فى عنفـــــوان
مـــالى أنا ؟ أنا مـــالى ؟	هيـــا ادعـــوانى ادعـــوانى
أتـأبيـــــان لقـــــائى	مـــا أنتـــمـــا منصـــفـــان

* * *

(*) نداء طفل : عابر سبيل .

لا تعـــــذلوه إذا مـــا أطال فى الهـــــذيان
فـالطفل غيـر صبـور على الحجى والبيـان
والطفل هيـهـات يدرى يومـا بحكم الزمـان
فـاستـمـهـلاه برفق وحـيلة وافـتنان
ولا تطيـلا عليـه فى الغيب عد الثوانى
فكلنا نتـرجى قـدومـه فى أمـان

* * *

جواب جميل (*)

قال جميل بن معمر صاحب بثينة :

ألا أيهـا النوام ويحكم هبـو أسـائلكم هل يقـتل الرجل الحب

وأجيبَ بلسان أحد النوام :

بربك دعنا راقـدين فلو درى بنا الحب لم يرقـد لنا أبدًا جنب
وسل راقـدى الأجـداث عنهم فإنهم مـجيـبوك عن علم بمن قـتل الحب !

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيهـا الأمـوات ويحكم هبـوا أسـائلكم هل يقـتل الرجل الحب ؟

وقد أجيب بذلك اللسان :

أفق مـزعجَ الموتى فلو كنت قـادرًا على أن تهب اليوم من صرعة هبوا
ولستَ إلى أن يُسمع الصور سامعًا هنا سـر مـقـتـول يبـوح به صب !

(*) جواب جميل : أعاصير مغرب .

جنة الخيام(*)

رغيف خبز ووجهٌ حلو ، وكأس مدام
وتلك جنة عدن في مذاهب الخيّام(1)

* * *

قالوا : ونُوديَ يوما : ما تشتهي في يديكا
دع مطلبًا منه فردا والباقيان لديكا

* * *

فحار بين رغيفٍ إنْ فاته مات جوعا
وبين وجهٍ منيرٍ إن غاب غابت جميعًا

* * *

وبين كأس مدام على الشقاء تعين
لولا خداعُ مناهاً أفاق وهو غبين

* * *

طال التردّد فيها فمال عنها كظيما :
سألت جنةَ خلد وما سألت جحيما

* * *

قالوا : فناداه صوتٌ يقول في غير رفق
كصوت إبليس لولا ما فيه من فَرط صدق

* * *

«أتلك جنة خلد تهذي بها يا حكيم
يطلبٍ إن عداهاً ترتدّ وهي جحيم ؟»

* * *

(*) جنة الخيام : أعاصير مغرب .
(1) عمر الخيام الشاعر الفيلسوف الفارسي وله رباعية بهذا المعنى .

مادى يعلل الربيع (*)

رفيق أول : إن الربيـــع جـــميـل
رفيق ثان : صـــه ! ذاك قولٌ دخـــيلُ

ألـسـت تـعـلـم أن الـر — بيع شـــيىء ثقـــيل
وأنـــه مـــن صـنـيـعٍ — للغش فـــيـــه أصـــولُ

رفيق أول : مــن غـشه يا صـــديقى ؟
رفيق ثان : حــــقا لأنـت جـــهـول
قـد غـشـه الأغـنيـاء المـ — ـســـتـــأثرون القـليـل
أليس فـــيـــه مـتـــاع — لـهـم وظـل ظـلـيـل ؟

رفيق أول : لكنْ بعـيـــشك قل لى — وذاك منى فـــضـــول
بـأى بـرهانِ صـــدق — وأى شــــــرح يـطـول
قـد أقنعـوا الأرض حـتىً — بـاتـت إليـــهم تميل ؟

رفيق ثان : حــقـا لأنت عـجـيـبٌ — فـــيـــمـــا أراك تقـــول !
بـرشــــوة دفنتـــهـــا — فى جـوفـهـا يا زمـيـل
ألا ترى الـتـبـر فـيـهـا — منهـــا إليـــهـــا يؤول ؟
فـافـهم إذن يا صـديقى — فـــقـــد أتاك الـدليـل
وأيـدتـه شــــهــــود — وأكـــدتـه عـــقـــول
الأرض والـشـــمس والـنا — س والـدعـــاة الـعـــدول
لـهم ضـمـــائر ســـوء — مـــرضى ، وطبع وبيـل
بذاك «مـــاركس» أفـتى — ونقـضـه مـسـتـحـيل !

(*) مادى يعلل الربيع : عابر سبيل .

عيد ميلاد فى الجحيم(*)

(دخل شقى الجحيم فحسبوه مولودًا جديدًا فى ذلك العالم القديم . ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده وقال لأترابه وأنداده :)

صُـفّـوا الموائد واملأوا الأكوابا ... وادعوا الصحاب ، وبشروا الأحبابا

قولوا مضى عامٌ ليوم هبوطه ... هذا الجحيم ، فقرّ فيه وطابا

وبلا المقامَ فراح يحمد شرَّ ما ... فيه ، وآدب باسمه إِيدابا

هذا الجحيم أحبُّ لى من عالم ... ما كان لى إلا رجاءً خابا

الشر ثمة كان شرا كاسمه ... والخير كان كما علمت سرابا

يشقى بنوه ليعمروه ويجشموا ... فيه الشقاء ليرجعوه خرابا

لا يعرفون الحق إن سمعوا به ... إلا ليلقوا فى الحقوق عذابا

أهونْ بصاب فى الجحيم أذوقه ... قد كان ثمة كلُّ شىء صابا

صابًا إذا ارتوت الشفاه شربته ... بالناظرين ، وساء ذاك شرابا

ولربَّ وجه يومذاك شهدته ... فكأن سمًّا فى العيون انسابا

وجه اللئيم إذا استهلْ ومثله ... وجه الكريم إذا اضمحل وذابا

ورضى الظلوم وحيرة المظلوم فى ... بلواه يطرق كل يوم بابا

* * *

يا صحب حيوا النار فى ويلاتها ... واحثوا على ذاك التراب ترابا

ما كان فى حُسن هناك فجهده ... أن يخدع الأبصار والألبابا

أو كان من فضل هناك فحسبه ... أن يملأ الدنيا عليك صعابا

ياصحب هاتوا من علاقمها لنا ... وادعوا الأحبة واشربوا الأنخابا

من عاش عاما فى الجحيم فلا اشتهى ... أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

(*) عيد ميلاد فى الجحيم : وحى الأربعين .


ترجمة شيطان

ترجمة شيطان(*)

(نظمت هذه القصيدة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وهى تدور على سيرة شيطان كفر بالشر بعد أن فتن الخلق بصورة الحق . وإن شيطانا يكفر بالشر لأشقى من ملك يكفر بالخير . لأن الملك بعد الكفران بالخير قد يجرب الشر فيرى للحياة معنى فى هذه التجربة ، ولكن الشيطان الذى يزيف الحق بيديه ، ثم يكفر بالشر يخبط فى حياة ليس لها معنى على الحالين ، ويمضى غير حافل بالخلق محقين أو مبطلين ، وغير مكترث لهم ولا لنفسه فى هداية ولا ضلالة) .

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم غسقَ الظلماء فى قاع سقر
ورمى الأرض به رمَى الرجيم عبرة . فاسمع أعاجيب العبر

* * *

خلقة شاء لها اللّه الكنود وأبى منها وفاءَ الشاكر
قدرَ السوء لها قبل الوجود وتعالى من عليم قادر

* * *

قال كونى محنة للأبرياء فأطاعت ، يا لها من فاجرة !
ولو استطاعت خلافا للقضاء لاستحقت منه لعن الآخرة

* * *

سُنةٌ للّه فاقفوا إثرها عصبة السواس وامضوا راشدين
علّم الأقيالَ قدمًا سرها فأقاموا دينه فى العالمين[1]

* * *

(*) ترجمة شيطان : الجزء الثالث .

(1) إشارة إلى كلف أكثر الملوك ببناء المعابد تعزيزا لقوتهم بقوة العقائد .

سنة اللّه ومـــا أوســـعــــهـــا ... رحـــمـــة منه بجــبــارى الأمم

ويحـــهم ! لو لـم يكن أبدعــهـــا ... كــيف يدرون بأســرار النقم ؟؟[1]

* * *

فله الحــمــد على مـا فـقـهـوا ... من دهاء الملك والكيــد الحـــذر

فــإذا رامــوا نكالا شــبــهــوا ... مـن أرادوه بشــيــطان قــذر

* * *

قــال : كــونى مــحنة للأبرياء ... واخـســأى أيتـهـا النفس العـقـيم

أيهـا الشــيطان اضلل من تشــاء ... ســوف تأويك وتأويه الجــحــيم

* * *

فـهـوى الشـيطان صـفـر الراحـتين ... خــاوىَ الزاد ويا بئس الســفــر

أيـن يمضـى ؟ أيـن أفق الأرض أيـن ؟ ... فــرحــاب الكون مــلأى بالأكــر

* * *

بيــد أن الشــر مــا زال أريبــا ... وســبــيل الغى ممهــود الجناب

لن تراه حــيث تلقـــاه غــريبــا ... أبد الدهر ولا نـزر الصــحــاب

* * *

هبط الشــيطان فى وادى القــرود ... أوْهمُ الزنج كــمــا قــد خُلقــوا

أمــة من صنعــة الخــلائق ســود ... أخطأوا الصــبــغــة أو قـد حـرقـوا

* * *

أرضــــهم أنجب من أبنائهـــا ... وحــصـــاد الزرع فــيــهــا دائم

لا ينام الظل فى أرجـــائهـــا ... وهُم ظلٌّ عليـــهـــا قـــائم

* * *

واســتــوى بين رباها والحــوافى ... فـإذا السـمت بهـا سـمت السـبـاع

سـيد القـوم كسِيد[2] القـفـر حـاف ... وهمـــا بعــد ســواء فى المتــاع

* * *

---

(١) أى أن الأقيال إذا أرادوا أحد أتباعهم بنقمة أخرجوه حتى يزل أو تمحلوا له العلة ليأخذوه بها .

(٢) السيد بكسر السين هو الذئب .

وإذا الكعبة فى الأرض الشّرى ورسول العلم ضاريها الشروط
بين قنص أو هراش أو كرى يذهب التاريخ فيها ويعود[1]

* * *

ولقد همّ وما أعجله يسأل الإنس بها لو يفقهون
أو ينادى الوحش لو أصغى له ألكم فى القوم صهر وبنون ؟؟[2]

* * *

سخر الشيطان من قسمته ومن الأرض وما فوق السماء
ومضى يهجس فى محنته : «ألهذا تُستذَل الكبرياء ؟»

* * *

أن يكن أغوائىَ الزنج لزاما فمن العُجم الضوارى عجبى
ماله يأنف إن يغْوىَ حامًا ذلك الغوى ذوات الذنب[3]

* * *

ومشى ينغم فى غير طربْ نغم الغبطة باليوم العبوس
نغما يرصد من خلف الحقب يومَ تندك على الأرض الشموس

* * *

لا نطيل القول فالخطب يسير وحياة الإنس والجن هدرْ
خرج الشيطان فى الأرض يسير ومن اللّه إلى اللّه الصدَرْ

* * *

لحة جازت به مشرقها ثم ردته حيال المغرب
ويشاء الله أن يوبقها فاشتهاها شهوة المغتصب

* * *

وارتضى منها مقامًا رغَدا حول بحر الروم أو بحر العجمْ
يتلهّى فى مغانيها سدى أو لأمر خفيت فيه الحكمْ

---

(١) الشرى مأسدة أو مسبعة المعنى أن آداب المعيشة والأزياء فى ذلك الوادى الذى نزل به الشيطان من مجاهل إفريقية هى آداب السباع وأزياؤها فأقدس مكان هناك هو أوجرة الوحش ومكامنها وكل ما يعرفه أهلها من العلم هو ما يصدر من شهوات الحيوانات وحركاتها من عفو الطبيعة فكأنما هى القائمة هنالك برسالة العلم وفريضة المعرفة .

(٢) هم الشيطان المتهم أن يسأل الوحش أى قرابة لكم بأهل ذلك الوادى لأنه رآهم جميعا متشابهين .

(٣) يقول الشيطان : إذا كانت الضوارى لا تحتاج إلى من يغويها فما حاجة أبناء حام إلى شيطان لإغوائهم .

ورمـى أول فـخ فـــأصـــابا ودعـــاه الحق واســتلقى فنام
وأناب الحق عنه فــاســتــجــابا فــإذا الحق لجــاج واخــتــصــام[1]

* * *

وإذا الحق طلاء الخــبــثــاء ، رسن الواهن ، سـيف المعــتـدى ،
ضلة الجــهـــال ، لغــز الحكمـاء ، ذلة العــبــد ، غُـرام الســيــد

* * *

وإذا الحق طـعـــام ووكــــون وإذا الحــق بــريــق الـــذهــب
لو يموت النـاس أو لو يشـــبــعــون ذهـب الحق ذهاب الســــغــب

* * *

يا لهـــا من لفظة زوّقــــهـــا آض فــرضًــا بعـدها الفـعل الذمـيم
ويحـــه ! فى نأمـــة أطلقـــهـــا غلب النحسُ ولم يُغن النعـــيم

* * *

نام لما صـنـع الحق وأغـــضـى ولو اخـــتـــار لأغـــضى أبدا
غــيــر أن الشــر لا يألف غــمــضـا ربحت صــفــقــتــه أو قــد فـقـدا

* * *

فـــأطـارت سـنـةً فى هـدبـه بهـــجـــة الزرع الذى كـــا بذر[2]
كـــان أن يشكر نعـــمــى ربه لو يســيغ الشكر شـيطان كــفــر !

* * *

وتمادى بـعـــــدُ فى شـــرّته كلمـــا أنبت زرعـــا ينعـــا
فـــرأى الشـــوكـــة فى دولتــه وجنـى الوفـــرة مما زرعـــا

* * *

ألفُ جـــيل بعـــد ألف غـــيــرت صـــاحبَ الأباءَ فـــيـــهـــا والبنين
ورأى منـــهـــــا فـنـونًـا ورأت منه فى صـــحـــبـــتـــه أى فنون

* * *

(١) معنى هذا أن الشيطان صنع للناس شيئا دعاه الحق فكان علة خصامهم وإنقسامهم فأغناه عن السعاية بينهم وأغوائهم بالمنكرات وفى الأبيات التالية وصف ذلك الحق الذى صنعه الشيطان .
(٢) المقصود بالزرع هو ذلك الحق المصنوع .

أتلفته مثلما أتلفها   عجبًا ! لا بل علام العجب ؟
أترى الشيطان يدرى ضعفها   وهو من ذاك برىء أجنب ؟[1]

* * *

فاشتى الخمر ورنات المثانى   وأحب الغيد عذرىَّ الهوى !
لعبًا ينهل آنًا بعد آن   نُهَلا منهن ينعشن القوى

* * *

لا نطيل القول فالقول هذرْ   وحياة الإنس والجن هباءْ
إن يدمْ للناس سلطان القدرْ   فعليهم بل على الكون العفاءْ !

* * *

أنف الشيْطان من فتنته   أيما يأنف من إهلاكها
ورأى الفاجر من زمرته   كعفيف الذيل من نُساكها

* * *

ما له يفسد خلقًا عدموا   آية الرشد ، وهبهم رشدوا
وعلام السلب مما غنموا   وهُمُ لو غنموا لم يُحسدوا

* * *

كلهم طالبُ قوت ، والشرى   ذل قوم أو تعالوا ، مخصب
وقصارى الأمر فًى هذا الورى   راسبٌ يطفو وطاف يرسب

* * *

منذ رأى الشيطان عقبى شره   كفر المسكين بالشر العقيم
وأراها بدعة من كفره   دونها الكفران بالخير العميم[2]

* * *

يا إله الكون يا خير إله   أين من قدرك أصنام القدم
من كربّ الكون لا بل من سواه   عادلٌ فى الخلق بر بالأمم

* * *

أنتَ يا رب لطيف فى القضاء   فاصعق اللهم من يجحد لطفك
قسمًا باسمك يا رب السماء   ما رأى فى الناس من يدرك وصفك

---

(١) لا عجب فى أن يكون الشيطان عرضة للتلف فإنه لما كان يداخل الناس من جهات الضعف فى نفوسهم فلابد أن يكون فى نفسه شبيه تلك المواطن الضعيفة وإلا لما عرفها .
(٢) أى أن كفر الشيطان بالشر إنما هو ضرب من الكفر أسوأ من الكفر بالخير لأنه يرى الخير أهون من أن يستحق العناية بإزالته ورصد المكائد له ، فالراشد والغاوى عنده سيان .

يكفــر الشــيطان بالشــر العــقــام	فــتــعــد الكفــر منه ندمًــا
وتـنـجّــيــه إلى دار الســلام	وقـديمًا قلت لا يغـشى الحـمى[1]

* * *

فـضلك اللهم من غـيـر حـسـاب	وكـــذا اللهم آلاء[2] العليم
فاعجبوا من نعمة الله العجاب	وانظروا كـيف تلقـاها الرجـيم

* * *

نزل الشـيطان من جنتـه	منزلا يرضى به الفن الجـميل
ومـشى فـاختـار فى مـشيـتـه	هضبـةً عند مـصب السلسـبيل

* * *

هضـبـة فـيـهـا نخـيلٌ وثمـر	وبراكين خـبـا منهـا الضـرام !
وحـلاها دون أنماط الصـوَر	قـالب الحسن كـما شاء التـمام[3]

* * *

قـالب الصنع الذى ينقل عنه	كلُّ ذى فن أعـاجـيبَ الفنون
شـركٌ لا تفلت الألبـاب منه	حـفظتـه روضـةٌ تسبى العـيون

* * *

كـملت زينتـهـا من كل فن	وكـسـاها الزهو ولدان وحـور
وعلى أحـواضـهـا الطيـر تغنى	يا كـريمٌ ، ياحليمٌ ، يا غـفـور

* * *

وحـواليـهـا على رحب المدى	زُمَـر الأمـلاك من خلف زمـر
كلمـا راح عليـهـا أو غـدا	شـيّعـتـه بنشـيـد مـبـتكر

* * *

ونُفـيـض الوصـف لولا أننا	نصف الدار لكم يا داخليـهـا[4]
فـاصـبروا فـالصبـر مـفتـاح المنى	واسـمـعوا كيف غوى الشيطان فيـها

---

(١) يؤخذ من هذا البيت إن هذا الشيطان لما كفر بالشر نقله الله إلى دار السلام أى النعيم وعد ذلك الكفر منه ندما لعله يكون سبيل الهداية والإيمان من جهة أخرى .

(٢) الأفضال .

(٣) للجمال مثل أعلى ينقل الشعراء أخيلتهم والمصورون صورهم فتلك البقعة التى اختارها الشيطان من دار النعيم كانت مزدانة بقالب المثل الأعلى نفسه لا بالصور والأخيلة المنقولة عنه كما هو الشأن فى قصور الدنيا وبقاعها .

(٤) لا حاجة إلى الإطالة فى الوصف فإننا نرجو أن يكون القارئ من أهل الجنة فيراها بعينه .

أزفت ساعته ذات شتاء | أو على قول مضت حين مضى
وإذا حدثتْ فى أمر السماء | فاترك التاريخ سطرًا أبيضا

* * *

وقُبيل الصبح أو نحو الأصيل | عند باب القدس أو باب الحرم !
ركب الشيطان فوق السلسبيل | مركبًا يزجيه سلسال النغم

* * *

وفشت حوليه أرواح السلام | كلُّ زهر باعثٌ منه شذاه
ساريات مثلما تسرى المدام | أو كما رقّت على الخد الشفاه

* * *

وهو ما بين وصيف ومَلَكْ | فى رواق من رضى لو كان يرضى
سبّحوا اللّه وقالوا الملك لكْ | وهو يزداد على التسبيح قبضا

* * *

نظرت صحبتُه الوجهَ العبوس | فرأوا فى الخلد شيئًا عجبا
ما رأوا من قبل ما لون النحوس | لا ولا يدرون إلا الطربا

* * *

والتقت أعينهم فابتسموا | كابتسام الطفل فى مهد الرخاء
وتمادى الأمر حتى سئموا | فتمشت فى الخليط الثؤباء

* * *

قال أدناهم إلى مجلسه | وهو لا يعلم أنْ قد أغلظا
ما لمولاى أرى فى نفسه | بعضَ ما خُبِّرت عن وادى اللظى

* * *

أترى الويل إذن والشجنا | فترةً تُطبقُ أهدابَ الرقود[1]
أكذا الوادى الذى قيل لنا | فى صبانا أنه مرعى الجحود ؟

* * *

فانثنى العابس وقّادَ الجبين | صارخًا صرخة مقضىّ الهلاك :
أى واد ؟؟ قال وادى الكافرين ، | قال دع هذا فما أنت وذاك

---

(١) سئم الملائكة منظر انقباض الشيطان فناموا كما ينام الأطفال إذا غلبت عليهم السآمة ولهذا يتساءل الملائكة لطهارة قلوبهم : هل الويل والشجن الذى يصيب أهل جهنم هو هذه الفترة التى تجلب النعاس للعيون .

قل لنا كيف ترانا ها هنا ؟ | قال : ماذا ؟؟ إننا للْفَائزون
قال لكنى أرانا كلنا | وأراكم قبلُ أشقى ما يكون

أيها القارئ وُقّيتَ العثار | وبلغت الخلد موفور القدم
هل شهدت الجيش فى هول الفرار | أو رأيت الطير راعتها الديَم[1]

إن تكن لم ترها فارصد لها | تدر ما فزعة أملاك السماء
فزعةٌ للّه ما أجملها | صانها الرحمن عن سفك الدماء

ساءهم فى الخلد ألاّ يُحسدوا | وم الحسّاد من تطلبه
راعهم فى الخلد أن لا يسعدوا | منكر السعد كمن يسلبه[2]

ولقد علّمهم شيطانه | علم ما لم يعلموا من غضب
ما لهم قد فاتهم شكرانه | أو ليس الغيظ بالمكتسب ؟؟

لو تراخى خطبهم لاحتملوا | عُدد الرجم لذاك المعترك
لطف اللّه فلو قد عجلوا | لخلا من نجمه هذا الفلك[3]

منٌ للّه لا يحصرها | صيرفىّ رُوّضت أعداده
خفراتٌ لم يزل يظهرها | كلما هام بها عباده

هو أوحى الوحى فى جنته | فسرى فى الملأ الأعلى الصدى
حين نادى قرّ فى وقفته | كلٌّ غضبان ولبى واهتدى

---

(١) الأمطار .

(٢) إذا أريت سعيدا من الناس أنه لا يستحق أن يحسد فكأنما جعلته كمن لا يتمتع بنعمة من النعم المرموقة فسلبته تلك السعادة التى أنكرتها ، وكذلك الملائكة فى النعيم ساءهم من الشيطان أن ينكر عليهم ما يعرفونه لأنفسهم من النعمة ورأوا أن إنكار السعادة وسلبها على حد سواء .

(٣) المعروف أن النجوم هى رجوم الشياطين يرجمهم بها الملائكة فلو أن أملاك النعيم اقتصوا من ذلك الشيطان برجمه لخلت الأفلاك من كواكبها لعظم جريرته عندهم .

فـــــــــإذا الجـنـة أمـنٌ وسـكـون   كـسكون الليل فى ضـوء القـمـر
خشعت حتى الشوادى فى الغضون   وصـغـت حـتى وريقـات الشـجـر

* * *

سـاعـةٌ ثم انجلى مـوقـفـهـا   عن جـلال اللّه فـردًا فى عـلاه
غـابت الأمـلاك لا تعـرفـهـا   وبدا الشـيطان مـعـروفـا تراه

* * *

وبدا الشـيطان مـعـروفـا ترى   كـبـرياء الكفـر فى وقـفـتـه
عـالىَ الجـبـهـة يأبى القـهـقـرى   وتـوّج الـنـار مـن نـظـرتـه

* * *

وتَنحّى كلُّ مـشـهـود فـمـا   ثَـم إلا الـلّـه والـطـاغـى المـريـد
ويكاد الكون مـا بينهـمـا   يغلب الشك عليـه فـيـبـيـد

* * *

سـاعـةٌ أخـرى وقـد حُم القـضـاء   وانقـضى العـفـو وحق الغـضبُ
سـاعـة للنحس حلت والبـلاء   ومـتى حلت فـأين المهـربُ ؟؟

* * *

حـاقت اللعنة . حـاقت كلهـا   وقـضـاها المنعم المنتـقـم
وجناها وهو لا يجـهلهـا   ذلـك الجـانى الذى لا يندم

* * *

هاتفٌ فى الخلد لما هتـفـا   نفـذ السـهم فـمن ذا الهـاتف ؟
إهو الرحـمن ؟؟ لا وا أسـفـا   بل هو الروح العـصىّ العـاصف

* * *

هو روح يحـسـد اللّه ومـا   أعـجب الحـاسـد للّه الصـمـد
كلمـا أبصـره مـحـتـكمًـا   أصـغـر الكون وأزرى بالأبد

* * *

هو ناع سـمـجت فى عـينه   نعمُ اللّه فـأمـسى يجـتـويهـا
حـبـة يزرعـهـا فى كـونه   تلكم النعمى ، فأين الجود فيها ؟؟[1]

(١) يجحد الشيطان جود اللّه وكرمه ويقول : إذا كان تنعم اللّه إنما هى كالحبة التى يزرعها الزارع فى أرضه فأين الجود فيها ؟؟

هو طاغ يأنف الصغو إلى سائل يسأله عما جنى
يحسب الصغو عقابا قد غلا كيف لو أعذر أولو أذعنا ؟؟[1]

* * *

فرمى بالهُجر لا يحفله حيث لا يبدأ خلق بالكلام
ويجدّ القولَ أو يهزله ولعينيه وميضٌ وابتسام

* * *

قال : سبحانك يا مولى الموالى وتعاليت ولسنا نعتلى !!
لا سلامَ اليوم يقريه مقالى أيها المولى فهل تغفر لى ؟؟

* * *

أيها المولى ونوليك العزاءْ ويُعزّى سيدٌ يفقد عبدا
فاقد العبدان أولى بالرثاء مِن فتى يألم للأرباب فقدا

* * *

أيها المولى ولا تغضب على عبدك العاصى إذا لم تُرضه
عبد سوء رفض الخلد فلا تَبلُ بالجود قصارى رفضه !!

* * *

لا تعالجنى بلوم إننى قائم عنك بلومى وانتقادى
أنا من ينصف من يقرفنى ونَجىٌّ بالذم منى لا يُصادى[2]

* * *

لائمى أنت على كفر النعم وكذا يبدأ باللوم الكريم
ليتنى ذاك الكفور المتهم إنما الكفر أخو الخير القديم[3]

* * *

آخذى أنت بقوم شكروا بعضَ ما قيضتَ لى من نعم
كذف لا يشكر قوم ذكروا لك بالحمد حلول النقم

* * *

(١) إن الشيطان لتجبره يرى أن إصغاءه إلى من يلومه هو العقاب أشد العقاب فكيف به لو قبل ذلك اللوم أو أذعن له ؟؟

(٢) يصف الشيطان نفسه بأنه لا يصادى أى لا يجامل فى ذم نفسه لأنه يرى أقصى الذم كالثناء .

(٣) ينكر الشيطان إنه أصاب أى خير فهو لذلك ينكر أنه كفر لأن الكفر لا يكون إلا مع الخير .

تهب العشب لآساد الشرى ... وتعد الجوع منهن كنودا
فازت الشاء فلا غرو تَرى ... أنها تبلغ بالأكل الخلودا

* * *

كم عهدنا عاهلاً فى ملكه ... يحكم الناس بما لا يفقهون
يوبق السائلَ عن مسلكه ... ويبيح الأمن من لا يسألون

* * *

هكذا ملكك يا رب القضاء ... دولةٌ تحمى على الطرف النظر
حظ من يدنو من الستر الشقاء ... وسعيدٌ من لها عما استتر[1]

* * *

فاغن بالراضينَ عن أقدارها ... أنهم نعم عتاد المالكين
واجعل الفردوس من أقطارها ... حيث يرضون ، وما هم ساخطين

* * *

وإذا مارئم[2] الضب الكدى ... فقل الكدية فردوس السماء
أو ليس الخلد يا رب الهدى ... منزلا لا يتخطاه الرجاء ؟؟[3]

* * *

لا تعاجلنى فقد لا يتقى ... سيد الكون لسنا يكذب
أن يكن وزر ضلالى مزهقى ... آخر الأمر ، فحتفى مكثب

* * *

لا لعمرى بل هو الصدق وما ... أجمل الصدق بشيطان غوى
إنما الصدق نبات ما نما ... قط بالخير ، وقد ينمو الهوى

* * *

(١) يقول الشيطان أن الشقاء نصيب كل من يحاول الكشف عن حكمة الإقدار كما أن التنكيل نصيب من يحاول إزاحة الستر عن سياسة الدول الخفية .

(٢) ألِفَ .

(٣) يستصغر الشيطان الفردوس التى وهبها لأنه له رجاء فوقها ولذلك لا يسميه فردوسا ولا يعد الرضى به نهاية السعادة كما أن الضب يرضى بكديته أو جحره وليس جحره بأقصى ما ترتقى إليه الآمال .

إنما الصـــــدق وبال يُفــــتـــــرى ... وأحق الحق مــــا يوحى الرجــــيم
أبـطـل الـبــــــاطـل لا يؤذى الـورى ... وأحق الحق يودى بالـصـــمــــيم[1]

أمـــجــيــبى أنت أم عند الصــدى ... أبـدا الـدهر ســـؤالى والجــــوابَ
أهـى الراحـــــة فى الخلـد ســـدى ... ثمــر الكون جـمـيـعًـا واللبـاب ؟؟

كــــيف يرضى خـــالدٌ يفـــصله ... أمــــدٌ بينكـمـــا لا يُعـــبــــر
ايعــــاف الـشـــــأوَ أم يجـــهله ... أم يرجــــيــــه فـــلا يقــتـــدر

عـــــفـــــوك اللـهـم لا خلـد هنا ... ومـــتى كــان خلود فى قـــيـــود ؟؟
ســـيظل الخلـد وســـواس المنى ... وصـــدى الليـل وأحـــلام الرقـــود

وســـيـــبــقى الكون فى جـــوهره ... أبدًا شـيـئين مـهـمـا اقـتـربا
خــــالقٌ قـــام على عنصـــره ... ومـــخـــاليق رأوه احــتــجــبــا

صـــانع يحـيى الـبــرايا منعــمــا ... وبـرايا صـنعـــــا منٌ وجـــــود
وكــــلا هذين مـــوجــود فـــمــا ... أبعـد البـون لعـمرى فى الوجـود !![2]

أيهـــــا الفــــانون فى هذى الدنى ... خلدكم يا قـــوم آجــــال تَوالى[3]
تحـــســـبــون الخلد فى نيل المنى ... قـد خُـدعـتم ! فـاشكروا اللّه تعـالى

---

(١) من رأى هذا الشيطان أن الناس إذا وصلوا إلى الصدق قد تجردوا عن الأهواء ونزعات الطبائع ومطالب اللحم والدم وهذا نذير الهلاك فى عزمه .

(٢) تطمح كبرياء الشيطان إلى أعلى منزلة فيرى وراءها منزلة أعلى منها وهى منزلة الإلهية فيسخط على قسمته ويقول كيف يرضى بهذه القسمة الخالدون ؟؟ أيعافون ذلك الشأو الذى فوقهم وهو لا يعاف أو يجهلونه والجهل نقص فى مرتبة الخلود أو يطلبونه فلا ينالونه فيكونون من المحرومين ؟؟ - وفى هذه الحجة موضع ضعف لأنها تفترض التماثل التام بين حالة الخلود وحالة الفناء فى هذه الدنيا المحدودة .

(٣) المعنى أن خلود الفانين فى رأى الشيطان إنما هو آجال محدودة متعاقبة ليس إلا فكأنهم لا يزالون فانين مع خلودهم وهو إنما يريد الخلود المطلق الذى لا تحده الأجال .

قد خُدعتم فاسألوا الدود أما | يبلغ المأمول من شهوته
واغبطوه فهو أرقى سلما ، | أو ما يوغل فى حمأته ؟؟

* * *

اسألوا يا قوم أن لا تسألوا | وتمنوا للأمانى الكمالا
وإذا أعجزكم أن تفعلوا | فاشكروا من يحرم الخلق السؤالا[1]

* * *

عفوك اللهم أو لا عفو لى | طال بى حلمك فابعث وجلك
أنت لا تخطر لى فى أملى | لا تكن توبة نفسى أملك

* * *

وادع فى خلقك يسجد من رجا | خلدَكَ الأعلى فما نحن سجود
لنكونَنَّ إذا صح الحجى ، | حجرًا صلدًا ولا هذا الوجود

* * *

لا نطيل القول . أما المنتهى | فقريب ، وجرى ما قد جرى
السنى أظلم والنجم سها | ولهيب النار أمسى حجرا

* * *

لا انتقامًا حبطت فتنته | حاشَ للّه ولا الحلم نفد
إن تكن قد خمدت جذوته | فمن الرحمة بالخلق خمد

* * *

حين جارت فتنة الغاوى على | عصمة الأملاك فى غرتها
عجّل اللّه به ما أجّلا | وحمى الدولة فى بيضتها

* * *

قال كن عبدى فلما أن أبى | قال كن صخرًا كما شئتَ فكان
لهبٌ طار فلولا أن خبا | لتغشّى الكونَ نار ودخان

* * *

ولقد قال أناس شهدوا | مصرع الشيطان هل طبع يزول ؟؟
ناره تخبو فلا تتقد | وهو فى الصخرة يستهوى العقول

---

(١) يقول الشيطان إذا طلبتم أمنية تستحق الطلب فلتكن أمنيتكم أن تصبحوا من الكمال بحيث لا تطلبون شيئًا ، وهذه أمنية لا يقل اللّه منكم أن تطلبوها فاشكروه لأنه يحرمكم السؤال .

فــإذا أبصــرت من صــخــرته دُمــيــةً ســاحــرة أو صنمــا
فــابتــعــد منه ومن رقــيــتــه واتق اللّه وحــوقل نـدمــا

وتعــجّبْ من شــواظ[1] رده طارقُ اليــأس صــفــاة جلمــدا
وتدبّر كــيف أبقى كــيــده ومــحى روحًــا وأفنى جــســدا

ولقــد أسـمع فــيــمــا زعــمــوا نبــأً من نحــو إبليس أتى
قــال لا تأســوا ولا تنتــقــمــوا مــعــشــر الجن فــمــا برّ الفــتى

مــا أرى هذا الفــتى من دمنا ومتى استغوى الشياطين الشرك ؟
أترى شــيطانه من قــومنا أغــوت الأمــلاك فــهــو ابن ملك !

ذاك أو كــيف أطاشت فــمــه غــيــرةٌ منه على القــول الصــراح
أكــبــا الثــرثار أم أســقــمــه أرجُ الجنة أم مــل الكــفــاح ؟؟)

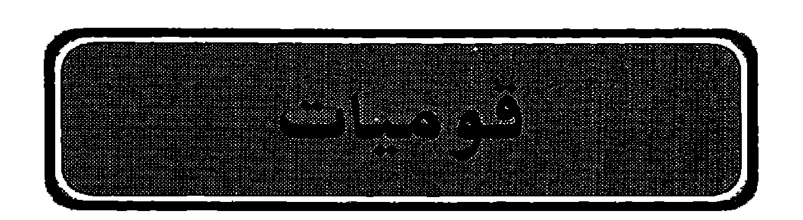
فتلاحَى القوم[2] ثم استضحكوا ودعــا مــازحــهم شــر دعــاء
قــال فلتــسلكه فــيــمن سلكوا أيهــا المولى ســبــيل الشــهــداء !

وتقــضتْ بينهم ســيــرته ومــضى كــالطيف أو رجع الصــدى
باءَ بالســخط فــلا شــيــعــتــه رضــيــت عنه ولا أرضى العــدى

وكــذا العــهــد بمشــبــوب[3] القلى[4] عــارم[5] الفطنة جــيــاش الفــؤاد
أبدًا يهــتــف بالقــول فــلا يعــجب الغيّ ولا يرضى الرشــاد

---

(١) شواظ النار اللهيب . (٢) تلاحى القوم : أى تنازعوا .
(٣) المشبوب المتقد .
(٤) القلى : الكراهية .
(٥) العارم الذى اشتد وجاوز حده .


قوميات

هيكل إدفو(*)

. . . .

يا دار بطليموس حسبك رفعةً ... وصيانة بين البِنَى وجمالا بالشامخات
حرصُ الزمان عليك وهو موكّل ... يحيلها أطلالا
أبقاك فى فلك الزمان مصونةً ... جيلان يبنيك الملوك وِصالا[1]
لم يبصروا بك موضعًا لزيادة ... إلا استزادوه علاً وكَمالا
غدروا ذوى القربى ودكوا دورهم ... وتلاحقوا عمًّا إليك وخالا
واستنزلوا الأرباب فيك ليشهدوا ... بين العباد ثوابًا ونزالا !
وضعوك أم رفعوك لما صوروا ... فيك السلاح أسنة ونبالا !
وتقحّموا الحرم الجليل أم ابتغوا ... زلفى لديه وقوة ونوالا ؟
ضلّ الذين تطاولوا فتوهموا ... أن الأوائل دونهم أفعالا
حسبوا المعابد أرضَها وسماءها ... كونين من حكم الطبيعة حالا[2]
هبطتْ من الملأ العليّ فأصبحت ... فيها الذئاب الضاريات سخالا
ننسى العداوة والصداقة والهوى ... فيها وننسى الخوف والآمالا
كذبوا فما تغنى الأنام عبادةٌ ... تذر القلوب فوارغا أغفالا
لا ربّ إلا من يمالئ شعبه ... عند الكريهة إن جفا أو مالا
لا تعبدنّ إذا أردت سيادةً ... ربًا يُعين الصيد والأنذالا
واعبد إلهًا يصطفيك بعونه ... ويذيق خصمك ذلةً ونكالا[3]
من ظنّ أن ولاته كعداته ... عند الإله . فكيف يسعد حالا ؟؟

* * *

الناس يغتال القويّ ضعيفهم ... والدهر يغتال الفتى المغتالا
قهار كل القاهرين تقاصرت ... عند مكائد من طغى واحتالا

(*) هيكل إدفوا : جزء ثانى .

(١) وصالا : أى متواصلين .

(٢) حال : أى اختلفت .

(٣) هو الإله العادل الذى يعين الأخيار ولا يسوى بينهم وبين الأشرار .

ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم أسفًا وما نقص الثرى مثقالا
مَلِكَ الفراعنة الحماة وخلّفوا للملك أعلامًا بمصر طوالا
وخلا الأكاسرة البغاة كأنهم عبروا بمدرجة الزمان رمالا
ومضى البطالسة الكماة وهذه مصر يزيد شبابها إقبالا
تتقوض الأوطان وهي كدأبها من عهد نوح تربة ورجالا
عهدٌ على اللّه القدير وذمة ألا تضيم لها الكوارث آلا
فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا قسط البنين معارفًا وخصالا
إنا لنرجوها ونوقن أنه ما كان يومًا لا يكون محالا
وستستقل فلا تقولوا إنها صمد الهوان بها فلا استقلالا

* * *

تمثال رمسيس(*)(١)

رمسيسُ أين جنودك البُسَلاء ومواكبٌ لك في البلاد وُضاء
وبشائر بك كلما طال المدى وتقدمتْ بإيابك الأنباء
والجيش حولك كالغمائم فوقهم للمُلْك والفتح المبين لواء
متهللين غداةَ أطفأ شوقهم نيلٌ أتوه وهم إليك ظماء
فنيَ الجنود فهمْ عِثيرٌ(٢) سافٍ وأنت جلامدٌ صماء
مُتخيّرَ الصحراء دار إقامة إن الليوث ديارُها الصحراء
وتكنّفتك(٣) من الخلود مسافةٌ لا يستبيح ذمارها الأحياء
. . . .
رمسيس أيةُ صخرةٍ بين الصفا(٤) قد شرّفتها هذه السيماء
رجحتْ بها التبر السبيك نفاسة ما التبر والذكر المقيم سواء
حفظت سماتك بيننا وتطلعت تبغي علاك فعازها الأجواء
وشكت مواقفة الزمان ولم يكن يعروك أنت بموقفٍ إعياء

(*) تمثال رمسيس : جزء ثاني .
(١) لرمسيس الثاني : أكبر فراعنة مصر تمثال ضخم على مقربة من البدرشين وهو التمثال الذي كانت الحكومة قد عزمت على نقله إلى القاهرة ونصبه في ميدان باب الحديد .
(٢) العثير : التراب الثائر . (٣) وتكنفتك : أحاطت بك . (٤) الصفا : الحجارة .

إلى متطوعى مشروع القرش(*)

. . . .

يا فـتـيـة الـقـرش وروّاده ... علـى سـواء المنهج الـواضـح

خـذوا هبـات الجـود حـتى إذا ... فـرغـتم من فـيـضـهـا النافح

طوفـوا على الدور ولا تتـركـوا ... بابا قـد اسـتـعـصى على فـاتح

وحـاصـروا الراكب فى ركـبـه ... واسطوا على الـسـانح والبـارح

وراقـبـوا الجـو ولا تتـقـوا ... غـوصًـا وراء الغـائص الـسـابح

وعلّمـوا من ضن بالقـرش أن ... يخـجل من عـدوانه الفـاضح

فـمن أبى قـرشًـا على أمـة ... فـذاك كـالجـانى وكـالجـارح

* * *

عيد الاستقلال السورى(*)

(ألقيت هذه القصيدة فى احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال فى سنة ١٩٣٠) .

ربعَ الشـآم أعـامـرٌ أم خـال ... اليـوم عـيـدك عـيـد الاسـتـقـلال

إنـى لأرجع بـالسـؤال أطيـلـه ... لو يملك الشـهـداءُ رجع سـؤالى

سكتـوا وأقـفـرت المنازل منهمُ ... إلا منازل من صُـوى(1) ورمـال

بوركت من وطنٍ يُجلُّ شـهـيـده ... فى حيـثـمـا ألقى عـصـا التـرحـال

وطنٍ تضـيـقُ الأرض عن أبنائه ... وإليـه مَـوْئلهم مع الآمـال

يسـتـبـدلون الخـافـقين ببـضـعـة ... منه ، ومـا قنعـوا بالاسـتـبـدال

ذهبـوا بأفـئـدة تفـرّق شـملُهـا ... شـيـعًـا ، ومـا فـيـهم فـؤادٌ سـال

* * *

(*) إلى متطوعى مشروع القرش : عابر سبيل .

(*) عيد الاستقلال السورى : وحى الأربعين .

(1) الصوى : القبور والحجارة التى تتخذ دليلا على الطريق .

يرتاد راحلُهم وخلف ركابه ... حُلُمٌ يبث به مع الحُلاّل
يصحوا على «الشاغور» من لبنانه ... وينام من «بَرَدَى» على السلسال
وتهزه من «عشتروت»[1] خميلةٌ ... تلتفُّ بين جداول ودوال
وتليه من وادى العرائش نسمةٌ ... سكرى الضُّحى رفّافة الآصال
أنّى استقرّ وحيث سار هفا به ... همسٌ من الجبل الأشمّ العالى
أين السلوّ ؟ ولا سلو لعابرٍ ... فيه ، فكيف بمولد وفصال
هذى مواطنكم وتلك قلوبكم ... وشُجِتْ[2] على الأهواء والأهوال
ما فى المدامع من شعار كنيسةٍ ... يوم الحنين ، ولا شعار هلال
فيمَ اختلافُ مصفَّدين تضمهم ... - قبل الوفاء - سلاسلُ الأغلال
أمنازعون على السماء وأرضُكم ... نهبٌ لكل منازع ومُوال ؟
كونوا - ولا نصحٌ لجيل نبوة - ... فى العالمين هدايةَ الأجيال
من بعلبكّ خذوا المثال لرأيكم ... يوم الخلاف ، وتلك خير مثال
فيها لموسى والمسيح وأحمدٍ ... أثرٌ وللوثن القديم البالى

* * *

أنتم بنو ماضٍ على أحزانه ... نعْمَ البشير لكم بالاستقبال
ماضٍ بأمثال التجارب حافل ... ومن التجارب حكمة الأمثال

* * *

النشيد القومى(*)

قد رفعنا العلمْ ... للعلا والفدى
فى ضمان السماء

* * *

حىّ أرض الهرم ... حىّ مهد الهدى
حىّ أم البقاء

* * *

(١) عشتروت : هى قرية شتورة الحديثة فما يقال .
(٢) وشجت : اشتبكت .
(*) النشيد القومى : عابر سبيل .

كم بنت للبنين مصر أم البناة
من عريق الجدود
* * *
أمة الخالدين من يهبها الحياة
وهبته الخلود
* * *
تحت أصفى سماء فوق أغنى صعيد
شعب مصر مقيم
* * *
قد حوى ما يشاء من زمان مجيد
ومكان كريم
* * *
نيلنا خير ماء كوثرٌ من نعيم
فاض بالسلسبيل
* * *
فى العروق الدماء شعلة من حميم
للعدو الدخيل
* * *
إن يكن أمسنا فى حمى الأولين
فلنعش للغد
* * *
لا ترى شمسنا غير فتح مبين
ما يدمْ يزدد
* * *
فارخصى يا نفوس كل غال يهون
كل شىء حسن
* * *
إن رفعنا الرؤس فليكن ما يكون
ولتعش يا وطن
* * *

يوم الجهاد(*)

أجل هو يوم الفدى والذممْ ويوم الجهاد ، ويوم القسَمْ

ويوم الذين دعَوا أمةً ونادوا بدعوتها فى الأمم

ويومٌ له غده المرتجى ويومٌ له سرّه فى القدم

هنا حرمٌ فى جوار الزما ن فحيوا الزمان وحيوا الحرم

هنا فليقم عهده من أقا م ، ويعزمْ على أمره من عزم

ويستقبل الهول من راضه ويرتد من خافه فانهزم

تعز الصفوف بنبذ الجبا ن كعزتها بشجاع هجم

وتُحمى الحقوق بدفع الضعيـ ـف كدفعك عن حوضها من ظلم

فليست تصان الحقوق التى حمى جانبيها ضعاف الهمم

وهيهات تعلو لنا شوكة بشكوى الذليل ، ونجوى السأم

إذا كرمتْ أمة لم تكن كرامتها من هبات الكرم

إذا استرحمت أمة خصمها فلا رحمتها عوادى النقم

* * *

. . . .

كفى لعبا أيها الهازلو ن ، فقد ملأ الخطب مصرًا وطمْ

لئن أسأمتكم كبار الأمو ر لقد أسأتنا صغار اللمم

وقد أسأمتنا رعاة تسا ق ، فأين الرعاة وأين الغنم ؟

أأصنام باغين تبغونها وأنتم تذلون ذل الخدم ؟

* * *

أأطلب حرية للعبيد وألقى بحريتى عن رغم ؟!

فماذا أقول لهذا الجبين وما عابه عائب أو وصم

وماذا أقول لهذى اليمـ ـين . وإنى بها قد صنعت الصنم

معاذ الفتوة . أنى لكم على رصد ساهر لم ينم

هو الحق ما دام قلبى معى وما دام فى اليد هذا القلم

(*) يوم الجهاد : عابر سبيل .

عيد بنك مصر(*)

ألقيت فى الاحتفال بمضى خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر

بلغتَ الشـبـاب ، فـعش وازدد — وأوح التـهـانىءَ للمنشـد
نما بك جَـدّك فى المعـجـزا — ت ، فيالك من معجـز مفرد
أفى السن كـاليـافع المرتجى — وفى المجـد كـالهـرم المخلَد ؟
وما هرم الصـخـر فى مجـده — نظيـرك يا هرم العـسـجـد
وما بنيـةٌ حـرةٌ فى الرضى — تقام ، كبنيـة مسـتعبـد
بنو مصـر فى كل عـهـد لهم — بناء على سُنَّة الموعـد
فحينًا معـابدُ فـوق الذُرى — وحينًا مصـارف كالمعـبد
بهـذا وهذا نجـارى الزمـا — ن ، ونسبق فى شوطه الأبعد
وندرك فى يومنا أمـسـنا — ونرفع شـأويهـمـا فى الغـد

* * *

. . . .

فيـا قـائمين على (حـصن مـ — ـصر) سعدتم برضوانها الأسعد
إذا قيل (بنك) فقد قيل حصـ — ـن ، نجـا بالعتـاد والمُعـتـدِ
ومَن قـال يا أمـتى وفـرى — فـقـد قـال يا أمـتى جنّدى
هنيـئًـا لكم قـادة ذادةً — يصولون صـولة مسـتشـهد
هنيـئًـا لكم (حـربكم) أنه — من الحرب فى وصفها الأحمد
لكم راية النصـر مرفـوعـة — على سـاحـة الزمن السـرمـد
تعـود لكم كل أعـيـادكم — بأجـمـل مما به تبـتـدى

* * *

دار العمال(*)

ألقيت فى دار العمال عند افتتاحها فى صيف سنة ١٩٣٥ .

حيٍّ «دار العـمـال» بالإقـبـال — وترقّبْ لهـا بلوغ الكمـال
وانتظر رافعى الدعـائم حـتى — يرفعوا بينهم عزيز المثال

(*) عيد بنك مصر : عابر سبيل .

(*) دار العمال : عابر سبيل .

رفعوا أمس ما علا من صروحٍ ... ولهم فى غد صروحٌ عوالى

ولهم فى غد من الأمر قسطٌ ... من يكن مؤمنا به لا يغالى

أيها العاملون لبيكم اليو ... م ، ولبيكُم غدا فى المجال

نعم جيش السلام أنتم إذا ما ... جرّد البغى جيشه لاغتيال

لَكُم العدة التى ما استطاعت ... أمةٌ قط تركها فى نزال

ولكم أذرع شداد ، وأيد ... من حديد ، وأظهر من جبال

ولكم فى اتحادكم رأس مال ... إن فقدتم ذخائر الأموال

ولكم صيحة يهاب صداها ... سادة فى نفوسهم كالموالى

فابلغوا بالوئام والصبر مالا ... يبلغ المرجفون بالأهوال

لا يسخّركم المسخر جهلا ... وانبذوا كل عاطلٍ مكسال

* * *

. . . .

أيها المنقذون بنية مصر ... من فتور ومن ضنى أو كلال

أنتم الكف والذراع وأنتم ... قوة فى يمينها والشمال

حظكم حظها من العلم والصـ ... ـحة والبأس والحجى والخصال

كلما نالها نصيب من الخيـ ... ـر فأنتم لكم نصيب تالى

أعجب الناس عامل فى بلاد ... صاح فيها : ما للبلاد ومالى ؟

لا تقولوا العمال حسْبُ ، وأنتم ... فى بلاد تموج بالعمال

إن مصرا تنال من غاصبيها ... أجر بخس وخدعة ومطال

وهى أرض للواغلين عليها ... سطوة أشعبية الإيعال

كل من فى جوانب النيل عانٍ ... مستغل الجهود والآمال

كلهم غارس لآخر يجنى ... ثمر الماء ، والثرى ، والرجال

وإذا ما تفرقوا طبقات ... جمعتهم جوامع الأغلال

وإذا قيل موسر وفقير ... فقصاراهما إلى استغلال

حققوا الأمر ما قضية مصر ... بعدُ إلا قضية العمال

عيد الجهاد (*)

«١٣ نوفمبر»[1] بعد ربع قرن

جددوا آل مصر عيد الجهاد ... بجهاد على المدى فى ازدياد

إنما قُدّر الجهاد عليكم ... يوم كان «استقلال» هذى البلاد

والذى أوجب الحراك على الأ ... يدى انطلاق الأيدى من الأصفاد

ليس كل الأعياد ندحة لهو ... قد تكون الأعياد لاستعداد

وقضايا السلام أطول عهدًا ... من قضايا الخصام بين الأعادى

قادنا معشر فلما تولوا ... أسلمونا أمانةَ القوّاد

ما إخال الروّاد قد سرّحونا ... بعدهم نحن معشر الأجناد

سبقونا ممهدين وقالوا ... دونكم فانهضوا بغير رقاد

قد حملنا وديعةَ الأجداد ... فاحملوها أنتم إلى الأحفاد

* * *

. . . .

صدقونى فرب صدقِ نذيرٍ ... حاط قومًا من صادق الإيعاد

لغدٌ - فارقبوه - أحوج مناً ... لاجتهاد فى أمرنا واتحاد

قد بدا حولنا مدى الحرب فينا ... ومدى السلم حولنا غير باد

إنما الهول فى غدٍ فاتقوه ... واستعدوا له بأطيب زاد

ما الوغى والسيوف مُشتجرات ... كالوغى والسيوف فى الأغماد

من حروب على اللسان صراح ... وحروب مكنونة فى الفؤاد

* * *

(*) عيد الجهاد : بعد الأعاصير .

(١) يتشاءم الناس من رقم ١٣ ولكن ذكرى الجهاد قد أسقط أن تجعل من هذا الرقم يوم عيد .

وأباطيل فتنة وضلال وعقابيل محنة وفساد
كم تلاقون فى غدٍ من دعاوى صبغوا لونها بكل حداد
ووباء الأخلاق من كل فج وبلاء الأرزاق فى كل واد
قسم للحطام فى غير عدل وادّخار له بغير سداد
بين كظّانَ أثقلت جانبيه تُخمٌ جمة ، وجوعان صاد
إن وقيتم بلادكم من أذاها فانعموا بعدها بعبقى الجهاد

* * *

عيد النيروز (*)

أهلا بنيروز وليد أهلا بميلاد سعيد
يومٌ جديدٌ . قلت بل عهدٌ على مصر جديد
عهدٌ تصان كرامةٌ فيه ، وتتبعها جهود
لا تستذل ولا تسا م على الهوى سوم العبيد
وغداً ستنقشع الغيو م فلا بروق ولا رعود
ما كان غير الصالحـ ين لهم قرار فى الوجود

* * *

مصر الكنانة كعبة قرت على حصن وطيد
لا تلبث الأصنام فيـ ـهـا أن تنكّس أو تميد
كم ذا أراد بها الأذى باغ ، وكاد لها حسود
يمضى يعدد ما يريدْ والله يفعل ما يريد
حوض له من قومه ورد ، وما أحلى الورود
إن لم يذد أبناؤه عنه ، فمن عنه يذود ؟
سمرٌ وسودٌ أين من صبغيهما حمر الجلود
شتان ما هم فى الأصو ل ، وفى المهود وفى اللحود

* * *

(*) عيد النيروز : الاحتفال بعيد النيروز نشرت بالعدد ٧٣ من الأخبار الجديدة بتاريخ ١١ من سبتمبر ١٩٥٢ .

يا صحبة التوفيق وُفـ ـقتم إلى النهج السديد
حييتم النيل المبا رك واحتفيتم بالصعيد
عيد الوفاء إذا استعيـ ـد فمن وفاء المستعيد
عيدٌ له فى ذمة التا ريخ توفيقٌ حميد
عيد الأوائل والأوا خر ، والخمائل والورود
العالَمية وصفه المعـ ـهود فى كل المعهود
من فارس عنوانه وصداه فى الدنيا بعيد
كم صان مصريون ذكر اه وحياه هنود
وترنّمت فيه العرو بة بالقصيد وبالنشيد
ما بين شعر البحتر ى وبين نثر ابن العميد
أم يؤلف بينها من حيث فرقها الجدود
ما أحوج الدنيا إذا اختلفت إلى عيد وحيد

* * *

فى كل عام تحتفو ن بمولد اليوم الجديد
بالنيل غير مقسم فرد له ملك فريد
ملك على دين الإخا ء ونعمة العيش الرغيد
لا راغم فيه يسا د وكل من فيه يسود
وتراه ضاع وظنّه ألا يضيع ، ولا يبيد

* * *

يا مصر يا بنت الخلود يا معقل المجد التليد
أين الدين جزوك جا زية الخيانة والكنود
من كل مسخ هازل فى زىٍّ جبار عنيد
يحكى الأسود تجبّرا وكذاك عربدة القرود
طاغ عليك ، ومنك لا منه الصوالج والبنود
وكأنما فى جوفه نار تلظّى بالوقود

أبـداً تـنـادى كـلـمـــــــــا أطعـمـتـهـا هل من مـزيد
لا نصح يجـــدى فى هذا يتـــه ولا عـــتبٌ يفـــيـــد
أيـن الـقـــــرار بـه ، وأيـن اليـوم مـوكـبـه المجـيـد ؟!
ولّى وولىّ صــحــبــه لا غــائبين ولا شــهـود
من كل مــغلوب على كــمــد ومنبـوذ شـريد
اللّه أقـــوى قـــوةً من كل شـيطان مـريد
كم ذا اسـتـعـز ببـأسـه فـأذله البـأس الشـديد
بأس الجنود العـــامـلـ ـين يقـــودهم رب الجنود

* * *

النيل أقـبل من بعـيـد وكـــأنه حـبـل الوريد
مــتـدفقٌ بين الســدو د ، ولا حـدود ولا قـيـود
فـيض من السـودان مـو رده وقـبلتـه رشـيـد
مـتـجـدد فى كل عـا م عند مـوعـده يعـود

* * *

الفالوجة(*)(١)

. . . .

أجل هى مصر التى نعهد إذا نفـد الدهر لا تنفـد
لهـا مورد من حـماة الذّمـا ر . يسـعـفـه أبداً مـورد
فللّه مـصـر ومـا جـددتْ وأبناء مـصـر ومـا جـددوا
إذا مـا ارتضى الموت أبطالهـا فـرضـوانهم أنهـا تخلد

(*) الفالوجة : بعد الأعاصير .

(١) تحية لأبطال «فالوجة» الذين قاوموا الحصار فى معركة فلسطين على قلة الموارد والذخائر والأسلحة والحصون .

أعـــادوا لـهـــا ســـيـــرة الأولـ ـــين ، والعود من مثلهم أحمد
تحن الرمـال التى خـضـّبـوها وينبض فى جـوفـهـا الجلمـد
فكـم لعلىّ ، وكـم لصــــلا ح جنودٌ بساحتها استشهدوا
وكم قـبل ذاك لرمـسـيـسـهـا كُـمـاةٌ على صـخـرها وُسِّـدوا
مـــعـــودةٌ أن تجـــيـب الـدعـــا ء إذا مـا دعـا المجـد والسـؤدد

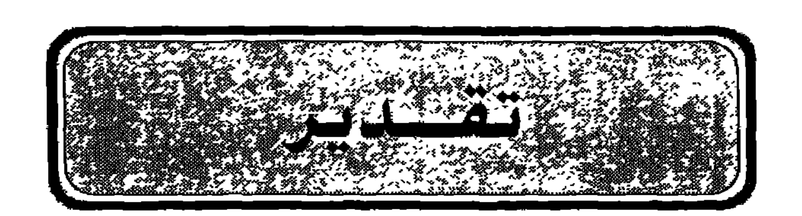
. . . .

بيوم مجيد ، لأمس مجيد وإن غـــداً بعـــده أمـــجـــد

* * *

بنو مـصـر للّه مـا جـاهدوا وفى الحق والخير ما أعـتـدوا
أولوا البـأس لكنهم عـصـبـة إذا ما اعتدى البأس لم يعتدوا
ومنهم لكل ضـعـيف حـمى وفـــيـــهم لكل أخ مُنجـــد
أغـاثوا العـروبة فى مـحنةٍ رمــاها بهـــا الزمن الأنكد

* * *


تقدير

شكسبير (*)

بين الطبيعة والناس

أبا القـــوافى ورب الطرس والقلم ... مـاذا أفـادك صـدق العلم فى الأمم ؟
لم يعـرفـوك ولم تجـهل لهم خلقـا ... هذا نصيـبك من دنياك فـاغـتنم !
قـضّيت دهرك تلهيـهم وتضحكهم ... يا للعجـائب من أضحـوكـة القـسم
لا يوثق الهـر رئبـالا ليـضـحكه ... فاعجب من الناس ، لا تعجب من البُهم
هـلا رأوك عـلـى قـــــرب بـنـظـارة ... ترى الحجى رؤية الأسـوار والأطُم ؟
ولو رأوك بتلك العين لانخلعت ... رقـابهـم دون أدنى تلكم القـمم

* * *

شــرعتَ للناس وِردًا لا انقطاع له ... يوم انقطعت عن الآفـات والنعم
والميت قد ينفع الأحياءَ ما عَمروا ... وليس ينفعـه الأحـيـاء فى الرَجم[1]
إنْ يذكـروك فـمـا جـاءتك ذكـرتهم ... فى الغـابرين ، ولا سـرتك فى الرمم
أو يكبـروك فـمـاذا قـول مسـرجـة ... للشـمس : هذا ضياء الكوكب العلم
أو يشكروك فـمـا بروا ولا ندمـوا ... أين الجهـــالة من بر ومن ندم ؟
ارجعْ إليهم ، وقل فيـهم ، وغنّ لهم ... أينظرونك إلا نظرة القـــدم ؟
مـا أكـثـر البـر باسم لا غناء به ... وأندر البـــر بالأرواح والنسم
لا يقـدر الناس يومًـا أجـر سـادتهم ... وإنما يقـــدرون الأجــر للخـــدم
أجـر العظيم زَمـاع[2] فى جـوانحـه ... يجـزيه بالأمن أحـيـانًا وبالألم

* * *

وصـاحب لك أرخـصتَ الفـؤاد له ... والحبُّ أقــــرب من إلّ ومن رحم
فــرد من الناس لو شـــد الوفــاء به ... أهونتَ غـدر جـمـيع الناس بالذمم
فـقـدته وهو مـوجـود على كـثَب ... يا مـوجد الحسن أسـرابًا من العـدم
لم يُغن قلبك عنه مـا يزخــرفـه ... عن صورة الحسن فى الأوصاف والشيم

(*) شكسبير بين الطبيعة والناس : جزء ثالث . ٣٣ (٤٢ فقرة ١٥٥) .

(١) الرجم : القبر . (٢) زماع : عزم وبأس .

بل زاد شجوك أن تلقى لها مثلاً		حيًا ، على أنه فى البعد كالحلم
أعناه باللهو عما أنت ضامنه		من ليس يغنيك عنه بالنهى العمم
هلا سلكتَ إلى قلب الحبيب وقد		عرفتَ سر قلوب الناس كلهم ؟
هيهاتَ لا تملك الألباب ما عرفت		أين المنجم من شهب ومن رُجُم
أرضٌ تراها ولم تملك مقالدها		لتلك أقصى لعمرى من ذرى إرم

* * *

أبا القريض وحسبُ القول معجزة		بشكسبير وحسب العرب والعجم
لو فاخر الكون أكوانًا تناظره		كنت الفخار فأبدت ذلك العقم
ما الفخر للكون إلا بالحيلة وما		من بضعة هى أحيا منك فى الأدَم[1]
لما رأت بك عمياءُ الحياة جلت		ماليس يجلوه نور الصبح من ظلم
(حتى الخرافات تزجيها فنحسبها		من خلقة اللّه لا من خلقة الوهم)[2]
نكاد إن لم يجدها الطرف ماثلة		فى الأرض نقدح فيه قدح متهِم
تقاربت عندك الأقدار والتهمت		حياتُك الخلق طرًا كل ملتهم
فما احتفلت بأمر هائلى جلل		صعب المرام ولا أزريت باللمم[3]
(مثل الطبيعة تذكى الشمس ساطعةً		فى عُلْو ، إذكاءها للنار فى السلم)[4]
كم ترجم الناس عن فحوى حقائقها		أنت تنقلها نصًا إلى الفهم

* * *

أبا القريض ألا بوركت من رجل		إن الرجولة فى الأقوال والهمم
لقد خدعت خداعًا لن يضل به		إلا الذكى الفؤاد الصادق الحكم
وقد خلدتَ ولكن مثلما خلدت		تلك الشخوص التى أنشأتَ بالقلم
هذا قصاراك فى الدنيا وأحسبها		تلهو بنا ، بيد هوجاء ، لا بفم
مالت على القوس ترمينًا على غرر		من الظلام ، بلا وَرى ولا نغم
يا ليتها كلمتنا وّهى رامية		أو غلّها شلل أحرى بذا البكم

---

(١) الأدم : جمع أديم وهو الجلد .
(٢) الوهم : هذا المعنى لها زليت الناقد الإنجليزى .
(٣) اللمم : الصغائر .
(٤) هذا المعنى مقتبس من أمر سون .

مـجـاورَ الموت هل ألقـيت فى يده ... بقـيـة منك لم تُقـرأ ولم تُشم ؟[١]

ألقيت فى الأرض جمرًا لا ذكـاء له ... فـأين أفلت ذاكى ذلك الضـرم ؟

أمنت قـرب ثراها واتقـيت يدًا ... تمس منك بقـايا الأين والسـقم

والأرض أمك والإنسـان بعـدُ أخ ... وقـد يمد شـقـيق كف منتـقم

لقـد لحـقت وكم فى ذاك من عـجب ... بزمـرة الصخـر ، فـانزلْ ثم فى حـرم

مـا أبلغ الموت فى صـمت رمـاك به ... يا أبلغ الناس فى صـمت وفى كلم

* * *

ذكرى سيد درويش(*)

فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

اذكـروا اليـوم سـيِّـدا ... واحـفظوا الذكـر سـرمـدا

وتـغـنـوا بـحـمـد مـن ... قـد تـغـى فـاسـعـدا

مـن يـكـن ذاك أمـسـه ... يبـتـدئ مـجـده غـدا

* * *

كـان لـلصـوت مـالـكا ... كـيف لا يملك الصـدى ؟

قـد حـوى السـمع شـاديًا ... وسـيـحـوبه مُـخْلَدا

أخـلـد الـنـاس مـن إذا ... قـيل تاريخُـه شـدا

عـاش لـلـفـن ، والـفـنو ... ن مـصـابيح لـلهـدى

مـطلع الـنور ، نبـعـهـا ، ... جـاوز الشـمس مـصـعـدا

من يعش فى السـمـاء هيـهـ ... ـات لا يـعـرف الـردى

* * *

جـددوا اليـوم ذكـر من ... قـد تـغنّى فـجـددا

الـذى صـوّر الحـيـا ... ة هـتـافًـا مـرددا

عـلّـم الـنـاس كـيف يعنـو ... ن بـالـلحن مَـقـصِـدا

مـا ابتـغـوا قـبله المعـا ... نـىَ فـى الـقـول مـسـندا

وانثـنـوا يَعـجـبـون لـلطـ ... ـيـر لمـا تـغـردا

(١) تشم : شام البرق نظر إليه أين يذهب وأين يمطر .

(*) ذكرى سيد درويش : عابر سبيل .

ولهمس النسيم فى الـ ... ـغصن لما تأوّدا

والدراريّ والسنا ... والأزاهير والندى

سمعوا كل ما انطوى ... من سرار وما بدا

سمعوا الكون بيّنا ... والمقادير شهّدا

فُتح الباب كله ... بعد أن كان موصدا

ربما جاز فاتح ... فى المدى ما تعمدا

* * *

إنما الفن فى الشعو ... ب شبابٌ له الفذى

فيض ما زاد من شعو ... ر وما هام مبعدا

سورة فى عروقها ... يتقى بأسها العدَى

لا أنينٌ ولا طنينٌ ... ولا ضجة سدى

أو نديم لشارب ... بالطلا قد تزودا

أو بكاء كما بكى ... سائل يطلب الجدى

رحم اللّه سيدا ... كان للفن سؤددا

ليت أحياءنا الأولى ... سبقوا الموت موعدا

لحقوا - وهو فى الثرى ... منه روحا تمردا

وارتأوا مثل رأيه ... واقتدوا مثلما اقتدى

أكبر الظن أنه ... جاور البحر فاهتدى(١)

مفلحٌ من يكون أستا ... ذه البحر مزبدا

إنما اللحن ترجما ... ن عن النفس ما عدا

مبدع وهو ناقل ... كلما قال أوجدا

واصف لن ترى له ... عاذلا أو مفندا

هكذا كان سيد ... صادق الوصف مرشدا

ما سمعنا لشعب مصـ ... ـر على ما تعددا

واصفًا كان مثله ... مستجابا مؤكدا

كل رهط أعاره ... لحنه أسلم اليدا

---

(١) كانت نشأة الموسيقار الكبير فى ثغر الإسكندرية .

وحبـــاه بســـره ناطق الوسم منشـــدا
ليس من عـــامل ولا عـــاطل راح أو غـــدا
أو ســـرىٍّ مـــجلل أو فـــقـــيـــر تجـــردا
أو قـــوى مـــزمـــجـــر أو ضـــعـــيف تنهـــدا
أو دعـــاء دعـــاه إلا عـــرفناه جـــيـــدا
هكذا يســـمع الخليـــقـــة من يســـمع الصـــدى

* * *

إنمـــا الـلـحـــن مـنطـــق وحـــدّ الكون إذ حـــدا
فـــيـــه ، لا فى اللغـــان ، يبـــدو نظيـــمـــا منضَّـــدا
اســـمـــعـــوا منه فى الضـــمـــائر وحـــيًّـــا مـــؤيدا
حـــيـــثـــمـــا يقـــصـــر الكلام ويمشى مـــقـــيـــدا
وارفـــعـــوا الفن واحـــذروا مـــهـــبطا منه أو هدا
واجـــعـــلـوا من تـراث درويش للفن مـــعـــبـــدا
إنـه مـــهـــد الخطى فـــابـلـغـــوا أنـتـم المدى
رحـم الـلّـه ســـيـــدا كـــان فى الفن ســـيـــدا

* * *

تكريم عامرٍ (*)

بلدة الشـــمس والجـــبـــال كـــيف لا تنجب الرجـــال ؟
أنجـــبت مـــثل عـــامـــر وهو فى الهـــمـــة المثـــال
الذى فى جـــهـــاده ســـبق القـــولَ بالفـــعـــال
والذى كـــان أول الصـــف فى حـــومـــة النضـــال
عند مـــا نودى «الدفـــاع» بدا فـــارسَ المجـــال
وتلا من تلا وصـــال بنو النيل حـــيـــث صـــال
أشـــجـــع الناس باذل هـــزم الشـــح والمـــطـــال
كـــرم النفس كالشـــجـــاعـــة من أندر الخـــصـــال

(*) تكريم عامر : عابر سبيل – أنشدت فى احتفال أقيم لتكريم السرى الأسوانى الكبير إبراهيم عامر «باشا» .

. . . .

كـــــرمـــــــوا الـذروة الـتـى / رفـــعـت هامـــــة الـهــــلال
رفـــــعـت أرؤسًـــــا وطـا / لـت مـع المجــــد حـــيـث طال
واحـــمــدوا فى احـــتــفــالكم / أجـــدر الناس باحـــتـــفـــال
الـعـــصـــامى فى الغنى / والـعـظـامى فى الخـــــلال
والـذى جـــــدّ وحـــــده / فـــشـــأى عـــصـــبــة الرجـــال
والـــذى كـــل درهـــم / فى تجــــاراتـه حـــــلال
زانـه الـلّـه بـالأمــــــا / نـة والصـــدق فى المقـــال
والمضــــاء الـذى يجـــدّ / ولا يـعـــــرف الـكـلال
والـنـظـام الـســـــوىّ فـى / غـــيـــر ضـــيق ولا اخـــتـــلال
يـتــــبـع المال صـــــاغــــرًا / من لـه الـعــــزم رأسُ مــــال

* * *

لـقـب حـــــــازه وكـم / حـــاز مـن قـــبـلـه ونـال
لـم يـزد فـــــضـلـه بـه / فـــهـــو ذو الـفـــضـل لا جـــدال

* * *

كـــرّمـــوه تكـرّمـــوا / خـــيـــر دار ، وخـــيــــر آل
إن أســـوان مـــا خـلـت / قط من مـــعـــدن الكمـــال
صـــخـــرها جـــوهر الخلو / د وأنموذج الجـــمـــال
وبـــنـــوهـــا ، وأنـــتُـــم / من بنيـــهـــا - بخـــيـــر حـــال
لـكـم المجـــــد لا يـزا / ل من الأعـــصـــر الخـــوال
إنما المجـــد بـالـعـــلا / لا جنوب ولا شـــمـــال

* * *

يـا صــــديقى ويـا ابـن قـــو / مى ، وجـــارى على اتصـــال
أقـــرب الـقـــرب بـيـنـنـا / شـــيـــمـــة فـــيـك لا تنال
شـــيـــمـــة النبل فى اســـتـــقـــا / مـــة طبع وفى اعـــتـــدال
شـــيـــمـــة الـعـــزة التى / لا يغـــالى بهـــا اخـــتـــيـــال
إنهــــا جـــيــــرة لهــــا / أبعـــد الناس مـــســتـــمـــال
لا تـزال غـــــانمـا بـهـــا / هـانـئًـــــا فـى هـدوء بـال
وحـــــــوالـيـك دولـة / من مـــحـــبـــيك لا تدال
تـتـلـقـــاك نـعـــمـــة / أبـد الدهر فى اقـــتـــبـــال

ثناء على ماهر (*)

ثناء الكرام على ماهر[1] ... ثناءٌ على الرجل القادر
على رجلٍ زاهد فى الثنا ... ء إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله ... فيقبل فى جحفل زاخر
ومن كلِّ أيامه صالحا ... تٌ لحفل بتكريمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفى ... ولا حيرة فيه للشاعر
تجىء مدائحه الصادقا ... ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ... ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثل أرقامه ... حقائقُ للحاسب الحاصر
وآراؤه فى ثنايا غدٍ ... كرؤية عينيه للحاضر
وباطنه فى مواعيده ... كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق فى بأسه ... تمازجها رقة الساحر
وإنصافه مأمن للعدى ... وإِخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه فى قضاء الفرو ... ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب ... فليس بوان ولا قاصر

* * *

أولى الأمر طوبى لكى يومكم ... وطوبى لكم ذكرة الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا ... بها نهج مبتكرٍ باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا ... مدى الحمد من وطنٍ قادر

* * *

(*) ثناء على ماهر : أعاصير مغرب .

(1) من قصيدة فى تكريم الدكتور أحمد ماهر (يوليو ١٩٣٩) .

الغزالى والخيام(*)(1)

نكرّمه ، نكرّمه ... وما نرويه نعلمه

ولم ننشئ له فضلا ... ولكنّا نترجمه

ومن ذا مثل إبرا ... هيم ذو فضل نعظّمه

وذو سمت نوقّره ... وذو رأى نقوّمه

فتى ترضى سجاياه ... ويصدق قلبه فمه

تساوت عند مطريه ... مزاياه وأنعمه

وحب الخير فى دمه ... فكيف يخونه دمه ؟

له مجدٌ يؤثّله ... بمسعاه ويدعمه

فقد يغنيه أحدثه ... وقد يغنيه أقدمه

ولكن ، ليس يستغنى ... بحظ لا يتممه

تكنى بالغزالى(2) ... فلم يتعب منجمه

ولو مال إلى الخيّا ... م لاقاه مخيّمه

أديبٌ ينشر التبيا ... ن آيات وينظمه

عماد الجمع منبره ... وزين الطرس مرقمه(3)

وللفنان فى ناد ... يه مغناه ومغنمه

علت فى السعد أنجمه ... وفى العلياء أسهمه

* * *

تعالى اللّه هاديه ... إلى النعمى وملهمه

ونعم الفضل فضل اللـ ... ـه بالقسطاس يقسمه

* * *

(*) الغزالى والخيام : بعد الأعاصير .

(1) ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال بتكريم الأديب السياسى الأستاذ إبراهيم الدسوقى أباظة .

(2) نسبة إلى غزالة اسم بلدته .

(3) المرقم : القلم .

فى محراب المطران(*)(1)

يومٌ تألّق واستضاء ... يوم تعطّر بالثناء
يوم أطلّ على الحمى ... والفضل مرفوع اللواء
هذا وفاء العارفـ ... ـين لشاعر عرف الوفاء

* * *

«مطران» محراب القر ... يض ، خليلٌ ناديه الحميم
قدسٌ يزين وقاره ... أنس يهش له النديم
خلقان لم يتجمعا ... إلا لذى فضل عميم

* * *

ماذا أعدّد من سجا ... ياك الحسان ، وهنّ شتى
أدبا وعرفانا وآ ... لاءً محبّبة وسمتا
وإذا أطلتُ فغاية الإ ... طراء أنك أنت أنتا

* * *

ناداك أبناء العرو ... بة باسم شاعرها المجيد
فألٌ تُجدده الطوا ... لع كل يوم فى سعود
الآن فاهنأ بالعرو ... بة وهى «جامعة» تسود

* * *

أنطقت بالعربية الفصـ ... ـحى أعاجم شكسبير
ونقلتهم نقل الأما ... نة فى الكبير وفى الصغير
بدّلت فى لغة اللسا ... ن ولم تبدّل فى الضمير

* * *

ودعمت للتمثيل كعبـ ... ـته فعاودها المزار
صفرت فحين حللتَها ... حفلت بحج واعتمار
لقنتهم فتلقنوا ... منك التلاوة والحوار

(*) فى محراب المطران : بعد الأعاصير .

(٢) فى تكريم الشاعر الكبير خليل مطران .

وجمعت فحوى «الاقتصا د كما تنزّل فى كتاب
قلمٌ يعلّم علمه ويدٌ تجود بلا حساب
فى العُرف والعرفان سا ثلك المؤمّل مستجاب

* * *

ذم اليراع قضيتها فى كل ميدان دعاك
ليس النظيم أو النثير قصار ما استرعى هواك
إن «الجوائب» و«المجـ ـلة» فى الصحافة شاهداك

* * *

لما سبقت إلى الجد يد سبقت منه إلى كمال
أتعبتَ خلفك من عدا فى العدوتين على ضلال
لم يدركوك وإن جروا من بعد شوطك فى المجال

* * *

حررتَ أوازن القصيـ ـد فزاد فى الميزان وزنا
وتوسّعتْ فيه البحو ر فأرسلت دُررًا ومُزنا[1]
هذى الثلاثيات حقـ ـك من لدنك ومن لدنا

* * *

وأقمتَ فى ديوانك العا لى أميرًا لا تُجارى
أولى الربوع بشاعر آفاق أنجمه العذارى
لا يبتغى سكنًا سوا ها حيث حلّ ولا مدارا

* * *

واللّه لو وفّوك بالتـ ـجديد حقك من ثواب
لم تُوف عهد كهولة إلا رددت إلى الشباب
متجدد الريعان فى ظل الخلود المستطاب

* * *

لكنّ حقك فى الشبيـ ـبة شائعٌ بين القلوب
يدعو بشعرك من شدا أو عنك فى النجوى ينوب
هبةٌ قضوك ديونها والحر سدّاد وهوب

(١) المزن السحب . وهذه القصيدة المنظومة «ثلاث ثلاث» حق للشاعر الذى سبق إلى هذا النوع من التجديد فى القوافى وتقسيم المقطوعات .

أنعم بمحفلك الذى ... وسع العروبة فى مكان
كرمتْ بإكرام النُّهى ... وعلت بإعلاء البيان
هى ترجمت بك عن فضا ... ئلها ، فنعم الترجمان

* * *

عيشا معًا متعاهد ... ين وأبلغا العهد التمام
منها لك الآذانُ صا ... غية ، ومنك لها الكلام
متقابلين على الرضى ... متلازمين على الدوام

* * *

كوكب الشرق(*)(1)

هلّل الشرق بالدعا ... كوكب الشرق فى السماء!
عاد فى حلة الضيا ... ء ، وفى هالة البهاء
لم يَغب هاجرًا ولـ ... ـكنْ كما غرّبت ذُكاء
لا تخافوا على مطا ... لعه سطوة المساء
واهبُ النور لا يدا ... ريه عن نوره عشاء
كوكب الشرق فى أما ... ن من الليل لا امتراء

* * *

يا عروس السماع لبا ... ك من يسمع الدعاء
وشفى أنفسًا لعينيـ ... ـك تسترخص الفداء
انظرى فى وجوههم ... تعرفى نضرة الوفاء
كلهم ود لو يُغنى ... من البشر والصفاء
لو بقدر السرور نشـ ... ـدو غلبناك بالغناء !

(*) كوكب الشرق : بعد الأعاصير .

(1) تحية لمطربة الشرق الآنسة «أم كلثوم» لمناسبة شفائها وعودتها من الأقطار الأوروبية .

أم كلثوم يا بشيـ   ـرًا من اللّه بالرجاء
أنت من وحيه ، وللـ   ـه فى الفن أنبياء
ذلك الصوت - صوتك الـ   ـعذب - من عرشه نداء
فيه سرٌّ من جنة الـ   ـخلد لكنه ضياء
فيه ما يرفع الحجا   ب وما يكشف الغطاء
فيه أنس لمن يشا   ء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجى سلا   م وللمشتكى عزاء
فيه حرز من الهمو   م وعونٌ على القضاء
أى نفس إذا تر   نمت لا نهزم الشقاء ؟
إنه قوةٌ إذا   عز من قوة نجاء
إنه من غنى إذا   حُسب الصوت من غناء
إنه ثروة لمصـ   ـر وما أجزل الثراء
مهرجان لعيدها   حيثما رفرف اللواء
وعلى الجرح إن شكت   بلسم ناجع الشفاء

* * *

أيها الكوكب الذى   أسعد الأرض باللقاء
ر دّدى الطرف فى الفضا   ء ، وما أرحب الفضاء
واسأليه سؤال من   يلحن الطير فى الهواء
هلى سرى فيه مثل صو   تك فى الحسن والنّقاء
فى قديم من الزمان أعـ   ـنى وفى حاضر سواء
لا أحاشى من الرجا   ل قبيلا ولا النساء
لا تجيبى . أنا المجيـ   ـب ، ولم أغلُ فى الثناء
أنت كالشمس لا تُعدّ   د فى هذه السماء

موسيقى خالد(*)(١)

أبناء مصر تذكروا ، وتذكروا .. ما مصر خالدةٌ لمن لا يذكر
وإذا جرى ذكر الفنون فميزوا بالحمد فنا بالجمال يُبشّر
ذهب الزمانُ زمانُ من لم ينعتوا بالمجد إلا من يصول ويقهر
إن الذى يُعطى النفوس عزاءها لأحقُّ بالذكر الجميل وأجدر
لَيس الغناء صدًى ، ولا أنغامه خفقات أصوات ، تمر وتعبر
إن المغنّى – إن علا استقلالكم – بين البناة مؤسسٌ ومعمّر

* * *

لله «سيد» الذى غنّى لكُم زمنًا ، فقال العارفون «مصوّر»
وصف ابن مصرَ فليس يدرى سامعٌ أصغى إليه : أسامعٌ أم مبصر
إن تسمع الحوذىَّ منه رأيته عجلا ، فتُيْمن فى الطريق وتيسر
أو تسمع النوتى منه حسبته فى النِّيل يُقبل بالشراع ويُدبر
أو تسمع الريفىّ منه لمحته فى الحقل يحصد فى الأوان ويبذر
أو تسمع الجندىّ منه نظرته وعلى أسرّته الشعار الأخضر
وإذا «المسارح» راجعت أيامها لاذت بفرد منه لا يتكرر

* * *

قالوا تفرنج بالغناء وإنما هو مؤثر فى الفن لا متأثر
عرف الأغانى واللحون كما جرت فى عُرف من نطقوا بهنّ فعبروا
أم إذا غنَّت فليس غناؤها لغو المجانة ، بل معان تؤثِر

* * *

قل «سيدًا» فإذا ذهبْت مترجمًا علموا هنالك أنه «المايسترو[٢]»
هى من مصادفه الحروف وربما سبقَ الحروفَ بها دليلٌ مضمر
سمةٌ على كل اللغات سميُّها للسبق فى الفن الجميل ميسّر

* * *

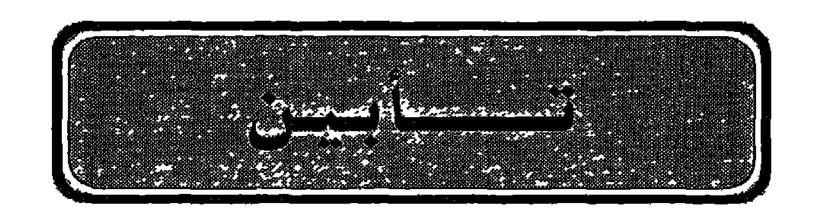
يا نخبةً قدروا الجميل لأهله دوموا على عهد الوفاء وقدّروا

. . . .

(*) موسيقى خالد : بعد الأعاصير .

(١) نظمت هذه القصيدة لمناسبة الذكرى الثانية عشرة لوفاة الموسيقى المجدد الشيخ سيد درويش .

(٢) المايسترو : الإيطالية «ترجمة سيد أو أستاذ» .


تـــأبيـن

ذكرى الشهيد(*)

(رثاء محمد فريد)

. . . .

دنيا نزاولها ونحن كأننا ... من غير طينتها نصاغ ونخلق
محجوبة المرمى ، فما لشرورها ... تعتاد حاسره الوجوه وتبثق
تمشى على الأبدىّ من أشواكها ... ونتاجها الأبدى عنا مغلق
وكأنما الدنيا سرابٌ سرمد ... لا يُرتوى منه ، ولكن يُغرق
سلواك فيها حين يخفق عامل ... ترجوه ، أن صداه قد لا يخفق

* * *

أفريدُ لا يلمم بسيرتك الردى ... أبدًا ولا يبرح سلاحك يُمشق
ما كان ذاك العمر إلاّ وقعة ... الدهرُ حومة حربها لا الخندق
والناصرون الحقّ جيش واحد ... متجمعٌ فى مدّه متفرق
الأنبياء الصالحون جنوده ... والحق بيرقه ونعم البيرق
لا ييئسنك أن قضيت فإنه ... جيش بموت غزاته لا يُمحق
ما زال مطّردا فقِبلك فيلق ... شراعوا لهاذمه[1] وبعدك فيلق
خير الجوانب أن تكون بجانب ... أضداده أسرى وإن لم يوثقوا

. . . .

* * *

(*) ذكرى الشهيد «رثاء محمد فريد» الجزء الثالث . ٢٢٨ (٣٤ فقرة ١٥٣) .

(١) اللهاذم : السيوف القاطعة .

ذكرى الأربعين (*)[1]

الأربعون

أمضيت بعد الرئيس الأربعون؟ ... عجبًا كيف إذن تمضى السنون

فترة «التيه» تغشّت أمة ... غاب موساها على «طور سينين»

كل يوم ينقضى نفقده ... وهو ملء الصدر من كل حزين

تكبر البلوى به حين مضت ... والبلايا حينما تمضى تهون

كيف ينسى الناس من لم ينسهم ... يوم تُنسى النفس والذخر الثمين

لم يزالوا كلما قيل لهم ... ذهب الموت به ، يلتفتون

. . . .

خرج المدفع يطوى مدفعًا ... الأساطيل اتّقته والحصون

ساكنًا بين يديهم بعد ما ... زلزل الشرق على المغتصبين

حوله من عسكر أو عزّل ... جيش أجناد له متبعون

. . . .

ليس يبكى خطب سعد يائسٌ ... أين من سعد ضعافٌ يائسون ؟

إنما يخلق أن يبكيه ... من أصابوا منه عزمًا لا يلين

لم يصب منه نصيبًا من هوى ... خائنَ العزم ، فما كان يخون

أىْ نذيرَ الحق من وادى الردى ... قم فأنذرهم عساهم يعلمون

. . . .

ألق للتاريخ ما يكتبه ... أنت لا يلقى عليك الكاتبون

صفحة سطرتها أنت فما ... فى ثناياها سطور يمّحين

(*) ذكرى الأربعين : الجزء الرابع .

(1) نظمت هذه القصيدة للاحتفال بتأبين الزعيم العظيم سعد زغلول .

قل له ، والدهر يحنى رأسه   والطوايا شاهدات والعيون
أنا مصر ، وهى فى سؤددها   أنا مصر ، وهى فى الأسر سجين
أنا نجّيت لمصرٍ نفسها   ضيّعتها بين كفران ودين
أنا ألقيت على عاتقها   حملها المطروح بين الآخرين
فاسألوا عن صيدها أو غيدها   وعن القبط بها والمسلمين
وعن الموسر والعافى بها   وعن الآباء فيها والبنين
واسألوا عن عالم أو جاهل   وأصيل من بنيها أو هجين
تجدوا مصرًا ولا تستمعوا   غير مصر فى دعاء وحنين
جُمّعت فىّ نفوس فوقت   فى النبيين الهداة المصلحين

. . . .

يوم منفاك وهل كان سوى   يوم بعث لبنيها أجمعين
ضُربت مصر فكانت ضربة   ذادت النوم وطاحت بالسكون
أيها الغادرون بالقيد لها   قيدوا الآن ! ألستم قادرين ؟
الرحى دارت على أقطابها   واستوى الطاحن فيها والطحين
بأسكم ما عهدت أحرارها   من قديم ، وهى ما لا تعهدون

. . . .

إن بكت مصر عليه شجوها   إننى بالشجو وحدى لقمين
رزئته النفس واللب وما   يشتهى الراوى ويبغى الدارسون
لم يكن بالأب إلا أنه   كان نعم الأب فى رفق ولين
كم سعى ساع إليه ووشى   ومقامى عنده العالى المصون
يا هدى الأمة يا نعم الهدى   يا خدين الصحب يا نعم الخدين
أنا جبارك[1] لا تعهدنى   ذلك الجبار فى الدمع السخين
لست أنسى فى «وصيف» سامرًا   لك كالطير أظلتها الوكون
إذا تُلاقينا على مهد الرضى   والأحاديث مع الليل شجون
نحقر الداء وترعى أمرنا   إن غفونا أو غدونا مصبحين

. . . .

(١) كان رحمه الله يلقب صاحب الديوان بالجبار .

يوم ودعـــــتك ودعت أمـــرأ ... يملؤ الدنيـــا ويقـــضى ويدين
وأحـــيـــيك لألقـــاك غـــدًا ... حـــجـــرًا يعلوه نوار الغـــصـــون !
عــجـبًـا لا ينقـضى من عـجب ... وفـــتـــونا ليس يبلى من فـــتـــون
أهو ســعـــد ذلك الشـــاوى هنا ... أهو ســعــد ذلك القـبــر السـدين ؟
عـــجــــبت بادرتى ثم وعت ... فـــيــه رمـــز الموت أعلى الرامـــزين
هو صـــخـــر ورياحين مـــعـــا ... بين عـــزم وخـــلال يســـتـــبين
فـــاعـــرفـــوا فى قـــبـــره تمثـــاله ... وأخفضوا الصوت ، وحيوا خاشعين

* * *

فـاز سـعـد(*)

عـــرف النـفـى حـــيـــاة ومماتا ... وأصـــاب النصـــر روحـــا ورفـــاتا
كـلـمـــا أقـــصـــوه عن دار لـه ... رده الشـــعـب إليــهـــا واســتـمـــاتا
كـيف يجـــزيه افـتـيـــاتا وهو من ... كـان لا يرضى على الشـعب افـتـيـاتا
أصـــبـــحت دارك مـــثـــواك فـلا ... تخش بعـد اليـوم يا سـعـد شـتـاتا
حـــبـــذا الخلد ثـمـــارًا للذى ... غـــرس المجـــد ونماه نبـــاتا

. . . .

* * *

جـــيـــرة الأحـــيـــاء أولى بالذى ... بعث الدنيـــا حـــيـــاة أن تبـــيـــد
مـــعـــشـــر الأحـــيـــاء أنتم لكم ... مـــدد من ذلك الميت مـــديـد
مـــســـتـــعـــيـــدين رجـــاءً كلمـــا ... جـــزتموه ، وهو منكم مـــســـتـــعـــيـــد
إنـه فـى كـل جـــيـــل ذاكـــر ... مـن بـنـيـــه ، أبد الـدهـر ولـيـــد
تلك يا ســعــد مــغــانيك فــمــاً ... فى ســواها يسكن اللحـد شـهـيـد

* * *

(*) فاز سعد : عابر سبيل . نشرت يوم نقل رفاته من ضريحه بالإمام إلى ضريحه المقام بجواره داره .

اعـــبـــر القـــاهرة اليـــوم كـــمـــا كنت تلقـــاها جـــمـــوعًـــا ونظامًـــا
ســـاعـــة فـى أرضـــهـــا عـــابرة بـين آبـاد طـوال تـتـــــــــرامـى
ســـاعـــة من عـــالـم الفـــردوس لا تشـبــه الســاعــات بدءًا وخــتـامــا
كل من شـــــاهدهـا زيد بـهـــــا من مـــعــــانيك جـــلالا ودوامـــا
قل لـهـم أبـلـغ مـــــا قـلت لـهـم أيهـــا الواعظ صـــمـــتـــا وكـــلامـــا

* * *

جـــردوا الأســـيـــاف من أغـــمـــادها ذاك يوم النـصـــر لا يوم الحـــــداد
ارفـــعـــوا الرايات فى آفـــاقــهـــا أين يوم الموت من يوم المعــــاد ؟
لا يُـلاقَـى الخـلـد بـالحـــــزن ولا يكتـــسى الفـــتح بجلبـــاب الســـواد
ذاك يـوم مـــــا تمناه العـــــدى بـــــل تمـــــنـــــاه ولاء ووداد
فـانفـضـوا الحـزن بعـيـدًا واهتـفـوا : فــاز ســـعــد وهو فى القـــبـــر رمـــاد

تمـثـال سـعـد(*)

الـروح فـى وادى الـكـنـانـة حـــائـم وجــلال شـخـصـك فى النـواظر قـائم
مـــا غـــاب منك مـــثـــال عـــارض يمضـى ، ويخلفــــه المثــــال الدائم

. . . .

تمثـــال ســـعـــد فى الجـــزيرة ســـاهرًا هيـــهـــات يغلف منك لحظ صــــارم
النيل حــولك لا يغــيـب هنيــهـــةً عن ناظريك ، وأنت عنه صــــائم
شـــأنٌ لربك فى الحـــيـــاة حكيـــتـــه فـــالظل للغـــصن الوريف مـــوائم
كم صـام ســعـد عن مناهل حـوضـه ويعبٌ مـــغـــتـــصب وينهل غـــاشم
كم بـات يرعــــــاه ، وليس بمرتع من خـــيـــره مـــا يرتعـيــــه الحـــاكم
كم غـــاب عنه ولم يغب عن همـــه والبـــحـــر دون طريقـــه مـــتـــلاطم

* * *

(*) تمثال سعد : أعاصير مغرب .

بك زادت الأهرام ركنا والتـقت ... منهـا على بعـد الزمـان دعـائم
تلك الصـروح على اختـلاف بنائهـا ... فى الجـيـزة الفـيـحـاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا ... يعـيى بنقض بنائهم الهـادم

. . . .

* * *

يا سعد هلا من لسانك قولة ... يروى بهـا هذا الزحـام الهـائم ؟
يمنـاك تـومـئ فـأيـن مـن ... إيمائهـا الصـوت القـوى الناغم ؟
عـجـبى لشىء فيـه منك مـلامح ... أن ليس يُسـمع منه قـولٌ حـاسم !
عـجـبى لشىء فيـه منك مـلامح ... أن ليس يخـفق فيـه قلب عـالم !
أخـذ الحـديد الصلب منه عـزيمة ... والصـخـر بأسـا يتـقـيـه الصـادم
وتشـابهت ثم الأسـارير التى ... قـد شـابهـتك بمثلهن ضـيـاغم
وتحـجـبت تلك الأفـانين التى ... ضـاق الصُّناع بهـا وعىّ الراسم
أن لم تصـورها اليـدان فـربما ... خـفـيت فـصورها الضـمـيـر الراقم
إن لا تحـدّثنا فكلّ مـحـدّث ... من فـيض روحك نـاثر أو نـاظم
أو لا يكن لفظٌ فـدون الوحى من ... مـعناك - كلّ اللافظين أعـاجم

تحية زعيم راحل (*) (١)

أكـبـرت فى غـيب الزعـيم مـحـمـد ... من كـان يكبـر حـاضـرًا فى المشـهـد
حـجب الردى عنا بشـاشـتـه ولم ... يحـجب بشـاشـة ذكـره المتـجـدد
هيـهـات ينتـقص مـجـادة ... للسـيـد بن السـيـد بن السـيـد

. . . .

* * *

عـزٌّ الكنانة فـيـه فـهى فـجـيـعـة ... تبلو الكنانة فى الضـمـيـر وفى اليـد
مـا فى مـروءات الشـعـوب مـروءة ... إلا رعـتـه بنظرة المتـفـقـد
البـر ، والمشـهـود من آلائه ... بين المحـافل دون مـا لم يشـهـد

(*) تحية زعيم راحل : أعاصير مغرب .

(١) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا .

ومعاهد التعليم بين مشجع ... للعاملين بها ، وبين مزوّد
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ ... سردًا ، فعدد مابدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هداية ... للمهتدين ، وقدوة للمقتدى
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على ... مستغلق فيها ، ولا متأوّد
والعزة الشماء إلا أنها ... كالشاهق المخضر لا كالجلمد
وسياسة الوادى ، ولم يك رابحا ... منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لا تكره الشورى وإن ... كانت لتكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ما استفردت ... كالقطب ، عزت فى ازدواج الفرقد

* * *

عزّ الكنانة والعزاء ليعرب ... ما بين مُتْهم قومه والمنجد
كم ذاد عنهم والخطوب بمرصد ... والشمل بين مشرّد ومبدد

. . . .

* * *

سمحٌ على ما فيه من عصبية ... سهل ، وإن أعيى قومى المتشدد
لا يستطاع على الخصام عناده ... وعليه تعويل الأخ المتودد
من اكسفورد ، ولو نماه معشر ... للأزهر المعمور لم تستعبد
فيه محافظة ، وفيه طرافة ... وأراه فى الحالين غير مقلد
ورث الحمية كابرًا عن كابر ... والأريحية منجدًا عن منجد
غيث الفلاة ونيل مصر كلاهما ... سقياه من أصليه أعذب مورد
فإذا بكت مصر فغير ملومة ... وإذا الحجاز بكى ، فغير مفند

* * *

آه من التراب (*)(1)

أين في المحفل «ميّ» يا صحاب ؟ عوّدتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشُها المنبر مرفوعُ الجناب مستجيبٌ حين يدعى مستجاب

أين فى المحفل «ميّ» يا صحاب ؟

* * *

سائلوا النخبة من رهط الندىّ أين مى ؟ هل علمتم أين مى؟
الحديث الحلو واللحن الشجى والجبين الحرّ والوجه السنى

أين ولى كوكباه؟ أين غاب ؟

* * *

أسف الفن على تلك الفنون حصدتها ، وهى خضراءُ ، السنون
كلّ ما ضمته منهن المنون غصصٌ ما هان منها لا يهون

وجراحات ، ويأس ، وعذاب

* * *

شيمٌ غرّ رضيّات عذاب وحجى ينفذ بالرأى الصواب
وذكاءٌ ألمعىّ كالشهاب وجمال قدسىٌّ لا يعاب

كل هذا فى التراب . آه من هذا التراب

* * *

(*) آه من التراب : أعاصير مغرب .

(1) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة مى زيادة . ألقى بدار الاتحاد النسائى بالقاهرة .

كل هذا خـــالدٌ فى صـــفـــحـــات ‏ ‏ عطرات فى رباها مـــثـــمـــرات
إن ذوت فى الـروض أوراق الـنبـــات ‏ ‏ رفـــرفت أوراقـــهـــا مـــزدهرات

وقطفنا من جناها المستطاب

* * *

من جناها كلّ حـسن تشـتـهـيـه ‏ ‏ مـتـعـة الألبـاب والأرواح فـيـه
سـائغ مُـيّـز من كل شـبـيـه ‏ ‏ لم يزل يحـسـبـه من يجـتنيـه

مفرد المنبت معزول السحاب

* * *

الأقـاليم التى تنمـيـه شـتى ‏ ‏ كل نبت يانع ينجب نبـتـا
من لغـات طوّفت فى الأرض حـتى ‏ ‏ لم تدع فى الشرق أو فى الغرب سمتا

وحواها كلها اللب العجاب

* * *

يا لذاك اللب من ثروة خـصب ‏ ‏ نيّـر يقـبس من حس وقلب
بين مـرعى من ذوى الألبـاب رحب ‏ ‏ وغنى فـيـه وجـود مـسـتـحَب

كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

* * *

طلعـه الناضـر من شـعـر ونثـر ‏ ‏ كـرحـيق النحل فى مطلع فـجـر
قـابل النورَ على شـاطئ نهـر ‏ ‏ فله فى العين سـحـر أى سـحـر

وصدى فى كل نفس وجواب

* * *

حىّ «مــيّــا» إن من شــيع مــيــا　　منصــفًــا حــيّــا اللســان العــربيــا
وجــزى حــواء حــقــا ســرمــديا　　وجــزى مــيّــا جــزاء أريحــيــا

للذى أسدت إلى أم الكتاب

* * *

للذى أسدت إلى الفصحى احتسابًا　　والذى صاغته طبعاً واكتسابا
والذى خالتــه فى الدنيــا ســرابا　　والذى لاقت مــصــابا فــمــصــابا

من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

أتراها بعـــد فـــقـــد الأبوين　　سلمت فى الدهر من شــجــو وبين
وأسى يظلمــــهـــا ظلم الحـــسين　　ينطوى فى الصمت عن سمع وعين

ويذيب القلب كالشمع المذاب

* * *

أتراها بعـــد صـــمت وإباء　　سلمت من حــســد أو من غــبــاء
ووداد كلٌ مــا فـــيـــه رياء　　وعــداء كل مــا فــيــه افــتــراء

وسكون كل ما فيه اضطراب

* * *

رحــمــة الله على «مىّ» خــصــالا　　رحــمــة الله على «مىّ» فــعــالا
رحــمــة الله على «مىّ» جــمــالا　　رحــمــة الله على «مىّ» ســجــالا

كلما سُجل فى الطرس كتاب

* * *

تلكمُ الطلعة ما زلت أراها   غضةً تنشر ألوان حلاها
بين آراء أضاءت فى سناها   وفروع تتهادى فى دجاها

ثم شاب الفرع والأصل ، وغاب

* * *

غاب والزهرة تؤتى الثمرات   ثمرات من تجاريب الحياة
خير ما يؤتى حصاد السنوات   بعثرتهن الرياح العاصفات

ورمتهن ترابًا فى خراب

* * *

ردّ ما عندك يا هذا التراب   كل لب عبقرى أو شباب
فى طواياك اغتصاب وانتهاب   خُلقا للشمس أو شم القباب

خلقا لا لانزواء واحتجاب

* * *

ويك ! ما أنت برادّ ما لديك   أضيع الآمال ما ضاع عليك
مجد «مىّ» غير موكول إليك   مجد «مىّ» خالص من قبضتيك

ولها من فضلها ألف ثواب

عبد القادر(*)

جلّ المصاب بفقد عبد القادر[1]   ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق فى تاريخه ،   الملبس الماضى لباس الحاضر
الناقد الأنباء نقد صيارف ،   الوازن الآراء وزن جواهر

(*) عبد القادر : أعاصير مغرب .

(١) هو فقيد الكتابة والصحافة عبد القادر حمزه صاحب «البلاغ» .

المستعين على السياسة بالحجى ... والعلم ، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التى ما طأطأت ... يوما لمنتقم ولا لمناظر

. . . .

عرف الحقائق فاستراح جنانه ... من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يع صدره ... بغضًا لمعتقد ولا لمكابر

* * *

علمى به علم المطالع زاده ... علمٌ على بعد ، وعلم معاشر
كم مرّ من يوم ضحوك بيننا ... أو مر من يوم عبوس كاشر
خضنا الحياة معًا على علاتها ... متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى يراعانا معًا فى حلبة ... عزت على غير الطمرّ الضامر
ذكراه والأيام عابرة بنا ... نعم العتاد لذاكر ولعابر

شهيد الوطن (*)

أحمد ماهر (1)

لم أصدق وقد رأيت بعينى ... وسمعت الطّق المريب بأذنى
«ماهرٌ» فى الندىّ يُجنى عليه ... ويدٌ - قيل من بنى مصر- تجنى؟
أشبه الصدق بالأباطيل هذا . . . ... ويك أمسك ! جاوزت غاية ظنى

* * *

لم أصدّق ، وما لحى دوامٌ ... والمنايا تطوف فى كل ركن
غير أنّ الكيد الذى كاده ألجا ... نى - له الويل - لا يُطيف بذهن

(*) شهيد الوطن أحمد ماهر : بعد الأعاصير .

(1) قيلت هذه القصيدة فى رثاء . الزعيم الوطنى الشهيد الدكتور أحمد ماهر وقد اعتدى على حياته شاب مفتون بدار النيابة سنة (١٩٤٥) وكان الناظم فى تلك اللحظة بمجلس الشيوخ فى انتظار بيان من الزعيم الفقيد .

أى رأس رمــى ؟ وأى فـــــــــؤاد نال منه ؟ وأى صـــدر وحـــضن ؟
أفـــيُــــرمَى بـالموت أوسع صـــدر لبنى قـــومـــه ، وأمنع حـــصن ؟
أفـــيُــرمَى بالموت قلبٌ يحـوط النا س حـــبًــا ولا يحـيط بضـــغن ؟
أفـيُـرمى بالـمـــوت رأسٌ تـــولّـى مـــجـــد مـــصـــر برأيه المطمـــئن
يُعـــــمل الرأى لـلبــــلاد ويَلقـى مـــعـــول الموت هادمًـــا ، وهو يبنى ؟
يا ضـــلال الجـــدود فى هذه الد نيــــا ، ويا ســـوأةً لذاك التـــجنى
أمـنـتْ تـلـكـمُ المقـــــاتـل لـو يأ من فى الناس كلٌّ صــــاحب أمن
لو تـردّ الـنيـــاتُ غـــرب ســــلاح ردّ عنه الســــلاح ألفُ مـــجَنّ

* * *

لو أصــــدّق ، وقـــد رأيت بعـــينى أمَّــــةَ النيل فـى حـــداد وحـــزن
حـــزنت غــيـــر أنهـــا ليس تَدرى ألـلقـــيـــا تجـــمَّـــعت أم لـدفن
أعـمقُ الصـمت صمتـها وهى حيرى بين صـــدق الأسى ووهم التـــمنى
ترقب النعـش قــــادمًــــا يتـــأنى وتمنّت لـو طال ذاك التـــــــأنى
أوجعُ الشك شـك ســـاعـــةِ هولٍ فى يقين يُدمى العـيـــون ويُضنى
المســـجًى يأيهـــا الجـــمعَ هذاً أفـــتـدرى من ذا يكون ؟ أجـــبنى !
إنه «أحـــمـــدٌ» الذى كـــان فـــينا منـذ يوم رضـــوانَ كـلٌّ مـــهـنى
من يصـــدّق هذا يصـــدقْ عظيـــمـــا من بلاء الدنيــــا يشـــيب ويفنى

* * *

لـم أصـــدق والأربعـــون أمـــامى كلٌّ ســــاعـــاتهن ســـاعـــة بين
كـم تمثلتــــــه وأحـــــسب أنى إنْ أحــقق رأيتـــه نصـيب عــينى
مـقـبـلاً ضـاحك الأسارير سـمحًا ثـابت الجــــأش لا يُـلـم بـوهـن
فُـجـعتْ مصـر فيـه بالقـائد الأسـ ـق ، والأوحـــــد الذى لا يثـنّى
بـالزعــــيم الأمـين فى كـل رأى والـوزيـر القـــــدير فى كـل فـن
والحـــسيب المُوفى لكل حــســاب والخـطـيب الذى يقـــــول ويَعـنى
الذى فـــارق المناصب جـــهـــرًا بـصــــــريح من رأيه لا يـكـنّـى
والذى أنفق الشـبــاب جــهـــاداً فى خطار على الحـــيـــاة وســـجن

والذى أجـــزل العطاء لمصـــر هبـــةً منه لا تشـــاب بضن
والذى لا يسىءيومًـــا ، ويعـــفـــو عن مـــسىءإليـــه فى غـــيـــر منّ
والذى كـــان فى «الندىّ» إمـــامـــا وسط العـــدل حين يُقـــضى ويُدنى
عـــز فـــينا دســـتـــور مـــصـــر بشـــرح من هداه لا يســـتـــعـــاض بمتن
لن يقـــول الصـــديق فـــيـــه مـــقـــالا يتـــأباه خـــصـــمـــه حين يثنى

الأستاذ الأكبر[*][1]

من مـــثل نابغـــة النوابع مـــصطفى فى ســـابق من مـــجـــده أو لاحق
رجّـــــاه والده الـكريم لـغـــــايةٍ حـــسنى ، فـــوفّـــاها وفـــاء الواثق
ربّاه حـــبـــرا للديانة فـــاســـتـــوىً فى نخـــبـــة الأحـــبـــار أسبق سـابق
ونماه فى حـــجـــر العـــبـــادة مـــسلمـــا فـــهـدى الحـجـيج ، وحجّ كلَّ منافق
وأعـــده للعلم فـــاســـتـــوفى به حظ العليم الفـــيلســـوف الحـــاذق
وغـــذاه بالتـــبـــيـــان فـــانقـــادت له غـــرر اليـــراع بكل مـــعنى شـــائق
وهداه للإحـــســـان فـــهـــو وليّـــه ، لعـــاهد الإحـــســـان غـــيـــر مـفـــارق[2]
ورجـــاه للعليـــاء فـــاســـتـــبق الخطى ســـبقَ الكرام إلى المقـــام الســـامق
لا وانيًـــا عنهـــا ، ولا مـــتـــعـــجـــلا فـــيـــهـــا تعـــجّل مـــشـــفق من عـــائق
وكـــــأنهُ وعـــــد الأمين وفى به فطوى صـــحـــيـــفـــتـــه كلمح البـــارق
لو لم يكن قـــدرًا قـــضـــاه لما قـــضى كـــالنجم يرجع غـــاديا من شـــارق
إن المطـــالع لا يقـــــــر قـــــــرارها بعـــــد التـــمـــــام ، ولا تدوم لطارق

* * *

يا آخـــذًا من كل شىء صـــفـــوه بوركتَ من ذى مـــعـــجـــزات خـــارق
حـــتى الخـــمـــول بلغت غـــاية حظه عـــجـــبًـــا ، وأنت من العـــلا فى حـــالق
لم ألق قـــبلك من نبـــيـــه آمن من شـــرّهِ البـــاغى وغـــيظ الحـــانق

(*) الأستاذ الأكبر : بعد الأعاصير .

(١) رثاء العلامة الأستاذ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر سنة ١٩٤٧ .

(٢) كان رحمه الله وزيرًا للأوقاف ورئيسا لبعض جماعات الإحسان .

تلك المدامع مـا امـتـزجن بدمـعـة   من كـــاذب فى حـــزنه أو مـــاذق
ولـتـلـك مـن رضـــــــوان ربـك آيـةٌ   تخـذت من الإجـمـاع أصـدقَ ناطق
فــادخل حظيــرته بخـيــر خـلائق   مــرضـيَّــة منه ، وخـيــر عــلائق
مـا الموت ياكـشـاف كل حـقـيـقـة   إلا حـقــائق حُـجِّـبت بحـقـائق

السيدة هدى(*)(١)

ربـةُ الـبــــــــر والـنـدى   لـم يَضِـع سـعـيـهـا سـدى
لـغـــد كـــان سـعـيـهـــا   وسـيـبـقـى لهــا غـــدا
كلُّ مـــًا قـــدمت من الخـيـ   ـيــــر باق علـى المدى
ينطوى الـدهر مــــا انطوى   منه صـــوتٌ ولّا صـــدى
هى ملءُ الـضـــمــيــر منـ   ـكم مـغـيـبًـا ومـشـهـدا

* * *

كنت فـى الـشـــرق يا هدى   مـــثــــلا كـــان أوحـــدا
أيـن فـى المجـــد والـعـــلا؟   أيـن فى الجـــد والجـــدى؟
غـــايةٌ طاولت ســـمـــا   ءك مـــرقـىً ومـــصـــعـــدا
إن عــــلا مـــحــتـــد علو   ت إلى الأوج مـــحــتـــدا
أو عــــلا ســـؤدد الـعـــوا   رف بـوركـتِ ســـــــؤددا
أو حــــدا الـركـب بالـعـــزا   ئـم جـــاوزتِ مـن حــــدا
شـــرفٌ كـلُّ عـنـصـــــر   يـه علـى المجـــد أســعـــدا
تم مـــــوروثـه الـعـــــر   يـق بمـا قــــد تجـــــددا
ذاك أو ذا كـــــلاهـمـــــا   حــسـبُ من شـــاء مـــفـــردا

* * *

إن مـن تـذكـــرونـهـــا   ذكـــرهـا غـــالـبُ الـردى
قـــدوة الـفـــضـل لـلـعــقـــا   ئـل فـى كـل مـنـتـــــدى
ولـهـــا الـســبـق كـلمـــا   حـــسُـن الـسـبـقُ مـــوردا
ســفــرت والحـجــاب كـالـليـ   ـلِ غـــيْـــمـــانَ أســـودا

(*) السيدة هدى : بعد الأعاصير .
(١) رثاء السيدة الجليلة صاحبة العصمة هدى شعراوى ، وكانت قدوة لسيدات الأسر فى النهضة النسوية والمآثر الاجتماعية سنة (١٩٤٨) .

والتـقت باسم مـصـر والنـ ـيل جـيـشًـا مـجنّدا(١)
وأعـانت على الزمـا ن مـريضًا ومُـجـهَـدا
وضـعـيـفًـا من اليـتـا مى وطفـلاً مـشـرّدا
وحـمـى عطفُـهـا فـرا ئسَ من ضل واعـتـدى
ورعت ناشـئـا عن الـ ـعلم والأهل مُـبـعـدا
وأجـازتْ على البـيـا ن فـأسـدت له يدا
إن بـكـوا كـلـهـم لـنـعـ ـيك لا غـرو يا هدى
كـلـهم يفـتـديك لو يُدفع الموت بالفـدى
لا صـديقٌ ولا عـدا ليس فى الحق مـا عـدا
أم الشـرق كلُّهـا حـمـدت منك مـحـمـدا
تـوج التـاجُ ذكـريا تـك والشـعـب ردّدا
آيـة الله يـا هـدى ولـك الخلد سـرمـدا

محب السلام(*)(٢)

. . . .

عـزاء الزمـالة فى رزئـه لقـد كـان نعم الزميل الهـمـام
حـفىّ اللقـاء ، وفىّ الإخـا ء ، عـفـيف اليـراع عـفـيف الكلام
صـبـورًا على هفـوات الطبـا ع ، يغضى عن السيِّئات الجسام
حليـمـا إذا طاش لـب الحلـ ـيم ، رضيـا إذا لجَّ داعى الخصام
ترى حـوله الناس شـتى العـقـو ل ، شـتى المذاهب ، شـتى المرام
فـتـحـسـبـه عـامـلا وحـده وتحـسـبـه قـائلا فى الزحـام
كـأنّ له خـاطِرىْ مـهـجـةٍ لهـذا مـقـام وهذا مـقـام
طرائـفـه فى ثـنايا الحـديـ ـث ، تنسى النديم كـؤوس المدام

(١) كانت السيدة الجليلة تقود أول مظاهرة نسوية خرجت فى مواجهة الجند المسلحين تحتج على الحماية البريطانية .

(*) محب السلام : بعد الأعاصير .

(٢) رثاء الكاتب الكبير أنطون الجميل عضو المجمع اللغوى ورئيس تحرير الأهرام ، وكان قد سهر على عادته فى مكتبه بالصحيفة ، ثم شعر بضيق مفاجئ توفى على أثره فى الهزيع الأخير من الليل .

وأمـــثـــالـه من عـــيـــون الـبــيـــا ن ، جــــواهر منثـــورة فى نظام

وآراؤه حـــنن تـــطـــغـــى الخــطـــو ب مـــــعــــــالمُ هاديةٌ فى الظلام

وأقــــــــــدر خـلـق عـلـى أن يُـذ يعَ قـد كـان أقـدرهم فى اكـتـتـام

فـــمـــا صين ســـرٌ كـــمـــا صـــانه وإن عـــزّ فى الســـر راعى الذّمـــام

وأكـــثـــر مـــا اســتـــودعــتـــه النفـو سُ أودعــــه اليـــوم جـــوف الرّغـــام

* * *

مـنـاقـب أنـطـون لا تـنـقــــــضـى ولا يختـتم القـول فـيـهـا خـتـام

أحـبٌ الـســــــــــلامَ ونـادى بـه عليـــه مـــدى الدهر أزكى ســـلام

* * *

الشهيد الأمين (*)(١)

محمود فهمي النقراشي

أســـفى أن يكون جــــهـــدَ رثائى كـلـم عـــــــابـر ، ورجـع بـكـاء

مـــارثاء الحـــزين غـــيـــر تعـــلاّ ت ، ومـــا النوح غـــيـــر نفث هواء

ليـــتنى أخـــرس الفناءُ لســـانى قـــبل يوم أشـــقى له من فنائى

مـــا وفـــاءٌ بذل الدمـــوع من الحـــز ن ، على منّ وفى ببـــذل الدمـــاء

* * *

إن حــــــزنى عـلـى هـذه الأنـفـ ـس ، ضلّت فـينا سـبـيل السـواء

نُكست بينهـــا الموازين نُكسًـــا واســـتـــحـــالت مـــعـــالم الأشـــيـــاء

كم رأينا غـــدرًا ولا من عـــداة وشـــهـــدنا حـــربا ولا من عـــداء

ظلمـــاتٌ تقـــودها خـــبط عـــشـــواً ءِ ، وويـلٌ لخـــابط العـــشـــواء

* * *

(*) الشهيد الأمين محمود فهمى النقراشى : بعد الأعاصير .

(١) قتل شهيد الوطنية والرأى والخلق الأمين - محمود فهمى النقراشى - بديوان وزارة الداخلية فى اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

أتصم الآذان عن صـــــادق النصـ ... ـح ، وتصغى طوعـا لكل افـتـراء ؟
أمـةٌ فى الشـقـاء من مـعـتـد فـيـ ... ـهـا عليـهـا ، ومن صـويع اعـتـداء
أعـجـزُ العـاجـزين يقـوى علىً إيذ ... ائهـــا غـــايةٍّ من الإيـذاء
والقـــديرون يشـــتكون من العـجـ ... ـز ، إذا مـــهَّـــدوا لهـــا بالـدواء
كـيف كـيف النجـاءُ من هذه المحنـ ... ـة ، بل أين أين حق النجـــاء

* * *

إن حـــزنى حـــزن على هذه الأمـ ... ـة : رفـقًــا بهـــا إله السـمـــاء
قُلبت آيةُ الحـقـائق فـيـهـا ... وقـضى سـفلُهـا على العظمـاء
غـيلة الموت للغـيـور عليـهـا ، ... وقـضـاء الحـيـاة للجـهـلاء
وقـضـاء الجـهـول أوخم عـقـبى ... من قـضـاء البـهـيـمـة العـجـمـاء
فـتنة تعـمـه البـصـائر فـيـهـا ... وتضل العـقـــول فى تيـهـاء
إن أبينا البـقـاء حـقـا لمحـمـو ... دٍ ، فـمن ذا يُرجى لطول البـقـاءِ

* * *

نبـــئـــونى . فـــإننى أنا واللـ ... ـه ، عـــرانى عىٌّ عن الإنبـــاء
أى سـهم ترمى به يدُ مـصـر ... ى يرى فـيـه مـوقـعًـا لرمـاء
أى تلك الخـصـال مـرمى اغـتـيـال ... لبنى مـصـر ، بل بنى حـواء
أيُغـــال الحنان فـيـه ، حنانًا ... كـاد يُحـصى به مع الضـعـفـاء ؟
أم يُغـال الحـفـاظ فـيـه ، حـفـاظا ... يتـحـدى جـحـافل الأقـوياء ؟
أم يُغـال العـفـاف أصـدقُ مـا كـا ... ن عـفـافـا فى مـسـتـسـرِّ الخـفـاء
أم يُغـال الإنصـاف يحـمـى عُـداه - ... حين يقـضى - من صـفـوة الأصـفـيـاء
أم يُغـال الذكـاء يخـتـرق الحـجـ ... ـب ، بنورٍ يهـدى كنوز ذُكـاء
أم يُغـال الزهد الذى حـار فـيـه ... كل مـغـر من سطوة وثراء
أم تُغـال الخـلائق الزُّهر كـادت ... تتـرقى إلى ذُرىً الأنبـيـاء
أم يُغـال الصـبـر الطويل على الجـهـ ... ـد ، بلا منَّةٍ ولا إعـيـاء
أم يُغـال الجـهـاد فى حب مـصـر . . . ... ويح مـصـر من تلكم النكراء
إن مـحـمـودًا الذى فـقـدته ... واحـــدٌ لا يـقــاس بالنظراء

* * *

يـا أبـا هـانـئ ! وأعــــــزز بـأنـى لا أرى هـانـئـــــــاً ربـيـب هـنـاء
أنعــزيه فى مـــصــــابك لهـــفــــا ن ، ونحن الأحــرى بطول العــزاء
ومـصـابُ الـشـعـوب فى الحق أقسى من مـــــصـــــاب الأبناء فى الآباء
خطب مـصـر . يسامح الله مـصـرًا عـقّـهـا فى جـدودها القـدمـاء
عقّها فى اسمـها ، وما تعرف الأقوا مُ دخـــرًا أغلى من الأســـمـــاء
يرحم الله مـــصـــر من فـتنة تطـ ـغى يجـهّـالهـا على الحكمـاء
يرحم الله مـصـر . إنك يا مـحـمـو د فى رحــمـــةٍ مع الشــهــداء
لا يضيم الإلـه قـــومـــا بذنب أنت فـيــه لهم من الشـفـعـاء

فقيد اللغة و الأدب(*)

على الجارم(1)

. . . .

لست أو فـيـه وصـفـه : إن وصـفًـا لـعلىّ يُـغنى غـناء الـســمىّ
علم فى الديار ، صنّاجـة فى الحـفـ ـل ، ركن فى المجـمع اللغـوىّ
وســراجٌ فى مــفــرق الرأى هاد وجــمــال وبهـجـةٌ فى الندىّ
وزمـيـل سـمـح الزمـالة برٌّ وأخ بالإخـاء جـدّ حـفىّ
ذلك الشـاعـر الذى ثكلتـه مـصـر ، فى يوم مـأتم وطنى
لم تزل تســمع المراثى حـتـى سـمـعتْ فى الرثاء صـوت نعىّ
تـتـنـزى عـلـى زعـيـم أمـين وأديب جـزل الـبـيـان سـوىّ

* * *

لست أو فـيـه حـقـه . إنه حـ ـق بيـان عن البـيـان غنى
وارث الأصـمـعى فى لغـة «الضـا د» وفى الشـعـر وارث البـحـترى
والأديـب الـذى لـه فطـنـة المصـر ى زانت سليـقـةَ البـدوى
والمربّى الذى تعـهّـد جـيـلا عـهـدَ علم منه وعـهـد رقىّ
وأخـو النشـأتين شـرقـا وغـربا من قـديم باقٍ ، ومن عـصـرى

(*) فقيد اللغة والأدب على الجارم : بعد الأعاصير .

(1) كان فقيد اللغة والأدب – على الجارم – عضو المجمع اللغوى يستمع إلى قصيدته فى رثاء الشهيد النقراشى ، يلقيها نجلة النجيب فى الجمعية الجغرافية ، فأصابته نوبة توفى على أثرها بدار الجمعية سنة ١٩٤٨ .

كم شـــهـــدناه فى شـــواهد نص ورأينـاه فى مــــعـــــارض رأى
وسطًا غـــيـــر ممعن فى وقـــوف عند مـــاض ، أو ممعن فى مـــضىٍّ
قـائلا ناقـلا ، سـمـيـعًـا مـجـيـبًـا حـسنُ تبـيـانه كـحـسن الصـغىّ

ذكرى إبراهيم(*)

أَقِـــيْـــمُــوا الـوزْن أوْ مِـــيلوا فـــمـــا (آبراهيمُ) مَـــجْـــهُـــولُ
فـــتـىً مـــيـــزَانُه بالْقِـــسْـــطِ عـنْـدَ الله مَـكْـفـــولُ
لـــهُ فـــى كـــلِّ تَـــاريـــخٍ مِـنَ المجْـــد أكـــالِـيـلُ

* * *

سَلـوا الأوْطـانَ يـنْبـــئكـمْ بمَـا يـعْـلـمُـــه الـنِّـيـل
يَحـــيِّى نـاصِـــرَ الْمصـــرِ ىِّ ، والمِصْـــرىُّ مَـــخْـــذُولُ
وَأوّلُ رَافِـع صَـــوْتًـا وســـيفُ الحـــرْبِ مـــسْلولُ
وَلِلمـــخْـــتلٍّ فى مِـــصْـــر عـلـى كـلِّ فَـم غُـــولُ
لـه فـى بـرِّهَـا جَـــيْـشٌ كـجـيـش النَّمـلِ مـوْصـولُ
وَفى الـبـحـــر أسَــاطيـلُ وفـى الجـــوِّ أبَـابـيـلُ
إذَا لـمْ يَـنْعَـــهُ الأحـــيـــاءُ ، والـدُّنْـيـــا أبَـاطـيـلُ
نَـعَـــاه فـى (الـعَـــزِيـز يِّة) مَـــدْفـونٌ ومَـــجـدوُل
وجـــيلٌ فى حِـــمَى التَّـــاريخ ، لا يُشْـــبِـهُ جـيـلُ

* * *

سَلُوا الآدابَ يـنْبـــئكم بـه الـصـــدّاحَـــةُ الـقـــولُ
يُرَدِّدُ ذِكــرَهُ فى الـشِّـعْـرِ تـســبـيـحٌ وتـرْتـيـلُ

(*) ذكرى إبراهيم دسوقى أباظة .

ويهْـــتِفُ باسْـــمـــه فى القـــوْ ل مطبُـــــوعٌ ومنْـقـــــولُ
وَيَحْـــمَــــدُ فَـــضْلَهُ فى العُـــرْ بِ مَنْسُــــوبٌ ومَــــدْخُـــول
فَـــــــلا المـاضى بمـنسِـيٍّ ولا الحــــاضِـــرُ مَـــعْـــزولُ
وراعِى الشِّــــعْـــــرِ لا يَنْسَـــا هُ مـــرعــــيًّــا مِنْهُ مطْولُ

* * *

سَلُوا الإحْــسَـــانَ والإحْــســا نُ طبْع فــيـــه مَـجـبُــولُ
وأقـــربُ شـــأوهِ فى الجُـــو دِ مـــشـــروبٌ ومـــأكـــولُ
وأيسَــــــــرُ جُـــــودِهِ بَـاد لمرْأى العَين مَـــسْـــئـــولُ
وكـم أعْـطى ولـم يُسْــــــألْ وبعض السُّـــؤْلِ مَـــمْطُولُ
وبعْض النَّاس قـــد يَمْـــحُــو نَـدَاهُ الـقـــالُ والقِــــيلُ

* * *

سَلُوا الأحْــسَـــابَ لا عِـــزٌّ يُـدايـنـهـــــــا ولا طـول
ولـلأسَـــبـــادِ والأشْــبَـــا ل منْ أعـــلامِـــهـــا غِـــيلُ
ذَوُوهُ مـنْ بـنـى مِــــصْــــر هم الغُــــرُّ البَـــهـــاليلُ
ومِنْ أحـــســـابه كَـــسْبٌ بمسْـــعَـــاهُ وتحْـــصِـــيلُ
بِرَأْى زَانَهُ فى الـقـــصْـــد إجْــمَـــالٌ وتفــصِـــيل
وصَـــبْــــر راضَ دنْيـــاهُ وراضَـــتْـــهُ العَـــراقـــيلُ
سَلُوا ســيـــرتَه الحـــفلى وللسِّـــيــرَةِ تسْـــجِــيلُ
سَلُوا (الشَّـــلالَ) والمجْـــرَى من القُطْرَيْنِ مَـــفـــصُــولُ
لَتَمَّ القـــربُ لوْلا قــــا عِـــدٌ بالشَّــرقِ مَـــشْلولُ

* * *

خـــصـــال كُلُّهــا نُبْلٌ وأفضَـــال وتَفــضِـــيلُ

وذِكْــرى كُلُّهــا حَــمْــدٌ — وتشْــريفٌ وتبْــجِــيلٌ
فــقــدْناهُ ونَادِى الرَّأْ — ىِ فى القطْرَيْن مَــأهُولُ
فــلا يَبْــعُــدُ المثــوَى — ومَــثْــوَى الخــيــرْ مَــأهولُ
لــهُ مِــنْ بِــرِّهِ أنْــسٌ — وشــمْلٌ ثَمَّ مــشْــمُــولُ
ومِنْ سِــيــرته الفــيْــحَــا — ءِ ، تَــرْويــحٌ وتــظْــلــيــلُ
لــهُ فــى مــنــزِلِ الــرِّضْــوَا — نِ تــسْــلــيــمٌ وتــنــزِيــلُ
وأَجْــرٌ مِــنْ ثَــوابِ الله — عِــنْــدَ الله مــقْــبُــولُ

شيوخ الشيوخ(*)

لا أحسب العام فى أسوان يسعدنى — يومًا بلقياه ، فى قومى ، وفى سكنى
هناك فى الركن من مشتاه معتصما — على سجيته من غمرة المحن
تباعدتْ شقة الدارين وامتنعت — على المطايا وأعيت حيلة السفن
«حسب الصديقين بُعد الأرض بينهما» — على مدى راحة من ظهرها الخشن
واطول شوقى إلى يوم يقربنى — من راحة البال أو من راحة البدن

* * *

تلك المعاهد لا تنسى معمّرَها — قربًا من العهد ، أو قربًا من الدِّمَن
يحج سعيًا إليها فى أماكنها — أو ساعيًا ممعنًا فى ساحة الزمن
منازلُ الوحى ما زالت مَشابتَه — فى الطيبتين ، وفيما طاب من ظعَن
لم ينقطع قط ماضيه وحاضره — ولاونى عن فراغٍ بالنفوس ينى

* * *

(*) شيخ الشيوخ : رثاء الدكتور محمد حسين هيكل .

يا هيكَل الحق كم أحـيـيـت من أثر ... وكم نشـرت ، وكم أبقـيت من سنن

ذكـراك يا باعث الذكـرى مـخلَّدة ... تبـقى مع الذكـريات الغـرّ فى قـرن

حقٌ على ذم التـاريخ تحـفظه ... لحـافظ ذمَ التـاريخ مـؤتمن

أحييت سيرة من يُحيون منصفهم ... من كل عالٍ بتشـيـيد العـلا قـمن

هم الكرام وقد أحسنت مدحتهم ... مكرّموك بحـمـد منهم حـسن

عش فى صحابتهم من معشرٍ شرعوا ... للناس شـرع وفـاء السـر والعلن

* * *

يا هيكل الفن كم أبدعت من صور ... وكم رفـعت ، وكم نكّست من وثن

وكم لمصر بما أرسلتـهـا قصـصـا ... من متـحف عـامـر بالآهلين غنى

من القُرى فيه ألوان مشخصة ... كما عـهـدنا ، وألوان من المدن

من يلقـهـا يلق تاريخًا لحاضـرنا ... وحـبـذا حاضـر التاريخ للوطن

يكاد يعجب رائيها على كثب : ... إنى أراها ، فسلها كيف لم ترنى

تلك التماثيل من خلق الحياة كما ... يوحى بها وحيٌ باريها إلى الفطن

* * *

يا هيكل البيعة العليا بعقوتها ... ويالها بيعةً مهضومة الثمن

قـامت على بحرها اللجىّ تحسبها ... جسـرًا على شاطئيه غير متزن

تهب من فوقـها هوج الرياح ولا ... تقر فى جوفها الأمواج كالقُنن

وأنت والسـادنوها الصيـد فى نفر ... حـاروا بها بين مغلوب ومضطغن

تهز كرسِىّ فاروق وأنت ترى ... كرسيك الثبت لم يثبت على الفتن

تركتموه معرى فى مباذله ... كأنه جيفة فى قبرها العفن

يختال فى طيلسان الظلم مزدهيا ... وإنما اختـال قبل الموت فى كفن

وما تعثر فى عقبى مساوئه ... إلا ليومٍ له فى الغيب مرتهن

* * *

ياهيكل الصحب كم ضمت شمائله شمل الأقارب فى الآراء والمهن
ساويت ما بين راضيهم وساخطهم غداةَ فارقتهم فى لوعة الحزن
حاربت فى الرأى أقواماً على ثقة وحاربوك ، وما بتم على دخن
ما كنت مختبرًا للسخط تضمره إلا كخبرة فنان به طبن
وإنما الود طبع فيك ليس به سمت من الفن ، أو كبت على وهن
لك المآثر يبكيها ويحمدها من يحمد الفضل موفورًا بلا غبن
قوم بما ضيهمُ فى الشرق قد حفلوا والشرق ماضيه لم يهبط ولم يهن
عش فى صحابتهم من معشر ورثوا عرفًا لهم ، من رعاه قط لم يخن
من لم يكن بينهم بالعرف مؤتمرًا كأنه فى حساب القوم لم يكن
أنت الغنى عن الذكرى وما غنيت جامعةٌ قط عن ذكرى ذوى المنن
لأنت من جنة العرفان فى سعة وأنت من جنة الرضوان فى عدن

ذكرى حافظ(*)

ارفعوا ذكره عليا مبينًا إنما الذكر رفعة الذاكرينا
حافظٌ فى ثراه لم يفتقدنا وافتقدناه نحن حينا فحينا
من مضى فى غنى عن الحى والحـ ـى الذاهبين لا يغنينا
وإذا الحمد فات نابغ قومٍ فهو موت الباقين لا الذاهبينا

* * *

يا حميد المقال مدحا وقدحا ونقّى الصحاف بيضا وجونا
خذ من الحمد بعض حقك منا لم تكن قط بالحقوق ضنينا
طالما رددت جوانب مصر صيحةً منك تملأ العالمينا
هاتفًا بالرجاء يوما ، ويوما هاتفًا بالعزاء تأسو العيونا
تعجب القوم أريحيا طروبا وتواسيهمو شجيا حزينا
ما توانيت عن مقام وفاء أو تواريت بالوفاء خؤونا
وإذا ما اعتراك بالوهن خطب لم تكن فيه خانعًا أو مهينا

(*) ذكرى حافظ : فى الاحتفال بذكرى حافظ إبراهيم سنة ١٩٥٧ .

وإذا قـــام لـلضــــمــــائر ســـوق | لم تكن من تِجَـارها النافـــقـــينا
رب قـــوم تـنقّـــصـــوك مــــراءً | ربحـــوا وانثنيت أنت غـــبـــينا
خـــيـــر أبطالنا الذين تخـــيّـــر | ت من الأولين والتـــابعــــينا
الإمـام «ابن عـبـده» من بنى جيـ | ـلك وابن الخطاب فى الأقـــدمـــينا
لا تدانيـــهـــمـــا بدعـــواك لكن | باعـــتـــراف القـصـــور دنيـــا ودينا
أنت أتقى ممن يجـــاهر بالتـــقـــو | ى ويأبى فى الســـر إلا مـــجـــونا
رب جـــمع تفـــيـــهق الغِـر فـيـه | وتحـــدى بالظن منك اليـــقـــينا
كلمـــا قـــال قـــولةً فى رســـول | صـحـت : يارب اخـز هذا اللعـــينا
«احـــســـبـــونى مع العـــجـــائز دينا | ليس هذا الجـــدال إلا فـــتـــونا»
رحم الله منك قلبـــا سليـــمـــا | وضـــمـــيـــرًا بَرّا وروحـــا أمـــينا

* * *

ثم قـريرًا صنّاجـة العـرب الصيـ | ـد وعُـد فـيـهـمـو لسانا مـبـينا
كلمـــا جـددوا لذكـراك عـــهـــدا | عاد عـهد الفصحى جديدًا مصونا
حـــافظًا أنت كنت للضـــاد لما | عـــقّــهـــا أهلهـــا وظنوا الظنونا
أين فـى المنكرين من ليس يروى | لك قـولا جـزلا ونسـجـا مـتـينا
ودليــــــلا على غناها إذا مـــــا | سامـهـا الفـقـر مـعـشـر مـفلسـونا
بين شـــعـــر له رنين ونثـــر | يشـبـه الشـعـر فى السمـاع رنينا
لم تكن حـصتى من الحـفل نظمـا | لا ولا قلتـــه بوعـــد مـــدينا
غـــيـــر أن المزار شط بحـــاد | ود لو كـان حـاضـرَ الصوت فـينا[1]
وعـــجـــيب إذ يشـــهـــد الفن ذكـ | ـراكَ من الشـعـر وحـده أن يبـينا
وجـــمـــيل إن صح عـــذر لدينا | أن ترانا لديك مـــعـــتـــذرينا
فـخـذ اليـوم حـقك حـمـدًا | أنت بالحـمـد مـا برحت قـمـينا
وقليل وفـــاءُ قـــومك يومـــا | لامـــرئ دان بالوفـــاء سنينا

* * *

(١) إشارة إلى غياب الشاعر الذى ندب لإلقاء تحية الشعر فى الحفل ثم برح القطر قبل موعده فناب عنه صاحب الديوان على غير موعد .

أهرام الورق، وأهرام الحجر (*)(1)

خبر السّباق للخير | عضّ من أخبارنا الأخَر
شَغَل السمّار عن سمر | وطوى الآفاق فى البُكر
فاجئٌ كالعهد وا أسفا | لم يكن يومًا بمنتظر
صادقٌ كالعهد وا أسفا .. | ليته من كاذب السير
قيل فى الأهرام مرثية | قلت : حقٌّ من فم القدر
قيل «جبرائيل» طاف به | يومه فى ضحوة العمر
صفحة بيضاء تعلنها | صفحة سوداء للنظر
ما على الأهرام لو نسيت | عبرةً من صادق العبر

* * *

إن بكاه الشرق لا عجبٌ | بعض ما أولاه من غُرر
سار بالشرق الوئيد على | خطو «أوربا» ولم يَجُر
نحن ، إلا فى صحافتنا | دونهم فى الخبر والخبر
فإذا عُدّتْ صحافتنا | لم نكس رأس معتذر

* * *

زفع الأهرام فارتفعت | فى مدار الأنجم الزُّهُر
لو غلبنا غلبوا | نازعتهم كلٌّ منتَشر
ولسارت فى مغاربهم | كمسير الشمس والقمر

* * *

رافعُ الأهرام من ورق | نافسَ الأهرام من حجر
وحكاها فى الثبات وإن | سار بين البدو والحضر
كل يوم فى الصباح له | ظَفر ناهيك من ظفر
فى ركاب الشمس يشبهها | فى جلاء الشك والحيَر

(*) أهرام الورق ، وأهرام الحجر : بعد الأعاصير .

(1) قيلت فى رثاء المغفور له صاحب الأهرام جبرائيل تقلا «نوفمبر سنة ١٩٤٣» وكان قد توفى على أثر عارض سريع لم يمهله غير لحظات .

يجـمع الدنيـا ويبـسطهـا ... بين مـدّ السـمع والبـصـر

أم شـتى تحـدثنا ... بلسان العـرب من مُـضـر

كل قطر فـهـو نائبه ... زائراً أم حـيـث لـم يـزر

هو داعـيـه وكـاتبـه ... وملبّـيـه على الأثـر

سـابق تلقـاه منطلقـاً ... فى عنان الطول والقـصـر[1]

تحسب القرطاس مختصراً ... فى يديه غـيـر مـخـتـصـر

فـإذا امـتـدت صحائفه ... لم تدع شـيـئـا ولم تذر

* * *

يا شـريك العـالمين له ... غـيـر مبخوسين من صغر

قُسَماء الرأى ، ما اقتسموا ... -باختيار منك - فى ضرر[2]

أنت فى الأعـبـاء أكـبرهم ... ولهم ما شئت من كـبـر

من رآكم راح يسأل عن ... آمـر منكم ومـؤتمر

تُجـزل الحـسنى لمحسنهم ... وتسجّى طرف مغتفر

حـزنُهم ، والخطب يغلبهم ... بين مـرتاع ومصطبر

حـجـةٌ بيـضـاء أبلغ من ... مُـبلغٍ فى القـول مـقـتـدر

* * *

وحى جـبـرائيل متـصلٌ ... بين حل منه أو سـفـر

ليس ينأى فى السـمـاء ولا ... فى مـدًى الأحـلام والفكر

خلفـاءٌ منـك مَن حـملوا ... عنك عبء السعى والسهر

خلفـاءٌ منك كل فـتى ... قـارئٍ من هذه الزُّمـر

وتَوسّم فى «بشـارة» مـا ... شئت من دخـر لمدّخـر

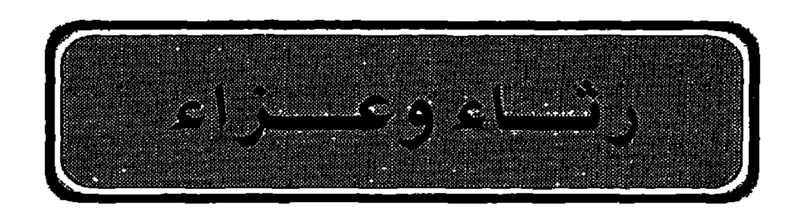
إن هذى الغـاب منجـبـةٌ ... غَنيت بالأسْد والشـجـر

سـوف تحـيـا باقى الأثر ... خـالد الأعـقـاب والذّكَـر

* * *

(١) إشارة إلى ضيق نطاق الصفحات فى أيام الحرب العالمية .

(٢) كان الفقيد يشرك أعوانه الصحفيين فى الرأى والخطة ويستمع منهم النصيحة ولا يعود عليهم بتبعة .


رثاء وعزاء

رثـاء طـفـلـة (*)

زهرةٌ كــــان وجــــهــــهـــا	نــور قــلــبــى ونـــاظــرى
حــــملتــــهـــا يد الردى	حــــملَ من لـم يحـــاذر
فـــــتــــــوارت ولـم يزل	عَــرفــهـــا(1) ملء خـــاطرى

* * *

ياضــــيــــاءً تضــــمنتــ	ـه بـطـون الـديـاجــــــر
قــــد أَجنُّوك فى الثـــرى	يا جنين الضـــــمـــــائر
فــــالـزمى الرمس حين لا	حلْمَ فـى عين بـاصــــــر
فــــإذا أقــــبل الـدجى	وغــــفـــا كل ســـاهر
فــــاطرقـــينا مع الكرى	حلمًــــا غـــيـــر نافـــر
وصلى عــــيــــشك الذى	كــــان أحــلام ســـادر(2)
وامــــرحى فى صـــدورنا	واضـــحكى فى الســــرائر
ثم عـــودى إذا الصـــبـــا	ح تجلى فـــبــــاكــــرى
إنّ صـــعـــبًـــا على الصـــغـــا	ر احــــتــــبــــاس المقـــابر

عزاء الأستاذ وجدى فى والده (*)

أمـــــــولاى رزؤك لا يـجــــــهـل	وصـــــبــــرك فى الرزء لا يخـــذل
ومن كــــان يعلم كنه الحــــيــــا	ة فـــالصـــبـــر من مـــثله أجــمل
إذا كــــان كـل امـــرئ راحــــلاً	فــــــأفــــــضلنا الراحـل الأول
وأدنى مـــصـــاب الفـــتى للعـــزا	ء مـــصـــابٌ بكل امـــرئ ينزل

(*) رثاء طفلة : الجزء الأول .

(1) رائحتها .

(2) غافل .

(*) عزاء الأستاذ وجدى فى والده : الجزء الأول .

عــزاء المازنى (*)

يا صــــديقى ، ومـــا علمـــتك إلا راضـــيًــا بالأسى رضـــاء الجليـــد

إن تكنْ قــد رزئت بنتــا فــمـــا قـــد تعـــوَّضت من بنات الخلود

لا تبت آســفًــا عليـــهـــا وهبـــهـــا وردة والربيع عـــــمـــــر الورود

ربما عــــوفـــيت وأنت عليم من حـــيـــاة تودى بكل وليـــد

رثـــاء أخ (*)

. . . .

يا راحــلاً صدع الحــمـــام شـبــابه فــعلمت كـيف تصدُّع الأكــبــاد

إنى لأحـــسبنى أراك مــجـــاهدًا والـنـيـل حــــولـك دائم الإزباد

وأراك ترمـــقنى وقـــد غلب الردى وأقـــــام جند الموت بالمرصـــــاد

فى ساعـة مـا كـان أغـفل خـاطرى عـــمـــا عـــراك وفتّ فى الأعــضـــاد

أمسيت رسًــمًـا فى التراب مـعطلا وغــــدوت نصب روائح وغـــــواد

ويحى ! أترقـــد تحت أطبـــاق الثـرى وأقــــيم بعـــــدك هانئًـــا برقـــاد

أتبـــيت رهن صـــفـــائح وجنادل وأبِيتُ بين وســـائد ومـــهـــاد

لو أنصـــفت أيامنا لبكيــــتنى لكنهـــا تجـــرى بغـــيـــر مـــرادى

. . . .

يا زهرة شـــرقت بما تحـــيــــا به فـــذوت وأورق شـــوكــهـــا بفـــؤادى

إن الحـيـــاة - ومـا حـيـيتَ لكى ترى ســر الحـيـــاة - كـثـيــرة الأضـــداد

فلئن عـدوت من الحيـاة نعـيـمـهـا فلقـــد عـــداك شـــقــاؤها المتمـــادى

(*) عزاء المازنى : الجزء الأول .

(*) رثاء أخ «توفى غريقا» : الجزء الأول .

على قبر أخ(*)

أيهـا القبـر فيك غصن رطيب ... قصفته المنون قبل أوانه
مثل ما تعبث السموم بزهر ... عاطر ناضر على أغصانه
بنت يا مصطفى وما بنت على قلـ ... ـب كسير يذوب فى أشجانه
كان أحرى بك الديار من القبـ ... ـر وثوب العروس من أكفانه
سوف ألقاك فى الثرى عن قريب ... كلٌّ حيٍ موكل بزمانه

إلى الصديق الراحل(*)

نظمت فى رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعى» يوم وفاته

غاية الحى ساعة من زمانه ... ينتهى عندها مدى جثمانه
طُويت صفحة السباعىّ فينا ... وهو طاوى الطروس فى تبيانه
مُسمِح النفس فى الحياة تولَّى ... مُسمحَ النفس فى الردى قبل آنه
لم يطامنْ لصرعة الموت رأسا ... مَنْ صراع الحياة لهو رهانه[1]
ذاقها صابرًا وساغ مُريرا ... من جَنى دهره ومن إنسانه
وتأسَّى ، ومثله من تأسى ، ... ضاحكا من كرامه وهجانه
فتنته غواية الأب الحـ ... ـر فأودى بقلبه فى افتتانه
وثنى راحتيه عن خفض عيش ... كان حينًا أقصى مُنى أقرانه[2]
ما أراه على الحياة حزينًا ... بعض حزن الصحاب يوم احتجانه[3]
يا سليم الفؤاد فى باطن الرأ ... ى سليم الفؤاد فى إعلانه

(*) رثاء أخ مات غريقا وقد ضاعت أكثر أبيات القصيدة .

(*) إلى الصديق الراحل : وحى الأربعين .

(١) كان الفقيد يلهو بالرياضة البدنية كثيرا وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد فى سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه .

(٢) كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما فى الماضى ولكن السباعى رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجترأوا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب .

(٣) احتجن : جذبه بالمحجن أو ضمه واحتواه .

مـرض الدهر فـامض عنه مـعـافىً من أكـــــاذيبـــــه ر ن أدرانـه
أنت خـدن الكتـاب ، والموت سـفـرٌ صـــــدقُـــــه ظاهرٌ على عنوانه

* * *

على قبر حافظ يوم وفاته (*)

أبـكـاءٌ وحـــــافـظٌ فـى مـكـان ؟ تـلـك إحــــدى طوارق الحـــدثـان
كنتَ أَنسًا ، فكيف أمـسيت يا حـا فظ تَـدمـى لـذكـــرك العــــينـان
كنت تتلو الرثاء ، مـعنى فـمـعنى كـيف أمـسيتَ بعض تلك المعـانى !
كنت أعلى الجـمـوع صـوتًا فـهـلاً نطق الآن صــوتُ ذاك البـــيـــان
وعــــــزيـزٌ عـلـى بـلادك أن تـذ هب يـوم انبــريتَ للمــــيـــدان
يوم اطلقتْ من أسـارك حــرًّا وأبـيـتَ الإســـــــار لـلأوطـان
يوم أرسلتـــهـــا على ظالمى الأو طان طعـــانةً كـــحـــد السنان
ألـهم الله مـــصـــر فـــيك عـــزاءً لا بل العُـرْبَ فى شـفـيع «اللسـان»
كلمـا صـائر كـمـا صـرت يومـا والذى قـــد صنعت لـيس بفـــان

نصيب الحى والميت (*)

يـا صــــديقى لنـا البـكـاءْ ولـك الموت والســـــلامْ
عـنـدنـا الـنـور والـعـنـاء ! عـنـدك الـنـوم والـظـلام!
لـيـس يـأسـى أخــــو فـنـاءْ بـل أخٌ بـعـــــده أقــــام

* * *

أتبعُ الصـحـب فى القــبـور ببـكـائى ومـــا اهتــــديتْ
أنـا لـو دام لـى الشـــعــورْ بعـــد مـــوتى لما بكيتْ
عـــالـمٌ كـلـه غـــــرور عشتُ مـا عـشتُ أو قـضـيتْ

(*) على قبر حافظ يوم وفاته : وحى الأربعين .
(*) نصيب الحى والميت : هدية الكروان .

هالـكٌ كلُّ مـــا يكـون — تستـوى النفس والصـفـاة
فلمن تحصـد المنون — ولمن تزرع الحـيـاة ؟
بدأت حـكمـة الجنون — وانتـهت حكمـة الهـداة

* * *

الأستاذ غانم (*)

(كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر ثم طاف ببعض إخوانه ورجع إلى بيته فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضيت عليه رحمه الله وهو فى عنفوان أيامه ، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات .)

أكـان وداعـا يوم صـافحت غـانما — وهنأتـه بالعيـد ، والعيـد يسخر !
فـيـاويح للداعين فى غـفلة المنى — يرجّون طول العمـر ، والعمر مدبر
ويـاويح للأبناء يا خـيـر والـد — وقـد رُوّعوا فى ومكرهم حين بُشّروا
أذاك صـبـاح العـيـد أم أنا سـامع — صـياح يتامى فى الحمى تتفطر ؟
تلاحق فى تلك الثـغـور كـلاهمـا — فـيـاهول مـا نصـغى إليـه وننظر
وددت وقـد ضن البشـيـر بصـدقـه — لو آن نذيرًا بالمسـاكين يعـبـر
أغـانم إنى فى مـصـابك ذاهل — قليل التـعزى سافـر الحزن مضمـر
بذلت دمـوعى فى بكاك رخـيـصـة — ومـثلك من يبكى ويرثى ويذكـر
أفى كل يوم تبـصـر العين غـانما — ومن أين ؟ والأخلاق فى الناس تندر
عـرفت «أبا فـتـح» تولاه ربه — أخـًا فى وغى الأيام لا يتـقـهـقـر
وفـيّـا إذا شـاع الوفـاء وإنه — عليـه ، إذا عـز الوفـاء ، لأقـدر
كـريما إذا صـال العـداة وزمـجـروا — كـريما إذا خـان الصـحـاب وقصّروا
صـبـوروا على ضـر الغـريم وإنه — على الضر من ظلم الصديق لأصبر

(*) رثاء الأستاذ غانم محمد : عابر سبيل .

ضليعا بأعباء الأمور إذا ونى مدبر أمر أو أساء مقدر
أخوك «أمين»[1] فرّق العام منكما صفيين لم يفرقهما ما يكدر
على موعد العام القصير التقيتما فليتك من يسهو ومن يتأخر
سلام الخصال الصالحات عليكما وحمد المعالى والثناء المعطر
ولا زال فى دار المعارف منكما صنيع على الأيام يروى ويشكر

رفيق الصبا(*)(٢)

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وآذن فيك الصبر أن لا يعينني وآذن فيك الحزن أن يتغلبا
أألقاك عند النيل إن عدت فى قنا وارعاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟
ونشتنشد الأشعار فى كل ليلة ونطلب فى كل الأحاديث مطلبا
ونحسب أن الله لم يخلق امرءاً على الأرض إلا كى يقولَ ويخطبا
ونحصى على الدهر البرىءِ ذنوبه وما كان إلا مازحًا حين أذنبا
أألقاك ؟ بل هيهات قد حالت المنى فأقربُ منها أن أصافحَ كوكبا
إذا عدت استحيى الشبابين فى قنا وجدتك رسمًا فى التراب مغيّبا
وساءلت عنك الصحبَ أين مزارُه وأذريت دمعًا عن قبرك صيِّبا

* * *

عجيبٌ لعمرى موتُ كل محبّب إلينا ، وقد كان التعجب أعجبا
حسين ! عرفت الموت فيك غريبة وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
أمَنْ هو فى ذِكرى فتى العمرينطوى كما طوت الأسقام شيخًا معذّبًا ؟
نعم ينطوى الشبان والشيب فى الردى ورب فتى فى الردى فات أشيبا
وسيان فى عقبى الطريقين من مشى على عصويه من عياءٍ ، ومَن حبا

(١) الأستاذ أمين لطفى وقد توفى أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد .
(*) رفيق الصبا : هدية الكروان .
(٢) رثاء الصديق حسين الحكيم من أدباء قنا المعروفين بالورع .

عهدتك فى شرخ الشبا ناضر الصبا   وفاجأنى الناعى فأجفلت مُكْذِبا
ألا ليته لم يعرف الصدق عمره   ولم يك إلا كاذب الظن مُغربا

* * *

رفاقَ حسين أبِّنوه وأطنبوا   فما يخطئ الباكى سجاياه مطنبا
لقد كان ميمون النقيبة صالحًا   وكان أمين السر والجهر طيّبا
وكان عفيف القول لا يقرب الأذى   ولا يذكُر الإخوان إلا تحبُّبا
وكان على كنز القناعة آمنًا   وإن قصّر المسعى بدنياه . أونبا
إذا استمرأتْ مرعى الخيانة أنفسٌ   تحرَّج منها مُعرضًا وتحوَّبا
وكان عزيز النفس فى غير جفوة   ولا صلف منه ، إذا صد أو صبا
وكان سميرًا يملك السمع كلما   تبسّط فى أسماره وتشعَّبا
أديبًا يصوغ الشعر والنثر فطرة   ويؤثر فى الآداب من كان معربا
أليفا وفيا لا يفارق صاحبًا   ولا منزلا إلا انثنى فتقرَّبا
أحبَّ قنا واستعذب العيش فى قنا   فلم يُغره عيش ، وإن كان أعذبا
لئن ذكر الوافون عهد ولائه   لما ذكروا إلا الوفىَّ المهذَّبا

* * *

رفاق حسين أسهبوا فيه واذكروا   رفيقًا له يعتاده الحزن مسهبا
على كثب منه اجتمعتم فليت لى   مكانًا من الجمع القنانىِّ مكثبا
كأنى وقد فارقته قبل يومه   سمعت له نعيين يوم تغيبا

* * *

إذا مارثى المحزون إلف شبابه   رثى قلبهُ شطرًا من القلب مخصبا
وودع من عهديه فى العمر قِبلةً   أخفَّ على الروّاد زادًا وأرحبا
إذا جازها أودى بمختار عيشه   ولم يبق إلا ما اتقى وتهيبا

ألیف الصبا لا تشك فی الموت وحشة | فما زال ركب الموت أحفل موكبا
تعاقبت الأجیال تحت لوائه | وإن بعدوا دارًا وعهدًا ومأربا
وما الزمن المحضور إلا بقیةٌ | من الزمن الماضی تلاقت لتذهبا
علیك سلام الله حتی یظلنا | سلامٌ أظل الناس شرقًا ومغربا

نعی حافظ

كلٌّ خطب دار فی خلدی | غیر خطب فتّ فی عضدی
نعیُ من قد كنت أحسبه | بعد یومی ، باقیا لغد
حافظٌ یُنعی إلی ؟ لقد | غلطت دنیای فی العدد
ساء ذاك النعی من بدَل | كان من لقیاه فی بلدی[1]

* * *

الشهید معاویة(*)

(. . . احتفل أدباء السودان بتأبین الأدیب السودانی النابغ معاویة محمد نور ، وقد لقی نصبًا من سقامه وعوجل رحمه الله فی ریعان صباه دون الثلاثین ، بعد أن بشر العالم العربی بأمل كبیر لم تنجزه المقادیر .

وقد أرسل صاحب الدیوان هذه القصیدة لتلقی فی یوم تأبینه ، عوض الله الأدب فیه خیر العوض وعزی الأدباء أحسن العزاء :)

أجل هذه ذكری الشهید معاویةْ | فیالك من ذكری علی النفس قاسیة
أجل هذه ذكراه لا یوم عرسه | ولا یوم تكریم ، ودنیاه باقیة
فما أقصر الدنیا التی طوّل الضنی | أصائله فیها ، وأشقی لیالیه
وما أضیع الآمال آمال من رأوا | مطالعه فی مشرق النور عالیه
ومن أیقنوا أن الهلال الذی بدا | علی الأفق أحری أن یعمّ نواحیه

(١) وصل نعی الأستاذ حافظ جلال إلی صاحب الدیوان وهو فی بلدته أسوان منتظرا قدومه إلیها للاستشفاء .

بكائى عليـــه من فــؤاد مــفــجّع ... ومن مـقلة مـا شـوهدت قط باكـيـة
بكائى على ذاك الشبـاب الذى ذوى ... وأغـصـانه تخـتـال فى الروض نامـيـة
بكائى على مـا أثمـرت وهى غـضـة ... وما وعدتنا ، وهى فى الغيب ماضية
فــضــائل منهــا نخـبــة أزهرت لنا ... لمامًا ، وأخرى لم تزل فيـه خـافـيـة

* * *

تبــينت فـــيـــه الخلد يوم رأيتـــه ... ومــــا بان لى أن المنيــــة آتيــــة
ومـــــا بان لى أن أطالع ســـيـــرة ... خــواتيــمــهــا من بدئها جـدّ دانيـة
وأن اسـمــه الموعـود فى كل مـقـول ... سـيـسـمـعـه الناعـون من فم ناعـيـة
أجل هذه ذكـــراه يا نفس فــاذكـرى ... فـجـيـعـتنا فـيـه ، ومـا أنت ناسـيـة
أجل هذه ذكــــراه يا عين فـــاذرفى ... عليـــه شـــآبيـب[1] المدامع دامـيـــة
إذا قـــصـــرت أيام من نرتجــيـــهمُ ... فيـاطول حزن النفس والنفس راجـيـة
ويا طول حـــزن النفس وهى منيــبــة ... إلى اليـأس من عجزٍ بها ، وهى آبية
فـــيــايوم ذكـــراه سنلقـــاك كلمــا ... رجـعـت إلينا والضـمـائر صـاغـيـة
ويا عـــارفـــيـــه لا تضنوا بذكـــره ... ففى الذكر رجعى من يد الموت ناجية
أعــيـــروه بالتـــذكـــار مـاضنّ دهره ... به عـيـشـةً فى مـقـبل العـمـر راضيـة
وزيدوا النفــيس النزر من ثمـــراته ... بتكرارها فى القلب أولى وثانيـــة
فـإن لم تكن فى العـد كـثـرًا فـبـاركـوا ... مـعـانيـهـا حـبًّـا ، ووفّـوا مـعـانيـه
عليـــه ســـلامٌ لا يـزال يعـــيـــده ... ويبـــديه شـــاد فى الديار وشـــادية

يوم إبراهيم(*)(٢)

عـــجـــبى لأحـــداث الزمـــا ... ن ، وكـم رأيت وكـم رويتْ !
أولى الـفـــجـــائع باتقـــا ... ئى ، لـم يكـن مما اتقـــيـتْ
مــــــا دار فـى خـلـدى ولا ... فكرت فيـه ، ولا احـتـمـيتْ
لما نعـــوه حـــســـبـــتـــه ... فى الأرض لم يسبـقـه ميتْ

(١) جمع شؤبوب : وهو دفعة المطر .

(*) يوم إبراهيم : بعد الأعاصير .

(٢) الشاعر الناثر ، الأديب الناقد ، إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحمه الله ، وقد تلقى صاحب الديوان نعيه وهو فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة (١٩٤٩) .

يا يوم إبراهيم حسـ — ـبى من لقائك ما التقيت
لم أنتظرك ولست أذ — كر فى غد كيف انتهيتْ
لوددت أنك يا أخى — فى الناس آخر من رأيتْ
هل فى البريّة صاحب — أُبقى عليه ، وقد مضيت
ما بعد نعى النفس من — حزن يطاق ، وقد نعيتْ

أخى إبراهيم(*)

أمير بلاغة وأمين نقد — ورب رسالة ، وبشير عهد
وذو قلم كغصن الروض يُهدى — جناه أو كحد السهم يُردى
أديب راض أفذاذ المعانى — على ألفاظها ندا لندّ
له لبٌ يترجم كلَّ لب — وينقل عنه ما يخفى ويبدى
ملىء القلب من ثقة وحب — برىء الصدر من حسد وحقد
أراح الحاسدين ، فإن تحدّوا — له فضلا ، أعان على التحدى
إذا اقتتلوا على الجدوى رماهم — بقول أبى علاء «غير مُجد»
وتحسبه استراح إلى سبات — ويسبق غايةً اليقظ المُجدّ
فسل عنه شعاب «الضاد» تعلم — مناهل فيضه فى كل ورد
إذا عنّ المصاب به فويلٌ — لفرد خصّه بمصاب عِدّ(1)

* * *

وقالوا «المازنى قضى» فضلّت — مقاصد قولهم ، أو ضل رشدى
كأنّ حديث مازعموا خيالٌ — بعيدٌ فى الحقيقة أىّ بعد
إذا عينٌ غفت فاعجب لأخرى — من العينين عالقةٍ بسهد

* * *

صحبنا العمر عامًا بعد عام — على الحالين من ضنك ورغد
وبين تعهّد منه ومنى — وبين تبسّط منا وجد
وغيّرت الحوادثُ كلَّ عهد — سوى ما بيننا من عهد ود

(*) أخى إبراهيم : بعد الأعاصير .

(1) أى مصاب كثيرين .

إذا أخــــذت مــــذاهبنا وردّتْ أمنّـا نـحـن مـن أخـــــذ وردّ
ولجـمـد فى العـشـيـة ملتـقـانا إذا ذهب النـهــار بكل حـمـد
وأرحب مـا تلقّـانا اجـتـمـاعٌ على شــملين من أدب ونقـد
هى الآفـاق عـاليـةٌ ذراها على مـا ضـاق من غـور ونجـد
رأينا كلَّ صـادعـة فـزالت . . أيصـدع مـا رأبنا شقٌّ لحـد !

* * *

. . . .

نمينا شـعـرنا صنوين حـينا فكيف رثاؤه بالشـعـر وحـدى
وجـاوزنا السـهـول مـعًـا فـمـاذا ستـجـدى فى الوعـود جـهـودُ فـرد
إذا ثقل الشـبـاب ، ولى زمـيلٌ فـيـابؤس المشـيـب المسـتـبـد(١)
حـيـاةً إن تطلْ فـالويل ويلى وإن تقـصـر فـقـد أُبلغتُ قـصـدى
سـلامًـا أيهـا الدنيـا سـلامًـا لأنت أحبُّ لى لو عـاش بعـدى

عـزاء(*)

(توفيت قرينة الأستاذ عبد الرحمن صدقى ،
فكتب إلى صاحب الديوان هذه الأبيات :)

أخى ، منذ أعـوام تلألأ مـسكنى وشـاع به ضـحك الرضـا والتَّـيـمّن
لقـد كـان عـرسى يومـذاك ، ومـولدى بـكـون جـديـد مـن هـوىً وتحـنن
أخى ، تلك أعيـادى وأعيـاد زوجـتى ومـا حلّ منهـا العـيـد إلا ذكـرتنى
وأرسلت لى فى كل عـيـد مـهـنئـا وباركتَ لى فى جنتى وغـبطتنى
مـضت هذه الأعـيـاد من غـيـر وجـعـة وهذى مـرائى زوجـتى اليـوم فـارثنى

فأرسل إليه صاحب الديوان هذه الأبيات معزياً :

أخى ! مـا عـزائى أن أهوّن فـاجـعًـا أراه – وإن لم أبْلهُ – غـيـرَ هيّن
ولـكـن عـزائى هذه الحـرب زلزلت قلوب بـنى حـواءَ فى كـل مـأمن

---

(١) استبد بالسير : انفرد به .
(*) عزاء : بعد الأعاصير .

ولكن عزائى هذه الفتنة التى أطاشت رؤوس الخلق من عاش أوفنى
ولكن عزائى هذه الأرض علّمت بنيها هوان العيش علمَ التّيقّن
قضاءً علينا فى الحياة فراقنا لأحبابنا حيث التقينا بموطن
فجيعتنا فيمن نحب بديلها فجيعتهم فينا ، ومن يبق يُغبَن
فلاترضَ للأحباب غبنًا يؤدهم وليس الرضا فى الحالتين بممكن
ألا هان عيشٌ لا يزال خياره لن يرتجيه شاكيًا : مُتْ أو احزن

* * *

أخى ! هذه الدنيا وهذا عزاؤها قصاراه - بعد الجهد - تسليم مُذعن
وما أحسب الإيمان إلا حقيقة فلا صبر فيها لامرئٍ غير مؤمن

نعى كاذب(*)

لقد كذب الناعى وأنعمْ بكذبه فلا صدق الناعون يومًا ، ولا هموا
فزعتُ لخطب الموت والموت واحد فكيف احتمالى فيك موتين يا أمُّ

صادق بعد حين

سرى نبأ لا يهاب الظلاما ولا يتقى يقظة أو مناما
يقينٌ وما خلتهُ باليقـ ـين ، ولا اعتصم القلبُ منه اعتصاما
فراقك يا أمّ لم أحتسب له بغتةً أو نذيرًا ترامى
وما روّضتنى له الحادثا ت ، وإن رضتُ منها الخطوب الجساما
كأنى ادّكرتك لى مولدا فلم ادّكر لك يومًا حماما
حسبت الأمومة أخت الدوا م ، وخادعتُ ظنى عليها دواما
وأفحمنى فيك خطب النّعـ ـىّ ، وفى غيره ما شكوت الفُحاما

* * *

تعجّب قوم لشيخ بكى ... أكان المشيب لدمعى فطاما ؟
وأم لما دون عشرٍ تعـ ـزّ فراقا فكيف لسبعين عاما

(*) نعى كاذب : وحى الأربعين .

لئن عظم الموت يا أمّتا | لقد هان يوم سكنت الرغاما
وما أرخص النور لما غلا | على مقلة لا تطيق السّواما
خلا الكون منك فماذا أرى | من الكون بعدك إلا ظلاما
فيا هولها من قفار تركـ | ـت ، ويا شد ما قد عرتِ الرّجاما
تلاقَى ذَوِيّ ببطن الثرى | فأنعم بحيث أقاموا مقاما
لأجلك كنت أخاف الخطو | ب ، فما الخوف بعدك إلا سلاما

آخر الخطباء

أسمعت جهدك يا نعيّ وهيب[1] | إن السميع اليوم غير مجيب
اليوم يصمت من كرام لداته | في مصر ، آخرُ قاتلٍ موهوب
اليوم غاب بقيةٌ من معشر | أذنت منابرهم بطول مغيّب
تلك المنابر ودّعت فرسانها | من كلِّ ذى لسَن وذى أسلوب
لا نسمع الفصحى على أعوادها | سحرًا لأسماع لنا وقلوب
كلا ولا يهتز موقع شدوها | إلا لصوتٍ طارق بنعيب
خطبٌ ولكنْ ما له من خطبة | «قطعت جهيزةٍ قول كل خطيب»

داء بغير طبيب

جلّ في العارفين خطب «حسين» | رجل الفضل والنهى والسداد
الطبيب اللبيب ، يرحمه اللـ | ـه . لقد كان رحمةً للعباد
ما استبد السقام إلا شفاه | باجتهاد من طبه واقتصاد
كيف يعدو عليه عادى المنايا | وهو يثنى من غربها كل عاد
لو يُفدّى من المنية حيٌّ | حق فيه الفدى على ألف فاد
«كيف أصبحتَ في محلك بعدى | يا جديرا منى بحسن افتقاد»[2]
يا وفيا ، ولا وفاء بعهد | في اقتراب من أهله وابتعاد
محييَ الود للمغيَّب في الدهـ | ـر وقد مات فيه حي الوداد
عاليَ الرأس لا تصيخ لغاو | راح يكسو غيا بثوب رشاد

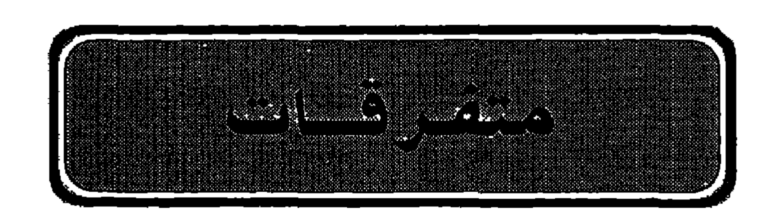
(١) رثاء الخطيب المغفور له الأستاذ وهيب دوس .
(٢) هذا البيت مقتبس من المعرى .

عـازفـا عن مطامع العـيش كـبـرا   عن صـغـار الآمـال والأحـقـاد
«همـة» مـثلمـا تسـمـيت تعلو   عن منـال الأنـداد والحـسـاد
كم رجـاء زهدت فـيـه ومـا كـا   ن زهيـدا فـى شـرعـة الزهاد
مـؤمنـا بـالإلـه تـعـلـم أن الـطـ   ـيب عـلـم ينهـى عـن الإلحـاد
ليت شعرى : من كنت تحنو عليهم   فى الثـرى ، هل حللت منهم بواد ؟
هـل تـلاقـى روح بـروح ووافـى   آخـر العـمـر أول الميـلاد :
تلك رؤياك كنت تنعم فـيـهـا   كنعـيم العـيـان للشـهـاد[1]
كم صـحـبنا الزمـان حلوا ومـرا   وخطوب الزمـان بالمرصـاد
والتـقـينا على الجـوار كـأنى   آمـن عـنـد حـصـنك المرتاد
تسـبق النخـبـة الأجـلاء طبـا   وأرى منـك أسـبق العـواد
وافـتـرقنا يوم افـتـرقنا على مـو   عـد لقـيـا ، فكان يوم المعـاد[2]
تسـتـعـيـد السـؤال عنى ولا تسـ   ـأم نصـحى يومًـا ولا إرشـادى
وأناديك سـائلا بعـد نأى   فـيـجـيب النعـاة رجع المنادى
يا طبـيـبى مما يكابد جـسـمى   وطبـيـبى مما يعـانى فـؤادى[3]
إن حـزنى داء بغـيـر طبـيب   ونوى طوحت على غـيـر زاد
أحـسـن الله يا حـسين اصطبـارا   فـيك لو يهـتـدى إلى الصـبـر هاد
هل يقـر العـيـون طول سـهـاد   إن أقـر العـيـون طول رقـاد ؟

(۱) كان الدكتور حسين همت طبيبا للشاعر وكان بينهما تجاور وتزاور . وكثيرا ما تحدث الطبيب إلى الشاعر فى موضوع الأرواح والحياة بعد الموت على أثر مصابه بفقد بعض أهله وأعزائه . وإلى ذلك يشير الشاعر فى بعض أبيات القصيدة .

(۲) علم صاحب الديوان بوفاة صديقه من رسالة بعض الإخوان أثناء رحلته الشتوية إلى أسوان ولم يطلع على تعيه فى الصحف .

(۳) كان الطبيب أول من يعود الشاعر وإن تولى علاجه طبيب غيره من الجراحين أو أطباء العيون ، وهذا معنى البيت : «تسبق النخبة الأجلاء . . .» .


متفرقات

الشاعر الأعمى (*)

شكا الشاعر الباكى عمىً قد أصابه ... وأظلم ما نال العمى جفن شاعر

ينوح بعين لم يدع عندها البلى ... سوى نبع حزن ناضب الماء غائر

وتلحظ عين الشمس شزرًا جبينه ... فيطرق إغضاءً بمقلة حاسر

ويسألهم : هل أومض البرق فى الدجى ... وهل طلعت فيه وجوه الزواهر؟

وهل يلمع الدرُّ المنضد والحلى ... على الغيد أم بات الحصى كالجواهر

تكاد تشق الأفقَ زفرة صدره ... إذا راح يلحاه بصيحة حائر :

«تجود لعين الذئب يا أفق بالسنى ... ليهديَه فى فتكة بالجآزر

وترميه فى بئر عميقٍ قرارها ... وتسفكه فوق البطاح الغوامر

وتسلبنى نورًا أراك بوحيه ... فأظهر ما أخفى سواد الدياجر

وأرجعه معنى على الطرس مشرقًا ... يضىء سناه مظلمات السرائر ؟

لمنْ تجمل الأكوان إن كان لا يرى ... بدائعَها عين ترى كلَّ باهر

فما كانت الدنيا سوى حسن منظر ... وما جاد فيها الحظ إلا لناظرى

وهل كنت أخشى الموت إلا لأنهُ ... سيحجب عنى حسن تلك المناظر ؟

فها أنا لا جهد الحياة بهاجرى ... أمينًا ولا ريب المنون بزائرى

جمعتُ شقاء العيش فى ظلمة الردى ... فيالىَ من ميت شقى الخواطر

أرى الصبح وهاجًا بمقلة نائم ... ويلحظه قلبى بحسرة ساهر

ومن لى إلى هذا الوجود بلمحة ... أراه ولم يعم التراب بصائرى

فيا قلب انفق من ضيائك واحتسب ... لدى الشمس لألاءَ الوجوه النواضر

(*) الشاعر الأعمى : جزء أول .

تنازع الفردوس (*)

يتحاسدون على الهباء فما لهم ... لا يحسدون البَرَّ فيما يؤجر
نقموا على الكفار أن تركوا لهم ... أجر السماء وأنكروا ما أنكروا
لو كان ما وُعدوا من الجنات فى ... هذى الحياة لسرَّهم من يكفر(1)

المصور (*)

. . . .

فى طى ريشته وضمن بنانه ... روح بها يحيا الجماد فيخلد
بينا يداس على الثرى حتى يُرى ... ربَّا تخر له الجباه وتسجد
أولى القرائح بالدوام قريحة ... تجرى على الصخر الأزل فتجمد(2)
معبودةٌ فيما تحل كأنها ... ظل الإله على الخلائق يُعبد

إيه يا دهر (*)

إيه يا دهر هات ما شئتَ وانظر ... عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت فى بلائك إلا ... هان بالصبر منه مالا يهون

(*) تنازع الفردوس : جزء أول .

(1) يود الناس أن يكثر المؤمنون منهم ليشاركوهم فى نعيم الفردوس الموعود ولكن ترى لو كان الفردوس دارًا فى هذه الدنيا أكانوا يودون أن يكثر شركاؤهم فيها ؟؟ .

(*) المصور : جزء أول .

(2) إذا ثبتت القريحة على الصخر الأزل الذى لا يثبت عليه شىء فهى إذن أولى بالثبات والدوام .

(*) إيه يا دهر : جزء ثان .

رحلة إلى الخزان(*)

. . . .

قلت وهل يفهم عن لساني   «ما بيننا يا ذئب من أضغان
فاذهب إلى وردك فى أمان   لا يحرم الماء على عطشان»
فمرّ يعدو كاشر الأسنان   وهو ينادينا ولا يداني
حتى وردنا أول البنيان   على دوىّ هائل مرنان
موّار ماءٍ ثائر الدخان   كالنقع قد ثار على الفرسان
مصطفقةً فىً حلبة الدهان   قد غلب الصوتُ على الآذان
فبات أدنى الهمس كالأذان   مستويين ليس يُسمعان
وشرّد النوم[1] عن الجنّان   فردّدت صداه فى الرعان[2]
وتحسب الماء من النيران   مندلعًا يقذف بالصوّان
طرائقا فى الأرض ذا ألوان   كالليث أحيانًا وكالثعبان
مندفقًا منحسرًا فى آن   مرتفعًا منحدرًا سيان
ملتئما منشعب الشغبان   يبيّض كَالمحض من الألبان
مجذذ[3] الرغو على الصمّان   قد شنها فى تكلم القيعان
شعواء تغرى القوم بالطعان   وتحفز الخيل إلى الميدان
وتجعل الراضى كالغضبان   وتبعث النخوة فى الجبان
قامت عليها أعين الشهبان   وارؤس الجبال تشهدان
وكم لهذا الماء من معان   فى قوة البطش وفى الليان
وفى اختلاف الشكل والجثمان   كأنه يلبس ثوب الجان
فصاعدٌ فى الجو كالعقبان   وسارب فى مزحف الديدان
وغائصٌ فى الأرض كالشيطان   ولاعبُ الأمواج كالحملان

(*) رحلة إلى الخزان : جزء أول .
(١) كأن دوى الماء أقلق الجن فقامت تردد صداه .
(٢) أنوف الجبال .
(٣) مقطع أو مفتت .

وطائر البخار فى الأعنان كالنفس الخافى عن العيان
وفيه من أمن ومن عدوان فهو قوام الزرع والأبدان
وهو الوباء الجارف الطوفان وهو هو الدنيا لدى الظمآن
وهو هو الموت لدى الغرقان شارفته والليل شطرتان
فما صغا الليل لصوت ثان ولا أمال مسمع الأمان
ألا إلى هاتيكم الألحان كأنها تجاوب الغيلان
ثُمت أدلجنا إلى أسوان وفى طريق الصبح غلوتان
فيالها ، وما عدوت شانى، من رحلة طيفية الأوان(1)

أتمنى (*)

أتمنى يومًا لو أن حياتى تنقضى كلها ولا أتمنى
أتمنى وقد أطلت التمنى لو تعلمت كيف أن أتمنى
أتمنى لو علمتنى الليالى باطل الأمر قبل أن أتمنى
منية لو تحققت لتساوى ما تملكته وما أتمنى

* * *

(1) نسبة إلى الطيف والطيف يسرى ليلا والإدلاج هو مشى الليل .
(*) أتمنى : أعاصير مغرب .

القمة الباردة(*)

(للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة . فإذا نظر الإنسان إلى حقائق الأشياء لم ير شيئًا ولم يشعر بشيء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلى كل حركة متشابهة فى كل ذرة . فخير له ألا ينظر إلى الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض ، لأن الحى لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التى تقع عليها الحواس وتدركها البديهة ، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلى قمتها الباردة التى لا يشعر فيها بحياة .)

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى ... فإياك والقمة الباردة
هنالك لا الشمس دوّارة ... ولا الأرض ناقصةٌ زائدة
ولا الحادثات وأطوارها ... مجددة بالخلق أو بائدة
قوالب يلتذ تقليبها ... أناس وتبصرها جامدة
ويعجب قوم بترقيشها ... وألوانها أبدًا واحدة
وتعلو وتهبط جدرانها ... وأساس جدرانها قاعدة
ويابؤس فان يرى ما بدا ... من الكون بالنظرة الخالدة
فذلك رب بلا قدرة ... وحى له جثة هامدة
إلى الغور !! أما ثلوج الذرى ... فلا خير فيها ولا فائدة

على أطلال بعلبك(*)(١)

أيا «بعل» هذا قادم لك مقدم ... وفىّ لمن يزرى به الدهر مكرم
دعوتَ وحوليك الاسنة شرّع ... فلباك لا تثنيه نارٌ ولا دم
أتاك من الوادى الذى فى ضفافه ... تسامى «لآمونَ» البناء المدعّم
وأقوى كما أقوت ذراك على المدى ... وأقصر عنه العابدون وأحجموا

(*) القمة الباردة : جزء ثالث . (*) على أطلال بعلبك : جزء رابع .
(١) «بعل بكى» معناها سيد الوادى كما يرجح بعض المؤرخين .

يحـيـك عن «آمـون» فى مـسـتـقـره | وأنت المحـيـىّ باسـمـه والمسلم
فـمـا بعل إلا اسم لآمـون تلتـقى | له صـور شـتى ولفظ مـقـسّم

* * *

ويـا دار بـعـل وهـى لا بـعـل عـنـدها | وياحـصن بعل وهى لا شىء تعـصم
ويا جـارة الماضين والدهر جـائر | ويا مـشـرق الآمـال والليل مظلم
عـزاءً إذا أدبرت والعـيش مـقـبل | وروضك مطلول[1] الأزاهيـر يبـسم
ولـم يدفـع الأربابُ عنـك ولا الآلـى | أنابوا إليـهم بالـدعـاء ويمـمـوا
ومـا حـيلة الأرباب فـيك وإنهـا | لتُبنى كـمـا تبنى الصـروح وتهـدم؟!

* * *

«جبيتير»[2] جبـار الصواعق ساهر | عليك وسلطان العُـقـار مـخـيّم
ولـلزهرة الغـراء عنـدك قـبـلة | يطل عليـهـا مـسـجـد مـتـجـهـم
وفـيك مُـصلّى للمـسـيح ومطهـر | وفـيـك منـار للنبى ومـعـلـم
شـفـاعـات أرباب لديك كـثـيـرة | وركنك مـصـدوع العـمـاد مـحطم!
فـمن ذا يرجى العفو أو يأمن الحمى | إذا مـا طغى صـرف من الدهر مبـرم ؟

* * *

عـزاء إلى اليـوم الذى فـيـه يسـتـوى | أخـيـرٌ على حكم الردى ومـقـدَّم
وصبرًا إذا مـا شئت صبرًا على البلى | وإن لا تشـائى فـالقـضـاء مـحـتم
سـتـحـفظك الذكـرى مليًّـا وتنطوى | فـلا ذاكـرٌ يومًـا ولا مُـتـرسم

---

(١) حول الهيكل المتهدم روض يتجدد كل عام بأعذب الفاكهة هناك وأنضر الأزهار .
(٢) أو «زوس» إله الآلهة ورب الصواعق وباكوس رب الخمر ولكل منها معبد فى الهيكل .

إلى غندى يوم إفطاره (*)

غندى لك النصر المبين على المدى ... ولشانئيك الخسر والخذلان
لم ألق قبلك من يحرر قومه ... وهو السجين الجائع العريان
بالجوع والحرمان تصلح أمة ... أخنى عليها الجوع والحرمان
خذ من قرارة دائهم لدوائهم ... بعض السقام من السقام ضمان
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم ... بقر السّوام ويُلعنَ الإنسان
عكسوا الأمور فكان عكسُ أمورهم ... بعضَ الجزاء ، ومن أهان يهان
فاشع لنقص القوم عند كما لهم ... فكذاك تغفر ذنبها الأوطان[1]

الظن (*)

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا ... وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألف عين ، وإن تشأ ... فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

القلم المسروق (*)

زاملنى فى السجن ذاك القلم[2] ... وناله ما نالنى من قسَم
ومس من فكرى وأسراره ... ما رامه الناس وما لم يُرَم
فربّ معنىً ما وعاه سوى ... ريشته ، ثم انطوى فانحسم
وكم له من حصة تُرتَضى ... فيما جرى من أدب أو حكم
وكم له من نفخة كالصَّبا ، ... وكم له من لفحة كالضّرم

(*) إلى غندى يوم إفطاره : وحى الأربعين .

(١) الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع فى غفران سيئة . أما الوطن الذى لا غفران له فهو الوطن الذى لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربى عليها .

(*) الظن : أعاصير مغرب .

(*) القلم المسروق : عابر سبيل .

(٢) كان هذا القلم من الودائع التى بقيت فى السجن تسعة أشهر ملفوفة محبوسة كذلك .

وكم له من زهر مُجتنى ... وكم له من ثمر مُلتهم
سجّل ما سجّل من رحمة ... أو نقمة مرت بأرض الهرم

* * *

ورب مسكين قضى حقه ... وغاشم أحصى عليه اللّمم
أعززته عن حلية تُقتنى ... وصنته عن غاليات القيَمْ
ولى أخٌ يذكرنى بالنعمْ ... فقلت أجزى بعض تلك النعم
فلم أجد أنفس منه لمن ... محّضنى قلبًا نفيس الشّيمْ
قد صان ما أكتب فى صدره ... فغير بدع أن يصون القلم
يظل يستوحيه فى كل ما ... أوحى ، ويرعاه كرعى الذمم

* * *

رعاه فى أمن إلى أن قضى ... عليه بالفقد قضاء حتَم
فغاله منه لصوص لهم ... من كل عين فرصة تُغتنم
فى يوم حشر حافل المزدحمْ ... ضلت به العين مكان القدم
قد نام عنه لحة فى الضحى ... فبات فى ليلته لم ينم

* * *

أما وقد فارقتنا يا قلم ... وصالح اليأسُ عليك الألم
فخير ما أرجوه أن لا تُرى ... فى كف خوان ولا مُتّهم
ولا تخط الجهل فى صفحة ... «أبيضُ» ما فيها سواد الحمم
ولاتكن يا قلمى آلة ... تشتمنى باللغو فيمن شتم
فتنظم الحكمة لى من هنا ، ... ومن هنا تنحى على من نظم
بدأت فى الأوج فلا تنحدر ... إلى حضيض الذل فى المختتم

* * *

بين التعب والراحة (*)

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعـ ـجب إلا من راغب فى ازدياد

ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أعـ ـجب إلا من راغب فى ازدياد
ما ابتغاء المزيد من يوم أمنٍ عاطل لا يزاد بالتعداد
فالزمان المريح تكرار شىءٍ واحدٍ واطّراد حال معاد

* * *

هذا هو التاريخ (*)

من جانب القبر لسان بدا يكذب ما شاء ولا يستحى
هذا هو التاريخ لو أننى صورته يومًا على المسرح

* * *

رأى الناس (*)

من عوّد الناس خيرًا طالبوه به كأنه الدّين يُلوى بالمعاذير
ومن تعقّبهم شرًا فأمهلهم يومًا تقبّل منهم أجر مشكور
لا أرى للناس فى نفع ولا ضرر وما لهم قط من حكم وتقدير

(*) بين التعب والراحة : أعاصير مغرب .
(*) هذا هو التاريخ : أعاصير مغرب .
(*) رأى الناس : أعاصير مغرب .

سيان (*)

إن قـــبل بالحق أو البـــهـــتـــان
دعـــهم يقـــولون ، وقل ســـيـــان ،
ســـيـــان مـــهـــمـــا افـــتـــرق الضـــدان
سيـــان مـــهـــمـــا اختلف الخـــصـــمـــان
ســـــيـــــان ألـفٌ هـى أو ألـفـــان
ســـــيـــــان بيـــدٌ هى أو مـــغـــان
ســــيـــــان نـور أو ظـلام فـــان
ســـيـــان من يلهـــو ومن يعـــانى
قـلـهـــــا ببـــــروهـان ولا بـرهـان
وأنــت أنــت أحـكـم الـزمــــــان
وإن تـصـــــــدوا لـك بـالـنـكـران
أو ضـحكوا سـخـرًا فـقل سـيـان !

خداع النفس (*)

يقـــول ومـــا قـــضـى عـــجـــبًـــا
فـــتـى يخـــبط فى حـــدســـهْ

أيـخـــــدع نـفـــســـــه رجـل
لـه عـــــيـنـان فـى رأســـــه؟

أجـل يا صـــــاح : عـــــينان!
وزد مـــا شـــئـت من حـــســـه

وهـل أخـــــــدع لـلإنـســـــــا
ن بين الـنـاس مـن نفـــســـه

خـــداع الـنـفـس مـــعـــهـــود
وقـــاك الله مـن دســــه

(*) سيان : أعاصير مغرب .
(*) خداع النفس : أعاصير مغرب .

الأستاذ طاهر (*)

أخى السيد طاهر :

قل لى بحـــقك كم بلغت سنينا ... خـمسين ؟ أو سـتين ؟ أو سـبـعـينا
إنى أراك كـــمــا عـــهـــدتك بادئًا ... شـوط الشـبــاب تناهز العـــشـــرينا
قـــد كنت بين الناشـــئين مـــحنَّكا ... حـسن الأناة ، مع الخطوب ، رصينا
واليـوم تقـتـحم الكهـولة سـابقـاً ... خطو الشـبـيـبـة لا تطيق سكونا
آناً فـــتـىً بين الشــــيـــوخ وآنةً ... شـيـخـاً مع الفـتـيـان مـسـتـبـقـينا
خـــذ هذه أرقـــامنا من واحــــد : ... ضعْ بعـــدها الشـــفـــر العـــزيز يمينا
عـــشــرًا إلى عـــشــرين أو خـــمســ ... ين أو ستين صاعـدةً إلى التـسـعـينا
إن قلت عـــشــرا صـدقـوك وإن تقل ... تســعين قلنا عــشــتــهـــا عـــربونا

* * *

أفـــتى طناح لا برحت مـــهنئًـــا ... ومـــهنَّأ بالصـــالحـــات قـــمـــينا
إن السنين - وقـد صـدقتَ - لعلهـا ... مـــرت بمدرجـــة الزمـــان قـــرونا
وإذا حـــســبت صـــفــاءها فلعلهــا ... ساعـات حلم مـا اغـتـمـضن جـفـونا
حـسـبى وقـد فـرغت يدى من زادها ... أنّى أبَيتُ لـهـــا الـفـــراغَ قـــرينا
ورضـــاى عنهـــا أنهـــا لم تُرض فى ... عـــهـــد ظلومًـــا أو تســـر خـــؤونا
ومنـاى منهـــا أن أعـــيـش ولا أرى ... أبدًا بأوهام الـمُنى مـــفـــتـــونا
ومـــداى فـــيــهـــا أن أودّعــهـــا ومـــا ... ودعـــتـــهـــا أسِـــفـــا ولا مـــحـــزونا
مـــا دام فـــيـــهـــا حـــامـــدون كطاهر ... فـــالله أحـــمـــدُ . لست بعـــدُ غـــبـــينا

(*) إلى الأستاذ طاهر الطناحى جوابا لقصيدة كتبها إلى صاحب الديوان لمناسبة بلوغه السبعين .

الفن الحى (*)

أو الحياة الفنية

خذ من الجسم كلَّ معنى ، وجسّم من معانى النفوس ما كان بكرا
حبذا العيش يبدع الفكر جسما بتجليه ، ويبدع الجسم فكرا
ويرى الفن كالحياة حياةً ويرى للحياة فنا وشعرا
ضلَّ من يفضل الحياتين جهلا واهتدى من حوى الحياتين طرا

الحان والمسجد (*)

ترتدين أن أرضى بك اليوم للهوى وأرتاد فيك اللهو عبد التعبد
وألقاك جسما مستباحًا وطالما لقيتك جمٌّ الخوف جمٌّ التردد
رويدك إنى لا أراك مليئة بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم فى الضلوع وعثرة ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الحان والطلى ففى غير بيت كان بالأمس مسجدى

أحلاهما مر (*)

لم أسغ أشهى مذاقيك فما مزجك الكأس بطعم العلقم؟
خلّ يا دهر لغيرى مزجها إن أحلاك لمرٌّ فى فمى

(*) الفن الحى أو الحياة الفنية : هدية الكروان .
(*) الحان والمسجد : الجزء الرابع .
(*) أحلاهما مر : الجزء الرابع .

فوق الحب (*)

صاحبى مَن سروره وسرورى ... فى صفاء الزمان يلتقيان

وصديقى من استجد سرورا ... من سرورى ، وإن تناءى مكانى

وحبيبى من قلبه كيفما كا ... ن ، وقلبى فى الشجو يستويان

فالذى يرتضى العذابَ لأرضَى ... كيف أدعوه ؟ وما اسمه فى البيان؟

ذاك فوق الحبيب إن كان فوق الحـ ... ـب شئٌ يُرجى من الإنسان

ذاك فيه من صبغة الله سرٌّ ... جلَّ عن صبغة الوجود الفانى

النور (*)

طهرت بماء سمائها أمم ... وبه تطهّر روحها الهند

والروح أولى بالطهور لها ... نور يخف بها ويمتد

فيض يشف فما به كدر ... ومدى يفيض فما له حد

بكاء السليب (*)

وقالوا خؤون قلت مهلاً فإنما ... بكائى عليه وافيا لعجيب

لقد سلبتنيه الخيانة راغمًا ... وإن جديرًا أن ينوح سليب

وإنى لأبكى مَن كان قبلها ... يفى لى على زعم الهوى ويطيب

(*) فوق الحب : هدية الكروان .

(*) النور : الجزء الرابع .

(*) بكاء السليب : الجزء الرابع .

حب الدنيا(*)
معجزة خارقة

(هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية التى تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحبتها ؟ أو هى دميمة والقدرة الإلهية هى التى تحببها إليها وترغبنا فيها ؟
الجواب فى القصيدة التالية أنه لا قدرة - دون قدرة المعجزات والخوارق - تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس ، على ما بها من الآفات والأرجاس !)

قالوا الدنيا الحسناء سهـا ... عنها ربٌّ لا يقبلها
بل قالوا : يحجبها عنا ، ... أو ينهاها ، أو يعقلها
ونرى الشيطان يزيّنها ... ونرى الشيطان يدلّلها
يا قومُ ألا عينٌ نظرت ... هذى الشوهاء تُمثلها ؟
ما يقدر إلا ربٌّ الكو ... ون يحبّبها ويجمّلها
لولاه قتلنا أنفسنا ... أولم نعذل من يقتلها
أفهذى دنيا نعشقها ... لولا رضوانٌ يكفلها ؟
من شك فهذى قدرته ... فليعرفها من يجهلها !

المذكّر المنسى(*)

لم يبق من دنياك يَعنينى ... إلا عناءٌ غيرُ مأمون
وجه - إذا ما مرّ - ينسينى ... لا بل يذكّرنى إلى حين

أنّى - كما قيل - ابن سبعين !

(*) حب الدنيا معجزة خارقة : وحى الأربعين .

خبر الربيع (*)

يأيهـا الورق الخـضـرُّ فى شـجـر ... عـهـدى ومـا فـيـه من ذى خـضـرة أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى ... عـيـدانك الـعـوق ذاك العطر والزّهر
إنا سـألنا ، لو عـاد الـسـؤال إلى ... فـحـوى الـضـمـائر لـم نعرفـه يا شـجـر
سلنا بحـقك من أين اسـتـجـدَّ لنا ... هذا الـسـرور الذى فى القلب ينتـشـر
كـلاهـمـا طارقٌ طاف الربيع به ... عـلى بـراق مـن الأنـوار يـنـحـدر
سلهُ فـإن لم يُجب فـأنعم بمقـدمـه ... وافـرح بـه ، وانـتـظره حين يُـنـتـظر
إذا أجـاب بأزهار مـفـتَّـحـة ... وبالسرور ، فـحـسـبى ذلك الخـبـر

الطريق فى الصباح (*)

بـدأت دولـة الـطـريـق ... وانتـهـت دولة الـبـيـوت
ضـاق بـالـكـوكـب المفـيـقْ ... عـالـم الـلـيـل والـسـكـوت

* * *

حـيـث يممت مـسـرعُ ... يـتـلـقـاه مـسـروعـون
مـا لـهـم ؟ أين أزمـعـوا ؟ ... ويحـهـم ! م يـهـربون ؟

* * *

كلمـا غـاب مـجـفـل ... طـلـع اثـنـان فـى هـجـوم
ذاك ركـبٌ مـضـلـل ... حـائر حـيـثـمـا يحـوم

* * *

حـائر حـيـرة الأولى ... سُـحـروا ثـم أطلقـوا
وضـح الـصـبـح والجـلـى ... فـهـو بالسـحـر أخلق

* * *

(*) خبر الربيع : هدية الكروان .

(*) الطريق فى الصباح : عابر سبيل .

لا أرى فـــردَ ســـاحـــرٍ فـــيكِ يا صـــبح بل ألــوف
كـم أســـيـــرٍ وآســـرٍ والــرّقــى بَــيــنــهــم صــنــوف(1)

* * *

ذلـك الـطـفـل مـــا عـنـاه ؟ جــدول الضـرب فى كـتـاب
ذلـك الـشـــيـخ مـــا مـنـاه ؟ لقـــمـــة كلهـــا عـــذاب

* * *

والـفـــتـى . أيـن قـــبـلـةٌ نـحــوهـا يـرسـل الـعـنـان ؟
غـــايـة الأمـــر قُـــبـلـة بـعــــدهـا يـمسح الـدهـان !

* * *

خــــذهُم أيـهـــا الـطـريقْ فى غـــداة من الـصـــبـــاح
لا تـضـلـنّ بـالـرفـــيـــق إِن دنـت ســـاعـــة الـرواح

* * *

إن دنـت ســـاعـــة الـسـبـــات ويـك ! لا تـخـطـئ الـوكـــور
كـم وكـــور مـنـاظـرات للبـــيـوت اســـمـــهـا القـــبـور !

* * *

ماذا استفدت ؟(*)

بـرئـت مـن غـش نـفـــســى ولا أقـــول انتـــبـــهـت
قـــد كـنـت ســـاهـرَ عـينٍ مـــســـتـــيـقظًا مـــا غـــفـــوتُ

* * *

بـرئـت مـن غـش نـفـــســى ولـيـــتـى مـــا بـرئـت
مـــا الـعـــمـــر مـــحض نـهـــار ! فى الـعـــمـــر للـغـــمض وقت

* * *

هـــا أنـــت يـــا عـــين يـــقـــظـــى وهـــا أنـــا قـــد نـظـرت
مـــاذا اســـتـــفـــدت لعـــمـــرى ومـــا عـــســـانى اســـتـــفـــدت ؟!

* * *

(1) جمع رقية وهى طلسم السحر وما يستعان به من القوى الخفية .

(*) ماذا استفدت : أعاصير مغرب .

قلت للمريخ(*)[1]

قلت لـلمــــريخ أعـــذلـه ... وهو يذكى جـمــرةَ الغـضب
ويك اِمـا هذا الخـراب ؟ ومـا ... ذلـك الإغـــراق فـى العـطب ؟
أمٌ تـسـطـو عـلـى أمم ... ولـظـى ثـوارة الـلـهـب
ودمـاء كـالبـحـار على ... عـيْلـم[2] لـلدمع منكسب
وقـبـور كظَّهـا تَخَـمـا ... جـثث الهلكى من السَّغب[3]

* * *

قـال : مـهْ يا صـاح أين ترى ... كلٌ مـا اسـتـهـولتَ واعـجـبى
أرضكم مـا زلت أبصـرها ... نائيـا حـينًا وعن كـثب[4]
هَيِّنٌ مـا قـد تبـدّل من ... سـمـتـهـا فى هذه الحـقب

* * *

لا ضيف فى الخان(*)

إيه يا دنيـا ! لو اسطعت سـمـاعى ... قـد نزلنا منك فى غـيـر اتسـاع
أكـرمـينا حـيـثـمـا تدعـيننا ! ... أودعـينا من لقـاء ووداع
قـالـت الدنيـا : لمْ أكـرمكم ؟ ... كلنا فى الحق مـدعـوٌّ وداع
حـبـذا الخـان ! فـلا ضـيف هنا ... إنما يُجـزى مـتـاعـا بمتـاع

* * *

تكاليف العظمة(*)

كن عظيـمـا ولا تلومنَّ إلا ... همـةً كلفـتك همّـا جـسـيـمـا
كـل راج يُـلـقـى عـلـيـك مـنـاه ، ... فـإذا خـاب كنتَ أنت الملومـا
تنصف الأمـة الضـعـيفَ ولا تنصـ ... ـف يومـا عظيـمـهـا المظلومـا

* * *

(*) قلت للمريخ : أعاصير مغرب . (1) المريخ فى أساطير الأقدمين هو رب الحرب . (2) بحر .
(3) الجوع . (4) عن قرب .
(*) لا ضيف فى الخان : وحى الأربعين .
(*) تكاليف العظمة : وحى الأربعين .

النعيم والشقاء (*)

ما العيش ؟ قل لى فأنت مختبرٌ … همـوم هذى الدنيـا ونعمـاها

* * *

العيش بأسـاءُ ليس يجهلهـا … من ذاقهـا أو أصـاب عـدواها
ونعمـةٌ لا يزال يُحرمَـهـا … من نال منهـا أو من تعـداها
نشتـاقهـا إن نأت ، ونبخسهـا … إن أقبلت ، جـاهلين معناها
كـأنهـا درة مسـوّمـة … فى بعض سكر الحيـاة نُعطلهـا
يمنحهـا حـاسدٌ لآخـذها … آب عليـه سـرور لقيـاها
حـتى إذا ردها وأحـرزها … ادراه مـا قـدرها لينعـاها
هذا سـرور الدنيـا ولذتهـا … دع عنك مـا شـرها وبلواها
فاحسبـه من خيـرها ونعمتـها … إن شئت أو من صميم وبؤساها

* * *

الصنم الهاوى (*)

خـبـرونى عن الصنم … أيـن ألـقـت بـه الحطَـم
خـبـرونى بمصـرع … للهـوى فيـه والشيـم
كـيف باع العبـاد والخلـ … ـد والحب والعـظَـم
والسـمـاوات كلهـا … بضـئـيل من القِـسَم

* * *

خـبـرونى عن الصنم … ذلـك الأروغ الأشـم
ذلك الشـاهق الذى … قـصـرت دونه الهمم
ذلك العـابس الذى … فى حمى الصمت ما ابتسم
كـيف قِـيدت لرائم … عـزةٌ منـه لم تَـرم
كـيف زلت عـروشـه … من أعـاليـه فى القمم
كـيف أمـسى ورأسـه … فى الثـرى موضع القدم

(*) النعيم والشقاء : الجزء الرابع .
(*) الصنم الهاوى : الجزء الرابع .

ما دهاه فما اتقى ... من حذار ، ولا وجم
فتهاوى بلا ونىً ... وترامى بلا شمم
وتخطى عن الذرى ... علمًا دونه علم
واستوى غير نادم ... فى حضيض من الرجم
خبرونى وأجملوا ... رب عذر لمتّهم
حكمة تلك فى الحكم ... أم قضاء من القدم ؟
أم إله أصابه ... حسدٌ منه فانتقم
نقمة تلك ما خلا ... مثلها قط فى الأمم
ضربة تلك من إلا ... ه فما عنه معتصَم
هى سوى حكمه يضـ ... ـل صوابًا إذا حكم

* * *

خبرونى واسمعوا ... أنا واللّه فى صمم
أنا فى غمرة الأسى ... ظلمة فوقها ظلم
حيرة تشده العقو ... ل بمسّ من اللمم
إن ويلى بسرها ... فوق ويلى على الصنم

* * *

حدثونى عن الصنم ... بدأ الويل أم ختم[1] ؟
زعِم القلب أنها ... لوعة بعدها سأم
بلى القيد فانفصم ... وهوى ذلك الحرم
لا قرابين تُهتَدى ... فى المحاريب ، أو ذمم
لا صلاة ولا صيا ... م ولا فتنة عمم
فليجد منه راحة ... عابدٌ طالما التزم
وليشُبْ منه راضيًا ... خادم طالما خدم
جهل القلب نفسه ... كذب القلب ما زعم
ليته عاد فى القمم ... ظالمًا كيفما ظلم
غانمًا كلّ ما ارتضى ... من ضحايا ومن نعم

(١) أى هل تحطيم ذلك الصنم هو أول الشقاء أو آخره ؟ وهل يسعد عابد الصنم بانقضاء حبه وفرائضه وتقديم القرابين إليه والراحة من كل ذلك أو هو يأسف على ما فاته من الحب وتقديم القرابين ؟

آخـــــذاً مـن دمــــــائـنـا ولـنـا بـعــــدُ مــــا اغــــتـنـم
إنمــــا الحـــب مـــنـــعـــم وهـب الحـب أو حـــــــرم
لـيـــتـــــه لـم يكـن هـوى لـيـتــــه عــــاد فـى القـــمـم
لـيـتــــه فـى الحـــضــيـض لـم يُـشـف مـن ذلـك الـنـهـم[1]

* * *

أملى مــــا ابتـــغـــيت من نـاصـب الـنـفـس مـــصـطلَـم[2]
دائـبـاً ـــــا فـى المـزيـد لـم تـســـــــهُ عـنـه ولـم تـنـم
حــســبك اليـــأس والضـنى وجـــــوى الـلـيـل يـا ألـم
فـــــــرغ المـأتم والـذى بـتَّ تحـــيـى لـه الـضـــرم
فـــــــدع الـنـار يـنـطـفـئ من لظى النار مـــا احـــتـدم
أيـعــــــــود الإلــه ألـــ ـقـى بـه الـذلَّ فـى الـعـــدم
ويك هيــهـــات لامـــعـــا د ، فــطــوبــى لمـــن وهـم
بـدأ الـلـيـل وانتـــهـى وصـــحـــا حـــالمٌ حلم

* * *

ولماذا القرد؟[*]

أرى السخف فى الإنسان طبعًا مؤصّلا شــــواهده فى كل بادرةٍ تبــــدو
ولو لم يكن فى طبعـه ومـزاجـه طويةُ ســخف لا يلازمــهـا حــد
لما خص من كل الخـلائق سـخـره بأشـبــهـهم طرًا به ، وهو القـــرد!

* * *

(١) أى ليته بعد هبوطه إلى الحضيض بقيت له رغبة الأرباب فى العبادة .
(٢) اصطلمه : قطعه .
(*) ولماذا القرد : بعد الأعاصير .

نعمة من نقمة(*)

جــلا مــعــرضُ الحب أصنافــه ... نماذج من كل صنف عــجــاب
فــحبٌّ يُلاصق هذا الثــرى ... وحبٌّ يحلّق فــوق الســحــاب
وحبٌّ يعــيش مــدى ســاعــة ... وحــب مــن الخلــد رحــب الجنــاب

* * *

وفــوَّضت أمــرى على غــرّة ... لكوبيــد يختــار لى مــا يرى
فــعلّقنى منه ذاك الخــبــيــ ... ــث بحب تعــمَّق تحت الثــرى
وقــال : إليك قــرينَ الربيــ ... ــع فى القــاع يُزهر مــا أزهرا

* * *

عــجــبتُ أنا الصــاعــد المرتقى ... وســاءلت ربّىَ فى قــســمــتى
فــقــال انتظر ريثــمــا ينقــضى ... هواك ، أنبــئْك عن حكمــتى
فلمــا تقــضّى وزال الخــفــاء ... ســألت القــضــاء ، فلم يصــمت

* * *

لقــد كنتَ تجــهل هذا الثــرى ... وكنتَ تطيــر ولا فــضل لك
فــهــا قــد عــرفت وها قــد علو ... ت بوقــر الرغــام الذى أثقلك
أترضى ؟ فــقلت نعم قــد رضيــ ... ــت . لك الحــمــد ربّىَ مــا أعــدلك

* * *

لك الحــمــد ربّى إنى افــتــتــحــ ... ــت سمــائى بالحب شبــرًا فــشبــرا
وشــتــان فــاتحــهــا مــغــمــضًــا ... وفــاتحــهــا مــبــصــر العين حــرا
مــلــكــت الوهــاد ، ملكت النجــا ... د ، كمــا تُملكان . فــحــمــدًا وشكرا

* * *

(*) نعمة من نقمة : بعد الأعاصير .

مقدمات ماتقدم

«فيما يلي مقتبسات من مقدمات الدواوين مرتبة على حسب تواريخ صدورها :

. . . .

« . . . الشعر يعمّق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات : عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التى يعرض عنها سواك ، ممتزجةً طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما فى وسع الإنسان أن يعيش وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت! والوقت أيها القارئ ، أصناف : فمنه ما يبخل به الأبد على غير سكان السماوات ومنه مايطرحه للأبقار والحشرات ! فإذا قلنا لك أحبب الشعر فكأننا نقول لك عش ، وإذا قلنا إن أمة أخذت تطرب للشعر فكأننا نقول إنها أخذت تطرب للحياة . .» .

الجزء الأول

. . . . * * * . . . .

«أحسن فيكتور هوجو فى كتابه «وليام شكسبير» حيث قال : «ينادى كثير من الناس فى أيامنا هذه - لا سيما المضاربون وفقهاء القانون - بأن الشعر قد أدبر زمانه . فما أغرب هذا القول ؟! . . الشعر أدبر زمانه ! لكأن هؤلاء القوم يقولون إن الورد لن ينبت بعد ، وأن الربيع قد أصعد آخر أنفاسه . وأن الشمس كفَّت عن الشروق . وأنك تجول فى مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة . وأن القمر لا ينظر له ضياء بعد اليوم ، والبلبل لا يغرد ، والأسد لم يزمجر والنسر لا يحوّم فى الفضاء . وأن قلال الألب والبرانيس قد اندكت ، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والأيفاع الحسان . . .

لكأنهم يقولون إنه لا أحد اليوم يبكى على قبر ، ولا أم تحب وليدها وأن أنوار السماء قد خمدت وقلب الإنسان قد مات» .

والحقُّ أنه لا فرق بين القولين . إذ الشعر لا يفنى إلا إذا نفيت بواعثه . وما بواعثه إلا محاسن الطبيعة ومخاوفها وخوالج النفس وأمانيها ، فإذا حكمنا بانقضاء هذه البواعث فكأنما حكمنا بانقضاء الإنسان . وليس من العجب أن يولد فى الدنيا أناس لا يهتزون للشعر وهى مكتظة بمن لا يهتزون للحياة نفسها ، غاصة بمن يمرون بها غافلين عن محاسنها وآياتها ، كأنهم سيمرون بها ألف مرة ، أو كأنهم يعودون إليها كلما شاءوا الكرّة . . .»

الجزء الثانى

* * *

« . . . وقرأ بعضهم قصيدة فى وصف الصحراء والإبل فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدها بابا من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون !

ذلك مثل آخر من أ مثلة التقليد فى إنكار التقليد ، لأن وصف الصحراء والإبل إنما يحسب تقليدًا لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجاراةً للأقدمين واقتياسًا على الدواوين . أما الرجل الذى يعيش فى الصحراء أو على مقربة منها ، ويركب الإبل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم فى هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جريا على رأى الآخرين . إذ هو التقليد بعينه فى التصور واختيار الموضوعات ، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل .

فهناك إذن «مقلدون» فى كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون ، وربما كان هؤلاء أضرُّ بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم .

إن من أراد أن يحصر الشعر فى تعريف محدود لكمن يريد أن يحصر الحياة نفسها فى تعريفٍ محدود ، فالشاعر لا ينبغى أَن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوى فيه جميع المطالب وهوٍ «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» . وكلب ما دخل فى هذا الباب – باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق – فهو شعرٌ وإن كان مديحًا أو هجاء أو وصفًا للإبل والأطلال ، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث . . .

وحى الأربعين

* * *

. . . .

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورًا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المُغنِّى بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون . .

هدية الكروان

* * *

. . . .

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هى موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال ، وإنما النفس التى لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذى لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر ، أو كالمعدم الذى يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والرحيق !

كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة .

وإن التصور لهو خير معوان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور . فإن الأم تنظر إلى طفلها الوليد ثم تقضى عشرين سنة وهى تتصوره عريسًا سعيدًا لا تفرح به يوم عرسه كما تفرح بتصوره والرجاء فى بقائه طوال تلك السنين ، فإنما من نسج التصور نخلق الحلل النفيسة التى نضفيها على آمال الغيب ومشاهد العيان .

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسه الأذواق . ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء نستمرئ الشعور به والتعبير عنه كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر المأثورة ، لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها ولا تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس الناشط والخيال المتوفز ، وأن أجمل وجه ليمر بنا فى ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التى نراها صباح مساء .

عابر سبيل

* * *

. . . .

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصديق فى اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومى والشريف .

ومنهم فى اللغات الأوربية ليو باردى ، وهنريك هينى ، وتوماس هاردى ، وهذا فريدٌ عندنا فى هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر فى طبع ديوانى الجديد واختيار الاسم الذى يناسبه فقرأت له الأبيات التى يقول فيها :

«انظرُ إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى الله مبتهلا إليه . أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلبًا يذبل مثل هذا الذبول .

«إننى إذن لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن ، وأننى إذن لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور .

«غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء ، ويترك فلا يترك كل شىء ، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لى الاسم الذى اخترته لهذا الديوان وهو «أعاصير مغرب» ، وإن لم يرد فى الأبيات ذكرٌ للأعاصير .

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذى احتواه هذا الديوان . . بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التى هزت كيان «الشيخ» هاردى فتمنى من أجلها ذبولا فى القلب كذبول إهابه .

أعاصير مغرب

* * *

. . . .

نحن فى زمن المراجعة والتقويم .

نراجع كل شىء ، ونعيد تقويم كل شىء وننقد ونعيد النظر فى مقاييس النقد نفسه ، ولا فرق بين مقاييس «النقد» الذى تجرى به المعاملات بين الناس فى البيع والشراء والأخذ والعطاء ، أو مقاييس النقد الذى يتواضع الناس عليه فى فهم المعانى والأفكار ، وتمحيص الأخلاق والأذواق .

روجعت قيمة الذهب وهو فيما مضى مرجع كل قيمة .

ورُوجعت ، أو ينبغى أن تُراجع ، قيمة النقد الذى يتداوله الناس عند تقويم المعنى والفكرة وتقدير الكلمة النثرية والقصيدة الشعرية والتحفة الفنية ، فلا محيص من «نقد النقد» نفسه قبل تقرير قيمته فى عالم الأدب والفن ، وقبل الاعتماد عليه فى تقرير ما نقبله أو لا نقبله من آثار الأديب والفنان .

وأول ما يُنقَد به النقد فى كل زمن أنه غير خالص لوجه الأدب وحده أو لوجه الفن وحده ، فما من نقد قط يخلص من هوى فى نفس الناقد يهواه باختياره أو على غير اختياره ، ولا بدَّ مع النقد من شائبة مزغولة نعزلها قبل أن تنفذ إلى قيمة المعدن فى صميمه . فالنقد الذى فى الصميم هو القيمة التى تدل على المنقود وتعطيه حقه فى الإعجاب أو استحقاقه للرفض والزراية .

ونقد النقد بهذا المعنى هو تخليصه من كل أثر فيه لهوى الناقد أو هى البيئة أو هوى الشيعة أو وساوس النفس الإنسانية التى يجهلها صاحبها فى كثير من الأحايين ، ولكنها لا تخفى على الناظر إليها بالقياس إلى ما يماثلها من وساوس النفوس .

وليس فيما نومئ إليه من شوائب النقد على هذا النحو شيء جديد . فقديما عرف الناس التعصب للأديب أو للشاعر لأنه من جنس المعجبين به أو من أبناء نحلتهم فى الدين أو شيعتهم فى السياسة .

ولكنّ الجديد فى هذا العصر أن هذا التعصب قد أصبح خطة مقررة فى دعوة مدبرة ، تدين بها طائفة كبيرة من أصحاب المذاهب والنحل ، ويصدرون عنها فى تقريظهم ونقدهم ، وفى ثنائهم وتشهيرهم ، ويتخذونها سبيلا إلى ترويج دعواتهم السياسية وآرائهم الاجتماعية ، بمعزل عن الفن والأدب ، وعلى علم بالتلفيق والعوج فى القياس ، إذا لزم التلفيق أو العوج فى خدمة الغرض الأصيل . لأن هذا الغرض الأصيل هو القسطاس الأخير لكل تقدير ، والغاية الأخيرة من كل تكبير وتصغير .

وفى عصرنا هذا ينبغى أن نلتفت إلى شوائب النقد التى عرفها الأقدمون ، وإلى الشوائب التى لم يعرفوها قط أو عرفوها فى حيز محصور لا يُلتفت إليه .

ولقد عرف الأقدمون فى الأدب العربى صنوفا من الإيثار والاستحسان لا علاقة لها بمزايا الفن والبلاغة ، وكان منهم من يؤثر الشاعر أو الأديب تارة لأنه على مذهبه فى التشيع وتارة لأنه على هواه فى مؤازرة الدولة القائمة من بنى أمية أو من بنى العباس ، ولوحظ - مثلا - إهمال كتاب الأغانى للشاعر «ابن الرومى» .

أما الجديد الذى لم يعهده الأقدمون كما عهدناه فى عصرنا هذا فهو - فيما نعتقد أمران :

أحدهما كما أسلفنا ظهور خطة مقررة يدعمها أصحابها برأى أساسى فى مذهبهم يقضى باستخدام «النقد الأدبى» لترويج المذهب ومحاربة خصومه .

والآخر ظهور المقلدين فى حركة التجديد ، وهم أولئك الذين سمعوا بمبادئ التجديد وراحوا يطبقونها تطبيق الآلة التى لا تميز بين حقائق الأسباب .

والذين يستخدمون «النقد الأدبى» لمحاربة خصومهم المذهبيين والانتقام منهم قومٌ لهم سيماهم التى لا يختلطون فيها بغيرهم . فهم جميعا من «غير الأدباء» . . . وهم جميعا لا ينتجون أدبًا ولا يقرأون أدبًا لأنه أدب ، ولكنهم دعاة يقتحمون عالم الأدب والشعر لخدمة الأغراض التى تعنيهم باسم النقد الأدبى وما هو من النقد الأدبى فى شىء . إنْ هو إلا العداوة التى تصدر عن الكراهية والاتهام ولا تصدر عن اختلاف الأذواق الفنية أو المشارب الأدبية .

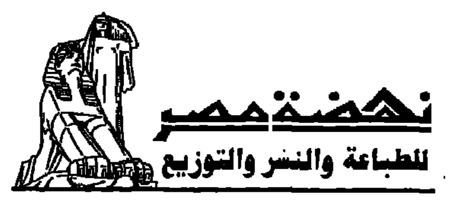
ولا يقل عن ضرر هؤلاء ضرر المقلدين فى الدعوة إلى الجديد . فإنهم لا يصلحون لقديم ولا لجديد فى الأدب ، ولا يعرفون لماذا يقرظون ولماذا ينتقدون .

بعد الأعاصير

من مؤلفات عملاق الأدب العربى الكاتب الكبير
عباس محمود العقاد

١ ـ الله
٢ ـ إبراهيم أبو الأنبياء
٣ ـ مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية
٤ ـ عبقرية محمد ﷺ
٥ ـ عبقرية عمر
٦ ـ عبقرية الإمام على بن أبى طالب
٧ ـ عبقرية خالد
٨ ـ حياة المسيح
٩ ـ ذو النورين عثمان بن عفان
١٠ ـ عمرو بن العاص
١١ ـ معاوية بن أبى سفيان
١٢ ـ داعى السماء بلال بن رباح
١٣ ـ أبو الشهداء الحسين بن على
١٤ ـ فاطمة الزهراء والفاطميون
١٥ ـ هذه الشجرة
١٦ ـ إبليس
١٧ ـ جحا الضاحك المضحك
١٨ ـ أبو نواس
١٩ ـ الإنسان فى القرآن
٢٠ ـ المرأة فى القرآن
٢١ ـ عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمدعبده
٢٢ ـ سعد زغلول زعيم الثورة
٢٣ ـ روح عظيم المهاتما غاندى
٢٤ ـ عبدالرحمن الكواكبى
٢٥ ـ رجعة أبى العلاء
٢٦ ـ رجال عرفتهم
٢٧ ـ سارة
٢٨ ـ الإسلام دعوة عالمية
٢٩ ـ الإسلام فى القرن العشرين
٣٠ ـ مايقال عن الإسلام
٣١ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
٣٢ ـ التفكير فريضة إسلامية
٣٣ ـ الفلسفة القرآنية
٣٤ ـ الديمقراطية فى الإسلام
٣٥ ـ أثر العرب فى الحضارة الأوروبية
٣٦ ـ الثقافة العربية
٣٧ ـ اللغة الشاعرة
٣٨ ـ شعراء مصر وبيئاتهم
٣٩ ـ أشتات مجتمعات
٤٠ ـ حياة قلم
٤١ ـ خلاصة اليومية والشذور
٤٢ ـ مذهب ذوى العاهات
٤٣ ـ لا شيوعية ولا استعمار
٤٤ ـ الشيوعية والإنسانية
٤٥ ـ الصهيونية العالمية
٤٦ ـ أسوان
٤٧ – أنا
٤٨ – عبقرية الصديق
٤٩ – الصديقة بنت الصديق
٥٠ – الإسلام والحضارة الإنسانية
٥١ – مجمع الأحياء
٥٢ – الحكم المطلق
٥٣ – يوميات جزء أول
٥٤ يوميات جزء ثانى
٥٥ – عالم السدود والقيود
٥٦ – مع عاهل الجزيرة العربية
٥٧ – إهانات مجتمعات فى اللغة والأدب
٥٨ – مواقف وقضايا فى الأدب والسياسة
٥٩ – دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية
٦٠ – أراء فى الأدب والفنون
٦١ – بحوث فى اللغة والأدب
٦٢ – خواطر فى الفن والقصة
٦٣ – دين وفن وفلسفة
٦٤ – فنون وشجون
٦٥ – قيم ومعايير
٦٦ – ديوان فى الأدب والناقد
٦٧ – عبد القلم
٦٨ – ردود وحدود

فـــهرس



طبع بمطابع الشركة بمدينة السادس من أكتوبر



من شعر عملاق الأدب العربى
عباس محمود العقاد

١ - ديوان يقظة الصباح

٢ - ديوان وهج الظهيرة

٣ - ديوان أشباح الأصيل

٤ - ديوان وحى الأربعين

٥ - ديوان هدية الكروان

٦ - ديوان عابر سبيل

٧ - ديوان أعاصير مغرب

٨ - ديوان بعد الأعاصير

٩ - ديوان عرائس وشياطين

١٠ - ديوان أشجان الليل

١١ - ديوان من دواوين

